

كُنْزُ الْفَوَائِدِ
لِدَوَّامِ الْفَيْحِ السَّيِّعِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى
الْكُرَيْشِيِّ الْعَرَابِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ

كُنُزُ الْفَوَائِدِ
لِلْإِمَامِ أَبِي الْفَتْحِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَثْمَانَ
الْكَرَاجِيِّ الطَّرَابِلسِيِّ التَّوْفُوقِيِّ

حَقَّقَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ
الْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ نَعْمَهُ

الجزء الأول

دار الأضواء

بشمس • لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، وصلواته وتحياته على أكرم رسله ، سيدنا محمّد وآله المصطفين الأبرار ، وصحبه الأخيار .
وبعد فأنا أمام كتاب «كنز الفوائد» الذي يعتبر = بحق = من الآثار القيمة الحية ، التي تركها لنا سلفنا العلماء الخالدون ، قد ضم بين دفتيه مجموعة كبيرة من أبحاث علمية ، متعدّدة الألوان ، مختلفة المواضيع ، قد تبوأ مكانة كريمة لدى العلماء والباحثين ، وأولوه اهتمامهم وعنايتهم ، فكان من المصادر التي اعتمدوها وأخذوا عنها .

وهذا الكتاب من آثار العلامة الفقيه المتكلم الشيخ أبي الفتح محمّد بن علي الكراجكيّ الطرابلسي ، من ألمع العلماء الإسلاميين في القرن الخامس الهجري ، وأكثرهم إحاطة بمعارف عصره ، وأوفرهم إنتاجاً ونشاطاً في سبيل العقيدة الإسلامية ، ونعرف ذلك من ثبت مؤلّفاته كما يأتي إن شاء الله .
وقد طبع هذا الكتاب في إيران منذ أكثر من ثمانين سنة على المطابع الحجرية ونفدت نسخه وأصبحت نادرة الوجود ، رغم رداءة طباعته وكثرة أغلاطه . لذلك أصبح مجهولاً لا يعرفه إلا قليل .

وقد عنيت منذ مدة طويلة بنسخه عن النسخة المطبوعة ، وبترتيبه والتعليق عليه ، رغبة في نشره بين القراء ، وتعميم الفائدة ، وإبرازاً لآثار علمائنا الأبرار وجهودهم في مجالات العلم والثقافة الإسلامية .

وكان من حقّ هذا الكتاب أن يصدر بجلته الجديدة ، منذ زمن ، إلّا أن الظروف القاسية التي مرت بها البلاد حالت دون ذلك.
وأخيرا قيّض الله سبحانه الصديق البرّ الحاجّ جعفر الدجيلي صاحب دار الأضواء ، فتولى طبعه وإخراجه ، فله شكري ودعائي له بالتوفيق. والله
سبحانه يتولى الصالحين العاملين.

٤ربيع الأوّل سنة ١٤٠٥ هـ

١٩٨٤ / ١١ / ٢٧م

عبد الله نعمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

عاش أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراچكي مؤلف هذا الكتاب «كنز الفوائد» الشطر الكبير من حياته ما بين النصف الأخير من القرن الرابع والنصف الأول من القرن الخامس للهجرة.

وكانت هذه الفترة التي عاشها الكراچكي بالذات حافلة إلى حدّ كبير بضروب من الانقسامات السياسية الهائلة ، وقيام دول صغيرة ، منيت بها المملكة الإسلامية (الأم) ، وانفصلت عنها.

فقد استقل بنو بويه بفارس والري وأصبهان والجليل.

وأصبحت كرمان في يد محمد بن الياس ، الموصل وديار بكر وريبعة ومضر في أيدي الحمدانيين ، والمغرب وأفريقيا في أيدي الفاطميين ، والأندلس في أيدي الأمويين ، وخراسان في يد السامانيين ، والأهواز وواسط والبصرة في أيدي البريديين ، واليمامة والبحرين في يد أبي طاهر القرمطي ، وجرجان وطبرستان في أيدي الديلم.

ولم يبق في يد العباسيين سوى بغداد وأعمالها ، محتفظين بسيادة معنوية على هذه الدويلات المنفصلة عنها ، التي كانت تقدم للخليفة العباسي في بغداد الدعاء والخطب في المساجد أيام الجمع والأعياد وفي المناسبات الدينية ، وتشترى منه الألقاب ^(١).

(١) انظر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع لآدم متر ، ج ١ صلى الله عليه وآله وسلم ١ وما بعدها.

كما حفلت هذه الفترة أيضا بضروب عديدة من المذاهب والنحل ، وبانقسام كبير في الآراء والنزعات ، في مجادلات ومناظرات عنيفة وحادة ، بصراحة وحرية ، حفظتها لنا تلك المؤلفات التي وضعت في هذه الفترة ، والتي تبرز لنا تلك الألوان المذهبية بوضوح وعنفاً ، حول القدم والحدوث ، وحول الخالق وصفاته ، وحول أفعال الإنسان في الجبر والاختيار ، وحول الخلافة والإمامة وما إليها من العصمة والنص والاختيار ، وحول ما يراه المعتزلة من نظرية الأحوال ، ونظرية الأشاعرة حول نظرية الكسب ، وحول ما يراه الإسماعيلية والقرامطة من الباطن والظاهر ، وحول جميع هذه المواضيع الكلامية وغيرها ، التي كانت محور المناظرات العلمية والفكرية آنذاك.

فقد برز في هذه الفترة من شيوخ الأشاعرة أمثال أبي بكر محمد بن الطيب البصري المعروف بالقاضي الباقلاني المتوفى سنة (٤٠٣ هـ).

ومن المعتزلة القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني شيخ المعتزلة في عصره المتوفى سنة (٤١٥ هـ).

وأبو الحسن البصري محمد بن علي بن الطيب المتوفى سنة (٤٣٠ هـ).

ومن الشيعة الإمامية الشيخ محمد بن محمد بن النعمان التلعكبري المعروف بالشيخ المفيد المتوفى سنة (٤١٣ هـ) وهو عالم الشيعة في عصره.

والشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي المتوفى سنة ٤٣٦ هـ. وتلميذهما أبو الفتح الكراجكي المتوفى سنة (٤٤٩ هـ).

وفي هذه الفترة بالذات تنفس الشيعة الإمامية الصعداء حين أخذ ينحسر عنهم الكثير من الحرمان والكبت والملاحقة ، التي عاشوها طيلة أكثر العهود الماضية ، وتنسموا شيئاً من حريتهم ، واستطاعوا الإعلان عن آرائهم واتجاهاتهم ، مما لم يحظوا به في عصور سابقة. ذلك حين عطف بنو بويه على الشيعة ، وسيطروا على الخليفة في بغداد ، الذي كان مصدر ذلك الكبت والحرمان ، وتحكموا بمقدرات الدولة وبمصيرها ، وأصبح الخليفة العباسي دمية بين أيديهم يحركونها كيفما شاءوا

وفي هذه الفترة بالذات أيضا ، استطاع الشيخ المفيد وتلميذه الشريف المرتضى وتلامذتهما ، أن ينشطوا للقيام بواجبهم الديني والعلمي دون خوف أو تقية ، وأن يتغلغلوا في دفع الفكرة الشيعية إلى المناطق التي كانت موصدة أمامهم من قبل ، كإيران وأكثر جهات العراق وسوريا ، وأن يبرزوا التشيع في حقيقته النقية الصافية الممدودة بالمنطق والأدلة العلمية ، وقد أخذوا على عاتقهم مهمة الدعوة الإسلامية ، وصد هجمات الملاحدة من القرامطة والغلاة وغيرهما.

وكان أبو الفتح الكراجكيّ من أبرز من تحملوا المسؤولية في هذا السبيل. وكان الدور الذي قام بأعبائه مهما وخطيرا. فقد قدّر له أن يعيش في هذا الثغر الشاميّ وفي الساحل اللبناني ، ليقوم بترسيخ العقيدة الإسلامية ، والحد من النزعة الإسماعيلية ، يوم كانت فلسطين ولبنان واقعة تحت نفوذ الدولة الفاطمية ، وحين كانت الفكرة الإسماعيلية الفاطمية تعيش في أكثر بقاعها.

وقد اختار الكراجكيّ مدينة طرابلس اللبنانية قاعدة لانطلاقه وعمله ، حين كان أمراء بني عمّار الشيعة يتولون حكمها ، ويسيطرون عليها. ومن هذه القاعدة = طرابلس = انطلق الشيخ الكراجكيّ يناظر ويجادل ويعلم ، بكل ما يملك من طاقة علمية وفكرية ، وصمد في وجه الموجة الإسماعيلية العارمة ، واستطاع أن يحد من نشاطها ، حتى انحسرت عن أكثر هذه المنطقة ، وحلت مكانها الفكرة الشيعية الإماميّة ، وأصبحت مذهب الأكثرية لسكان المناطق الساحلية في ذلك العهد.

وشمل في نشاطه مقاومة سائر المخالفين ، كالمعتزلة والأشاعرة ، وأهل الديانات الأخرى ، كاليهود والنصارى والبراهمة وسواهم ، كما يبدو ذلك من كتبه والفصول التي أدرجها في كتابه (كنز الفوائد).

كل ذلك بفضل جهوده المتواصلة ، وبما كان يملكه من شدة المعارضة وروح الجدل ، ووفور : العلم ، وعمق الملاحظة ، وتنوع الثقافة ، وقوة الحجة ، وبما كان يتمتع به من وعي وإدراك ، ومن حيوية وحركة وصبر وعمل دائم.

مؤلف الكتاب

هو أبو الفتح محمد بن عليّ بن عثمان المعروف بالكراجكيّ ، نسبة إمّا إلى (كراجك) وهي قرية تقع على باب مدينة (واسط) العراقية التي بناها الحجاج الثقفي والي الأمويين سنة ٨٣ / ٨٤ هـ ^(١) ، وكان بينها وبين كل من البصرة والكوفة والأهواز وبغداد مقدار واحد ، وهو خمسون فرسخا. ^(٢) وهذا ما قاله كثير من مترجميه.

وإمّا نسبة إلى عمل الكراجك وهي الخيم كما في لسان الميزان. ^(٣)

وقد وصفه غير واحد بالخيمي نسبة إلى (الخيم) قرية أو محلة في مصر ، كان أبو الفتح قد نزلها.

والأرجح أن نسبته بالكراجكيّ إمّا هي إلى عمل الخيم ، التي هي الكراجك كما قاله في لسان الميزان ، إمّا لأنّه هو كان يعملها أو أن الذي يعملها أحد آبائه فنسب إليها. بدليل ما قاله العماد الحنبلي : «وفيها توفي أبو الفتح الكراجكيّ أي الخيمي» الذي يفسر الكراجكيّ بالخيمي.

كما ينسب الكراجكيّ إلى طرابلس الشام ، فيوصف بالطرابلسي ، لإقامته فيها مدة طويلة أيّام حكامها بني عمار ، وقد عدّه المجلسي في كتاب البحار في فقهاء طرابلس ، كما يفهم من عبارته التالية:

ومن أجلّاء علمائنا وفقهائنا ورؤسائهم فقهاء حلب ، وهم جمع كثير ، ومنهم

(١) و (٢) انظر : التنبيه والإشراف للمسعودي صلى الله عليه وآله وسلم ٣١ ١ .

(٣) ج ٥ صلى الله عليه وآله وسلم ٣٠٠ .

- فقهاء طرابلس ، ومنهم الشيخ الأجل السعيد أبو الفتح الكراجكيّ نزيل الرملة البيضاء»^(١) .
 ويعزز هذه النسبة وإقامته الطويلة في طرابلس ، أنه ألف أثناء إقامته فيها عدة مؤلفات ، ومنها:
 ١ . عدة المصير في حجج يوم الغدير ، ألفه في طرابلس للشيخ أبي الكتائب ابن عمار .
 ٢ . التلقين لأولاد المؤمنين .
 ٣ . التهذيب متصل بالتلقين .
 ٤ . نهج البيان في مناسك النسوان ، أمره بعمله الشيخ الجليل أبو الكتائب أحمد بن محمد بن عمّار بطرابلس .
 ٥ . معونة الفارض على استخراج سهام الفرائض ، ألفه بطرابلس لبعض الإخوان .
 ٦ . ردع الحاصل وتنبيه الغافل ، وهو نقض كتاب أبي المحاسن المعري الذي رد به على الشريف المرتضى في المسح على الرجلين ، ألفه في طرابلس .
 ٧ . مختصر طبقات الوراث ، عمل للمبتدئين بطرابلس .
 كما ينسب إلى (صور) المدينة الساحلية اللبنانية ، فقد وصفه الطهرانيّ في الطبقات بالصوري ، إذ أقام فيها ، وفيها توفي ودفن ، وقد وضع فيها بعض مؤلفاته ، منها : الأصول إلى مذهب آل الرسول سنة ٤١٨ هـ .

* * *

وقد اتفقت كلمة مؤرخيه على أنّه توفيّ سنة (٤٤٩ هـ)^(٢) في الثاني من ربيع الآخر^(٣) .

(١) البحار ج ١ ٥٠٠ صلى الله عليه وآله وسلم ٧٦ .
 (٢) انظر : شذرات الذهب للعماد الحنبلي ج ٣ صلى الله عليه وآله وسلم ٢٨٣ ، ولسان الميزان للعسقلاني ج ٥ صلى الله عليه وآله وسلم ٣٠٠ و امرأة الزمان لليافعي م ٣ صلى الله عليه وآله وسلم ٧٠ والقمي في الكنى والألقاب ج ٣ صلى الله عليه وآله وسلم ٩٤ ومعجم رجال الحديث م ١ ٦١ صلى الله عليه وآله وسلم ٣٧٦ .
 (٣) نظر : لسان الميزان ج ٥ صلى الله عليه وآله وسلم ٣٠٠ .

أما تاريخ ولادته فقد أهملته كتب التراجم ، لكن وجدنا الكراجكيّ في كتابه (كنز الفوائد) يروي عن أبي الحسن عليّ بن أحمد اللغوي المعروف بركاز (بمبارقين) في سنة ٣٩٩ هـ.

وهذا يعني أن الكراجكيّ كان إذ ذاك في سن تمكنه من تلقي الرواية والأخذ عن الرواة ، وهذا عادة لا يكون إلّا في سن الخامسة والعشرين من عمره ، على أدنى الافتراضات ، وعلى هذا فتكون ولادته سنة ٣٧٤ هـ. أي أنه عاش خمسا وسبعين سنة تقريبا.

والكراجكيّ من أئمة عصره في الفقه والكلام والفلسفة والطبّ والفلك والرياضيات وغيرها ، وقد وصفه أصحاب التراجم بما يدلّ على مكانته العلمية وشخصيته البارزة في أكثر معارف عصره. قال العماد الحنبلي في شذرات الذهب ج ٣ صلى الله عليه وآله وسلم ٢٨٣ في حوادث سنة ٤٩٩ هـ. «وفيها توفي أبو الفتح الكراجكيّ أي الخيمي رأس الشيعة وصاحب التصانيف محمّد بن علي ، مات بصور في ربيع الآخر ، وكان نحويا لغويا ، منجما ، طبيا ، متكلمًا متقنا ، من كبار أصحاب الشريف المرتضى ، وهو مؤلف كتاب «تلقيّن أولاد المؤمنين».

وقريب منه ما قال اليافعي في مرآة الزمان (ج ٣ صلى الله عليه وآله وسلم ٧٠) .

وقال العسقلاني في لسان الميزان ج ٥ صلى الله عليه وآله وسلم ٣٠٠ «محمّد بن علي الكراجكيّ ، بفتح الكاف وتخفيف الراء وكسر الجيم ثمّ الكاف ، نسبة إلى عمل الخيم وهي الكراجك ، بالغ ابن طي^(١) في الثناء عليه في (ذكر الإماميّة) ، وذكر أن له

(١) هو يحيى بن حميد بن ظافر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن محمّد بن الحسن بن صالح بن علي بن سعيد بن أبي الخير الطائي أبو الفضل البخاري الحلبيّ المعروف بابن أبي طيّ (٥٨٥ = ٦٥٠ هـ) انظر : طبقات الشيعة القرن السابع صلى الله عليه وآله وسلم ٢٠٥. وله ترجمة في لسان الميزان ج ٦ صلى الله عليه وآله وسلم ٢٦٣ = ٢٦٤ وقال : أنه ولد بحلب سنة ٥٧٥ وله تصانيف عدة منها (معادن الذهب في تاريخ حلب) و (شرح نهج البلاغة) في ست مجلدات و (فضائل الأئمة) و (خلاصة الخلاص في آداب الخواص) في عشر مجلدات و (الحادي في رجال الإماميّة) و (سلك النظام في أخبار الشام) ، أخذ الفقه عن ابن شهرآشوب وكان بارعا في الفقه على مذهب الإماميّة ، وله مشاركة في الأصول والقراءات.

تصانيف في ذلك ، وذكر أنّه أخذ عن أبي الصلاح ، ^(١) واجتمع بالعين زري ، ومات في ثاني ربيع الآخر سنة ٤٤٩ هـ .

وقال الحرّ العامليّ في الأمل:

عالم فاضل متكلم فقيه محدث ثقة جليل القدر . ثم ذكر بعض مؤلفاته .

وقد أطراه عدد من مترجميه ، فوصفوه بالشيخ المحدث الفقيه المتكلم المتبحر الرفيع الشأن من أكابر تلامذة المرتضى والشيخ (أي المفيد) ، والديلمّي ، والواسطي ، وسلاح وأبي الحسن ابن شاذان القمّي ، وهو من أجلة العلماء والفقهاء والمتكلّمين ، وأسند إليه جميع الإجازات ^(٢) . ويعبّر عنه الشهيد الأول العاملي كثيرا ، في كتبه بالعلامة ، مع تعبيره عن العلامة الحلّي بالفاضل ^(٣) .

وقد وصفه ابن شهر آشوب في كتاب معالم العلماء صلى الله عليه وآله وسلم ٧٨٨ بالقاضي ، وتابعه على ذلك السيّد الكبير مهدي الطباطبائي في رجاله فقال : أبو الفتح القاضي شيخ فقيه متكلم من تلامذة الشيخ المفيد .

وربما جاءت كنيته بأبي القاسم ، وإنّه من ديار مصر ويحتمل أنّه من ديار الشام . ويؤيد هذا الاحتمال الأخير ما ذكره صاحب لسان الميزان من أن الكراجكيّ نسبة إلى عمل الكراجك وهي الخيم ، وعلى هذا فهو ليس مصرياً كما احتمله بعضهم من أنّه نسبة إلى الخيم قرية في مصر ، كما أنّه ليس لدينا ما

(١) هو تقيّ الدين بن النجم الحلبيّ من تلاميذ الشريف المرتضى ، له عدة مؤلفات ، منها . (تقريب المعارف) و (البداية) ، و (البرهان على ثبوت الإيمان) و (الكافي في الفقه) . وصفه الشهيد الثاني ، بالشيخ الفقيه السعيد خليفة المرتضى في البلاد الحلبية .

انظر : (الكنى والألقاب ج ١ صلى الله عليه وآله وسلم ٩٧) . وفي لسان الميزان ج ٢ صلى الله عليه وآله وسلم ٧١ : تقي بن عمر بن عبيد الله ابن محمّد الحلبيّ أبو الصلاح ، مشهور بكنيته من علماء الإماميّة ولد سنة ٣٧٤ ومات بحلب سنة ٤٤٧ ، أخذ عن أبي جعفر الطوسي وغيره ، ورحل إلى العراق فحمل عن الشريف المرتضى .

(٢) يراجع في ذلك بحار الأنوار ج ١ ٢٠٢ صلى الله عليه وآله وسلم ٢٦٣ هامش للمعلق ، والكنى والألقاب ج ٣ صلى الله عليه وآله وسلم ٩٤ .

وانظر : معجم رجال الحديث ج ١٦ صلى الله عليه وآله وسلم ٣٧٦ ومقدّمة الطبعة القديمة لكنز الفوائد .

(٣) انظر الكنى والألقاب ج ٣ صلى الله عليه وآله وسلم ٩٤ .

يدل على أنّه عراقي نسبة إلى كراجلك وهي قرية على باب واسط كما تقدم ، بل المحتمل قريبا أنّه من بلاد الشام.

وقد وصف المؤلّف كما سبق بالقاضي ، ولا نعرف البلد الذي كان فيه قاضيا ، ولا الجهة التي أسندت إليه هذا المنصب ، وإن كان المظنون أن أمراء بني عمّار حكام طرابلس هم الذين أسندوا إليه القضاء وفي مدينة طرابلس الشام بالذات.

وكان المؤلّف الكراجكيّ جيّاشا بكل فن ، يطلب المعرفة أينما كانت ، وفي حركة دائبة بدون ملل ، يفيد ويستفيد ، فقد كان صاحب رسالة إسلامية وعلمية ، يغيثها ويدعو إليها ، ويتجول في سبيلها في كثير من العواصم الإسلامية ، وبخاصّة الشامية منها ، ويجول فيها عرضا وطولا ، إشباعا لرغبته في نشر رسالته ، فلم يقر له قرار ، فكان في مصر سنة ٤٠٧ و ٤٢٦ ، وفي الرملة من فلسطين سنة ٤١٠ و ٤١٢ ^(١) و ٤١٦ ، وفي مكّة المكرمة سنة ٤١٢ ، وفي بلبس سنة ٤١٨ ، وفي ميافارقين سنة ٣٩٩.

كما كان يتجول بين دمشق وبغداد ، وحلب وطبرية ، وبين صيدا ، وصور وطرابلس ، ويقيم في كل منها مدة طويلة ، يؤلف فيها ويصنف ، كما يظهر من ثبت مؤلّفاته ، ومن لقاءاته مع أهل العلم ، مما ذكره في كتابه (الكنز).

وحيث يستقر في بلد يعكف على التأليف في مواضيع الساعة آنذاك. ومن هنا وجدنا شطرا من مؤلّفاته وضعها بالقاهرة ، وبعضها في الرملة ، وآخر في دمشق وطبرية وصيدا وصور وطرابلس وغيرها.

كما كان يؤلف لبعض شخصيات عصره من أمراء وقوّاد وعلماء وقضاة ، وثبت مؤلّفاته يشير إلى هذا.

وكان على إلمام تام بمعارف عصره ، كما يظهر ذلك من مؤلّفاته المتعدّدة المواضيع ، وذا ثقافة واسعة.

(١) يقول الكراجكيّ صلى الله عليه وآله وسلم ٢٤٧ من طبعة الكنز القديمة : ورأيت بالرملة في جمادى الآخرة من سنة ٤١ ٢ شريفا من أهل السند يعرف بأبي القاسم عيسى بن علي العمري من ولد عمر بن أمير المؤمنين (عليه السلام).

فقد كتب في الفقه والأصول ، والحساب ، والرياضيات والفلك ، والأدب والحديث ، والفلسفة والكلام ، والنحو ، والأخلاق والتاريخ والرجال ، والتفسير ، وغير ذلك مما تشير إليه عناوين كتبه التي وضعها.

ومن هنا نجد مترجميه يصفونه بأنه نحوي لغوي منجم طبيب متكلم ، محدث فقيه متفنن على ما سبق.

«شيوخ المؤلف وأساتذته»

أخذ أبو الفتح الكراجكي العلم عن جماعة كثيرة من أعلام عصره ، كما أخذ الحديث من عدد كبير من الرواة والعلماء من شيعة وسنة ، وروى عن أكثرهم في كتابه (الكنز).

ومنهم:

- ١ . الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي العكبري البغدادي المعروف بابن المعلم (٣٣٨ / ٣٣٦ = ٤١٣ هـ).
- ٢ . الشريف المرتضى علي بن أبي أحمد الحسيني بن موسى الموسوي المعروف بذي المجدين وبعلم الهدى ، والمكنى بأبي القاسم ٣٥٧ = ٤٣٦ هـ
- ٣ . أبو يعلى حمزة بن عبد العزيز الديلمي الطبرستاني المعروف بسالار ومعناه الرئيس أو المقدم من تلاميذ المفيد والمرتضى ، توفي سنة ٤٤٨ هـ وقيل سنة ٤٦٣ هـ.

- ٤ . أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن علي المعروف بابن الواسطي المعاصر للشريف المرتضى .
- ٥ . أبو المرجا (أبو الرجاء) محمد بن علي بن طالب البلدي وهو ممن روى عنه بالقاهرة.
- ٦ . الشريف أبو عبد الله محمد بن عبيد الله بن الحسين بن طاهر الحسيني.
- ٧ . القاضي أبو الحسن محمد بن علي بن محمد بن صخر الأزدي البصري ، روى عنه بمصر سنة ٤٢٦ هـ قراءة عليه.
- ٨ . أبو محمد عبد الله بن عثمان بن حماس ، روى عنه بمدينة الرملة.
- ٩ . أبو القاسم هبة الله بن إبراهيم بن عمر الصواف ، روى عنه بمصر.

- ١٠ . القاضي أبو الحسن أسد بن إبراهيم بن كليب السلمى الحرّانيّ نزيل بغداد ، روى عنه في مدينة الرملة سنة ٤١٠ هـ ، وقد أكثر الراوية عنه في كنز الفوائد ، وقال ابن عساكر عنه : كان من أشدّ الشيعة وكان متكلمًا. مات بعد الأربعمئة. (١)
- ١١ . أبو الحسن محمد بن أحمد بن عليّ بن الحسن بن شاذان القمّيّ ، روى عنه الكراجكيّ بمكة المكرمة سنة ٤١٢ هـ (٢) وأورد في الكنز كثيرا من رواياته عنه ، وهو ابن أخت أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمّيّ الشهير المتوفّي سنة ٣٦٧ / ٣٦٨ هـ.
- ١٢ . الحسين بن محمد بن علي الصيرفي البغداديّ ، قال الكراجكيّ عنه: وكان مشتهرا بالعناد لآل محمد والمخالفة لهم. وسمعت من هذا الراوي المخالف عدة فضائل لآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) سخره الله لنقلها فرواها راغما حجة عليه بها. (٣)
- ١٣ . الشريف أبو منصور أحمد بن حمزة الحسيني العريضي ، روى عنه في الرملة.
- ١٤ . أبو العباس أحمد بن إسماعيل بن عنان ، روى عنه بجلب. (٤)
- ١٥ . أبو الحسن عليّ بن أحمد اللغوي المعروف بابن ركاز ، روى عنه في ميافارقين سنة ٣٩٩.
- ١٦ . القاضي أبو الحسن عليّ بن محمد السباط البغداديّ.
- ١٧ . أبو الحسن طاهر بن موسى بن جعفر الحسيني ، روى عنه بمصر سنة ٤٠٧ هـ.
- ١٨ . أبو سعيد أحمد بن محمد بن أحمد الماليني الهروي ، روى عنه في الرملة سنة ٤١٠ هـ في شوال.

(١) انظر : لسان الميزان ج ١ صلى الله عليه وآله وسلم ٣٨٢.

(٢) ورد في الكنى والألقاب ج ١ صلى الله عليه وآله وسلم ٨٣١ تاريخ قراءة الكراجكيّ سنة ٣١٢ وهو اشتباه دون ريب.

(٣) انظر كنز الفوائد صلى الله عليه وآله وسلم ١٥٤ من الطبعة القديمة.

(٤) أبو العباس هذا يروي عن أبي المفضل محمد بن عبد الله الشيباني شيخ عدة من مشايخ الطوسي (الطبقات ج ٢ صلى الله عليه وآله وسلم ٧٣).

١٩ . أبو العباس أحمد بن نوح بن محمد الحنبلي الشافعي ، روى عنه بالرملة سنة ٤١١ هـ حديثا عن المعمر الشرقي .

٢٠ . أبو الحسن علي بن الحسن بن مندة ، روى عنه الكراچكي حديث الطائر المشوي في طرابلس سنة ٤٣٦ هـ ، وأورد هذا الحديث في كتابه (تفضيل علي على غيره).

٢١ . أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ، شيخ الطائفة وصاحب كتابي التهذيب والاستبصار (٣٨٥٤٦٠ هـ) ذكره كما حكى عن منتجب الدين صاحب الفهرست في مشايخ الكراچكي .

ومن الملاحظ أن الكراچكي لم يرو حديثا واحدا عنه في كتابه (كنز الفوائد). ومن هنا شك بعضهم في صحة ذلك.

«تلاميذ المؤلف»

عرفنا من تلاميذه الذين أخذوا عنه جماعة وهم:

- ١ . الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن الحسين الخزاعي المعروف بالمفيد النيسابوري ، وهو من شيوخ العلماء ، صاحب التصانيف ، وعم والد الشيخ أبي الفتوح الرازي جعفر بن علي بن محمد بن أحمد. (١)
- ٢ . أبو محمد ربحان بن عبد الله الحبشي. (٢)
- ٣ . السيد أبو الفضل ظفر بن الداعي بن مهدي العلوي المصري العمرى الأسترآبادي ، كان فقيها صالحا ، يروي عن عبد الله بن عمر الطرابلسي .

(١) هو تلميذ الرضي المرتضى والطوسي وسالار وابن البراج والكراچكي (الذريعة ج ٢ صلى الله عليه وآله وسلم ٣١ ١).

(٢) في لسان الميزان ج ٢ صلى الله عليه وآله وسلم ٤٦٩ : ربحان الحبشي أبو محمد السبيعي الإمامي المصري ، تفقه على علي ابن عبد الله بن كامل ، روى عنه شاذان بن جبريل ، قال : ابن أبي طي قال لي أبي : كان الفقيه ربحان من أحفظ الناس ، وقيل كان يصوم كثيرا ولا يأكل إلا من طعام يعلم أصله ، وكان ابن رزيك (أي الوزير الفاطمي) يعظمه ويحترمه ، كان بعد الخمسين وخمسمائة.

٤ . عبد العزيز بن أبي كامل القاضي عزّ الدين الطرابلسي .

٥ . الفقيه أبو عبد الله الحسين بن هبة الله الطرابلسي ^(١) ، روى عن الكراجكيّ كتاب معدن الجواهر ، وكتاب روضة العابدين الذين ألفه الكراجكيّ لولده موسى ..

٦ . الشيخ شمس الدين أبو محمّد الحسن الملقب بحسكا الرازيّ ابن الحسين بن الحسن بن الحسين بن عليّ بن بابويه القمّيّ من تلاميذ الطوسيّ وسالار الديلميّ وابن البرّاج ، وحسكا مخفف (حسن كيا) ومعنى كيا الرئيس ونحوه من كلمات التعظيم ، وهو فقيه عصره ، روى عن الكراجكيّ ، وهو جد منتجب الدين ابن بابويه صاحب الفهرست ^(٢) «مؤلفاته»

وقد وضع الكراجكيّ عددا ضخما من مؤلفاته في مواضيع مختلفة ، كما أشرنا من قبل .

وقد ذكرها العلامة النوريّ في كتابه (المستدرک) صلى الله عليه وآله وسلم ٤٩٧٤٩٩ .

وفيما يلي شطر من هذه المؤلّفات .

١ . روضة العابدين ونزهة الزاهدين ، ثلاثة أجزاء في الصلاة ، ألفه لولده موسى . ينقل عنه الشيخ شمس الدين محمّد وأخوه تقيّ إبراهيم الكفعمي ، ^(٣) ويرويه عنه الحسين بن هبة الله الطرابلسي . ^(٤)

٢ . الرسالة الناصرية في عمل ليلة الجمعة ويومها ، عملها للأمير ناصر الدولة بدمشق .

٣ . التلقين لأولاد المؤمنين ، ألفه بطرابلس .

(١) في الذريعة ج ١ / ٩ / صلى الله عليه وآله وسلم ٥٦١ ذكر له كتاب (الفرج في الغيبة) وورد اسمه هكذا أبو عبد الله محمّد ابن هبة الله بن جعفر الوراق الطرابلسي تلميذ الطوسيّ .

(٢) انظر : البحار ج ١ / ٢٠٢ صلى الله عليه وآله وسلم ٢٤٤ وص ٢٦٤ هامش وانظر : الكنى والألقاب ج ٣ صلى الله عليه وآله وسلم ٨١١ = ٨٢١

(٣) انظر : طبقات الشيعة ج ٥ صلى الله عليه وآله وسلم ٧٩١

(٤) المصدر صلى الله عليه وآله وسلم ٦٩ .

- ٤ . التهذيب متصل بالتلقين ، ألفه بطرابلس.
- ٥ . معونة الفارض على استخراج سهام الفرائض ، ألفه بطرابلس لبعض الإخوان.
- ٦ . المنهاج إلى معرفة مناسك الحاج ، ألفه للأمير صارم الدولة ذي الرئاستين.
- ٧ . المقنع للحج والزائر ، سألته لتأليفه القائد أبو البقاء غرز بن براك.
- ٨ . المنسك العضوي أمره بعمله صارم الدولة بطبرية.
- ٩ . منسك لطيف في مناسك النسوات أمره بعمله صارم الدولة.
- ١٠ . نصح البيان في مناسك النسوات أمره بعمله الشيخ الجليل أبو الكتائب أحمد بن محمد بن عمار بطرابلس.
- ١١ . الاستطراف فيما ورد في الفقه من الإنصاف ، صنفه للقاضي أبي الفتح عبد الحاكم.
- ١٢ . مختصر دعائم الإسلام للقاضي النعمان ، قاضي الفاطميين.
- ١٣ . الاختيار من الأخبار ، وهو اختصار كتاب الأخبار للقاضي النعمان.
- ١٤ . ردع الجاهل وتنبيه الغافل ، وهو نقض كلام أبي المحاسن المعري الذي نقض به على الشريف المرتضى في المسح على الرجلين ، عمله بطرابلس.
- ١٥ . البستان في الفقه ، صنفه للقاضي أبي طالب عبد الله بن محمد بن عمار. ^(١)
- ١٦ . الكافي بصحة القول برؤية الهلال ، عمله بمصر.
- ١٧ . نقض رسالة فردان المروزي في الجزء.
- غاية الإنصاف في مسائل الخلاف ، وهو نقض على أبي الصلاح الحلبي في مسائل خلافة بينه وبين الشريف المرتضى ، نصر فيها رأي المرتضى.
- ١٩ . حجة العالم في هيئة العالم ، ذكر فضلا منه في كتاب كنز الفوائد.
- ٢٠ . كتاب ذكر الأسباب الصارفة عن معرفة الصواب.
- ٢١ . دامغة النصارى ، وهي نقض كلام أبي الهيثم النصراني فيما رآه من تثبيت الفالوث والاتحاد.

(١) ويقع في نيف وثلاثين شجرة طبقات ٥ صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٠٩٠ وربما كان هو كتابه المشجر الآتي.

- ٢٢ . الغاية في الأصول في حدوث العالم وإثبات محدثه.
- ٢٣ . رياضة العقول في مقدمات الأصول.
- ٢٤ . الراشد أو (الرائد) المنتخب من غرر الفوائد وهو كتاب الأمالي للشريف المرتضى.
- ٢٥ . جواب رسالة الأخوين ، يتضمن الرد على الأشعرية وفساد أقوالهم وطعنهم على الشيعة.
- ٢٦ . عدة البصير أو (المصير) في حجج يوم الغدير ^(١) ، عمله بطرابلس للشيخ أبي الكتائب ابن عمار.
- ٢٧ . التعجب في الأمانة من أغلاط العامّة ، وهو مطبوع في آخر كنز الفوائد في ربيع الأوّل سنة ١٣٢٢ هـ وعدد صفحاته ٦٩ صفحة.
- ٢٨ . الاستنصار في النصّ على الأئمّة الأطهار ، وهو مطبوع مع كتاب مقتضب الأثر للغيّاشي أحمد بن محمّد بن عبد الله بن الحسن بن عيّاش المتوفّي سنة ٤٠١ هـ ، وقد طبع سنة ١٣٤٦ هـ في النجف في المطبعة العلوية عن نسخة كانت في مكتبة المرجع مبرزاً محمّد حسن الشيرازي المتوفّي سنة ١٣١٢ وكانت كتابتها قبل سبعة قرون سابقة على طباعتها.
- ٢٩ . معارضة الأضداد باتفاق الأعداد.
- ٣٠ . المسألة القيسرانية في تزويج النبيّ صلّى الله عليه وآله عائشة وحفصة.
- ٣١ . المسألة التبانة في فضل أمير المؤمنين (عليه السلام) على جميع البرية سوى سيدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله.
- ٣٢ . مختصر تنزيه الأنبياء ، والأصل للشريف المرتضى.
- ٣٣ . الانتقام ممن عدل أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو النقض على ابن شاذان الأشعري فيما أورده في آية النار.
- ٣٤ . الفاضح في ذكر معاصي المتغلبين على مقام أمير المؤمنين لم يتم.

(١) قال النوريّ في المستدرک ج ٣ صلى الله عليه وآله وسلم ٤٩٨ : هذا كتاب مفيد يختصّ باثبات أمانة أمير المؤمنين (عليه السلام) في يوم الغدير ، جزء واحد مائتا ورقة ، بلغ الغاية فيه (الغدير ج ١ صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٥٥).

- ٣٥ . مزيل اللبس ومكمل الانس.
- ٣٦ . نظم الدرر في مبنى الكواكب والصور ، يتضمن ذكر أسماء الكواكب المسماة على ما نطقت به العرب وأهل الرصد.
- ٣٧ . إيضاح السبيل إلى علم أوقات الليل.
- ٣٨ . كتاب في الحساب الهندي وأبوابه وعمل الجذور والمكعبات.
- ٣٩ . معدن الجواهر ورياضة النواظر ، في الآداب والحكم ومما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ^(١).
- ٤٠ . رياضة الحكم ، عارض فيه ابن المقفع. ^(٢)
- ٤١ . موعظة العقل ، عملها لنفسه.
- ٤٢ . التعريف بوجوب حقّ الوالدين ، عملها لولده موسى
- ٤٣ . إذكّار الاخوان بوجوب حقّ الأيمان ، أنقذها إلى الشيخ الأجل أبي الفرج الباطلي. ^(٣)
- ٤٤ . نصيحة الأخوان ، أنقذها إلى الشيخ أبي اليقظان.
- ٤٥ . التحفة في الخواتيم.
- ٤٦ . الرسالة العلوية في تفضيل أمير المؤمنين (عليه السلام) على سائر البرية سوى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عملها للشرّيف أبي طالب.
- وهو على الظاهر نفس كتاب التفضيل المذكور سابقا ، وفيه يروي عن ابن مندة ^(٤) حديث الطائر

(١) رواه عنه تلميذه الفقيه أبو عبد الله الحسين بن هبة الله الطرابلسي ، انظر الطبقات ٥ صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٧٩ وترجمه إلى الفارسية الشيخ عبّاس القمّي المحدث المعروف.

(٢) هو عبد الله بن المقفع البليغ المشهور مترجم كتاب كلية ودمنة.

(٣) يحمل أن يكون الباطلي هذا نسبة إلى قرية البابلية العاملة أو القرية المذكورة نسبة إليه وهي تقع جنوبي مدينة صيداء قريبة من بلدة الصرّند.

(٤) هو أبو الحسن عليّ بن الحسن بن مندة ، روى عنه الكراچكيّ سنة ٤٣٦ هـ في طرابلس حديث الطائر المشوي في كتابه تفضيل عليّ عليه وآله وسلم ، وقال أنّه روى ابن مندة رواية الطائر المشوي عن شيخه الحسين بن يعقوب البزاز سنة ٣٧٠ هـ. عن (الطبقات ج ٢ صلى الله عليه وآله وسلم ١ ١ ٩) انظر: الحياة الثقافية في طرابلس صلى الله عليه وآله وسلم ٢٨١.

المشوي ، توجد فيه نسخة ضمن مجموعة في مكتبة مجد الدين صدر الأفاضل في طهران. كما يبدو انه عملها للشيخ أبي طالب ابن عمار ، لا للشريف ابن طالب.

- ٤٧ . المجلس شبيه الكشكول في خمسة أجزاء في خمسمائة ورقة.
- ٤٨ . انتفاع المؤمنين بما في أيدي السلاطين ، عملها للأخوان حرسهم الله بصيحاء.
- ٤٩ . الأنيس ، يقع في ألفي ورقة ، وهو محبوب في كل فن ، مات ولم يتمه.
- ٥٠ . مختصر ابن جذاع في ذكر المعقبين من ولد الحسن والحسين (عليهم السلام) في الأنساب
- ٥١ . الزاهد في آداب الملوك ، عمله للأمير صارم الدولة ذي الفضيلتين.
- ٥٢ . كنز الفوائد ، وهو مطبوع سنة ١٣٢٢ هـ ^(١).
- ٥٣ . تسلية الرؤساء عملها للأمير ناصر الدولة.
- ٥٤ . التأديب عمله لولده.
- ٥٥ . المجالس في مقدمات صناعة الكلام ، أمر بعملها الأمير صارم الدولة ولم يتم.
- ٥٦ . الاقناع عند تعذر الإجماع في مقدمات الكلام ولم يتم.
- ٥٧ . الكفاية في الهداية في مقدمات أصول الكلام ولم يتم.
- ٥٨ . الأصول إلى مذهب آل الرسول ، يتضمن الأخبار بالمذهب من غير أدلة ، عملها للاخوان بصور سنة ٤١٨ هـ أو سنة ٤١٦ هـ.
- ٥٩ . البيان عن دلالة شهر رمضان ، يتضمن نظرة القول بالعدد في معرفة أوائل الشهور ، عمله بالرملة لقاضي القضاة.

(١) عمله لابن عمه ، صرح بذلك الطهراني في الذريعة ج ١ ٨ صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٦١ من دون ذكر اسمه. وقال: انه كبير في خمسة أجزاء. لكن الموجود منه حسب النسخة المطبوعة جزء ان فقط ، وهذا يعود إما لسقوط طائفة كبيرة منه ، وإما للاختلاف بين المطبوع والأصل في الترتيب والتقسيم.

- ٦٠ . جواب الرسالة الحازمية في إبطال العدد وتثبيت الرؤية ، وهي ردّ على أبي الحسن بن أبي حازم المعري.
- ٦١ . الرسالة العامرية في الجواب عن مسألة سألت عنها الغلاة ، أمر بعملها الأمير قوام الدولة وأنفذها. إلى العامري ، عملت بالقاهرة.
- ٦٢ . مختصر القول في معرفة النبيّ صلّى الله عليه وآله بالكتابة وسائر اللغات ، عمله بالقاهرة لأبي اليقظان.
- ٦٣ . مختصر طبقات الوزّاث ، عمله للمبتدئين بطرابلس.
- ٦٤ . المدهش سألّه في عمله سائل ، ولا نعرف موضوعه.
- ٦٥ . الرسالة الصوفية ، سألّه عملها بعض الإخوان.
- ٦٦ . الإيضاح عن أحكام النكاح ، أمر بعمله الأمير ذخر الدولة بصيدا ، في سنة ٤٤١ هـ في جزء واحد يحرر فيه الخلاف بين الإماميّة والإسماعيلية.
- ٦٧ . التنبيه على أغلاط أبي الحسن البصري في فصل ذكره في الإمامة.
- ٦٨ . الباهر في الاخبار.
- ٦٩ . نصيحة الشيعة لم يتم.
- ٧٠ . مسألة العدل في المحاكمة إلى العقل لم يتم.
- ٧١ . هداية المسترشد لم يتم.
- ٧٢ . الفهرست. وينقل عنه السيّد ابن طاوس في آخر كتاب (الدروع الواقية) عند ذكره جعفر بن أحمد القمّيّ قال ما لفظه : ذكر الكراجكيّ في كتاب الفهرست أنّه صنف ٢٢٠ كتابا بقم والري^(١) كما ينقل عنه في لسان الميزان في أكثر من مورد.
- ٧٣ . رسالة في الخلاء والملاء ، وهي ممّا احتوى عليه كنز الفوائد.
- ٧٤ . رسالة في الرد على الغلاة ، وهي ممّا تتضمنه كنز الفوائد.

(١) الطبقات ٥ صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٧٩.

- ٧٥ . رسالة في الرد على المنجّمين ، وهي ممّا احتواه كنز الفوائد ، ولكنها من النصوص المفقودة لم تطبع في الكنز ، إلّا أن السيّد ابن طاوس في كتابه النجوم نقل عن كنز الفوائد قطعة كبيرة يحتمل أن تكون من هذه الرسالة.
- ٧٦ . الرحلة ، أشار إليها ابن أبي طيّ في فهرسته في ترجمة القاضي الحسين بن بشر بن علي الطرابلسي ، له مناظرة مع الخطيب البغداديّ ذكرها الكراجكيّ في رحلته ، وقال : حكم له على الخطيب بالتقدم في العلم ، وأشار إلى هذا في لسان الميزان ج ٢ صلى الله عليه وآله وسلم ٢٧٥ نقلا عن ابن أبي طيّ.
- ٧٧ . الاعلام بحقيقة إسلام أمير المؤمنين عليه السلام ، وهي ممّا تضمنه كنز الفوائد.
- ٧٨ . رسالة كتبها إلى بعض الإخوان تتضمن كلاما في وجوب الإمامة.
- ٧٩ . رسالة في جوابه عن سؤال ورد إليه عن الحجّ ، وهي ممّا تضمنه كنز الفوائد.
- ٨٠ . كتاب البرهان على صحة طول عمر الإمام صاحب الزمان ألفها سنة ٤٢٧ ، وهي ممّا تضمنه كنز الفوائد.
- ٨١ . كتاب النوادر.
- ٨٢ . كتاب الإبانة عن المماثلة في الاستدلال بين طريق النبوة والإمامة.
- ٨٣ . المزار وهو مختصر في زيارة إبراهيم الخليل (عليه السلام)
- ٨٤ . شرح جمل العلم للشريف المرتضى.
- ٨٥ . كتاب النصوص ، ولعله كتاب الاستبصار في النصّ على الأئمة الأطهار الذي مرّ ذكره.
- ٨٦ . الأخبار في الأحاد.
- ٨٦ . الوزيري.
- ٨٧ . المشجر.

هذا الكتاب

إذا كان هناك كتاب يطابق اسمه مسماه ، ويعبر عنوانه عن حقيقته تعبيراً صادقا عن واقع محتواه ، فهو هذا الكتاب (كنز الفوائد) ودون مبالغة وتجوز.

وما على القارئ ليدرك صحة هذا القول ، إلا أن يقلب صفحاته ، ويمعن في قراءته ودراسته ، فإنه سيخرج = بعد هذا = دون ريب بهذه الحقيقة التي أشرنا إليها ، وسيجد بين يديه ثروة متنوعة دسمة من المعرفة ، من أنواع الفكر والثقافة والتاريخ والأدب ، مما لم يجده في سواه ، تتفق مع مستويات القراءة الثقافية المختلفة.

فهو ينبوع معين ، تأخذ منه وتستفيد مختلف الطبقات ، وعلى مختلف اتجاهاتهم العلمية والثقافية.

ويمتاز بالإضافة إلى ذلك في تناوله أمهات مسائل إسلامية وفلسفية بالبحث والدراسة العميقة ، ويسهب في عرضها ومناقشتها ، وتفنيدها ما حولها من آراء أخرى ، ويدلي بالأدلة والبراهين العقلية والعلمية على صحة ما يذهب إليه.

كما يمتاز بأسلوبه الواضح الخلو من التعقيد ، حتى في أدق المسائل الفكرية التي عرضها في كتابه وناقشها ، كمسألة حدوث العالم ، ومسألة الحال التي يقول بها المعتزلة ، ومسألة الكسب الأشعرية ، والمسائل الخلافية بين الشيعة والسنة ، كالإمامة والعصمة وسواها. يناقش كل ذلك بدقة وعمق ووضوح.

ويمتاز أيضا أنه قد ضم بين دفتيه موضوعات فلسفية وكلامية وأدبية

وفقهية ، وتاريخية وتفسيرية ، وغير ذلك من حكم ومواعظ وتعاليم. أتى عليها بروح عالم يقدر المسؤولية ، وذي طبيعة ثقافية جياشة ، وباحساس المفكر العالم الذي يريد للمعرفة أن تشمل ، وللحقيقة أن تبرز ، وللباطل أن يزهق. انه مجموعة من مواضيع شتى علمية وفلسفية وغيرهما ، لا يكتفي بعرضها عرضا عابرا ، بل يحرص على تقريرها ونقدها ، وعلى بيان ما فيها من صحة وفساد.

وقد كان هناك مفكرون وضعوا مجاميع سبقت عصر الكراجكيّ أو تأخرت عنه ، كتلك المؤلّفات التي تعرف بالأُمالي ، أو التي تعرف (بالكشكول) في العصور المتأخرة عن الكراجكيّ ، لكنها لم ترتفع إلى مستوى هذا الكتاب (كنز الفوائد) لأن غالبها ذو لون واحد ، وذو اتجاهات معينة ، فبعضها كان الغالب عليه التاريخ ، وبعضها كان فقها ، وبعضها كان أدبيا ، وبعضها الآخر جمع بين هذا وهذا ، إلّا أنّه كان الغالب فيها السرد والغرض دون مناقشة علمية أو بحث موضوعي.

وميزة أسلوب الكراجكيّ في هذا الكتاب أسلوب تعليمي ، ومن هنا تجده يسهب أحيانا كثيرة في بيان ما يريد وفي مقام النقد والمناقشة. وإن كثيرا من آرائه هي آراء شخصية خاصّة به ، لا تمثل الوجهة الشيعية بصورة واضحة وبخاصّة تلك المواضع الكثيرة التي تختلف فيها وجهات النظر والاجتهاد ، كما في كثير من تفسير الآيات والأحاديث.

كما أن كثيرا ممّا يرويّه لا يمكن الاعتماد عليه وبخاصّة فيما يتعلق بالخوارق ، ولكن الرجل ناقل عن غيره (وناقل الكفر ليس بكافر) كما يقال. وهذا الكتاب يعكس اهتمامات العلماء والمفكرين في المسائل المطروحة في عصرهم ، والتي أخذت كثيرا من جوانب تفكيرهم ، وكانت محور نزاعاتهم ومناظراتهم.

وقد ضمن المؤلّف كتابه (كنز الفوائد) بعض رسائله ، فأدرجها فيه ، من ذلك:

- ١ . مختصر من الكلام في أن للحوادث أولا .
- ٢ . القول المبين عن وجوب المسح على الرجلين ، وهي رسالة كتبها إلى أحد الأخوان .
- ٣ . البيان عن جمل اعتقاد أهل الإيمان ، وهي رسالة كتبها إلى أحد الاخوان .
- ٤ . كتاب الإعلام بحقيقة إسلام أمير المؤمنين عليه السلام ، كتبه لبعض الإخوان .
- ٥ . المقدمات في صناعة الكلام .
- ٦ . رسالة في وجوب الإمامة ، كتبها لبعض الإخوان .
- ٧ . مختصر التذكرة بأصول الفقه ، استخرجها لبعض الإخوان من كتاب أستاذه الشيخ المفيد .
- ٨ . البرهان على صحة طول عمر صاحب الزمان ، كتبها سنة ٤٢٧ .
- ٩ . الرد على الغلاة .
- ١٠ . رسالة في جوابه عن سؤال ورد إليه عن الحجّ .

* * * *

لقد كانت النسخة المطبوعة سنة ١٣٢٢ سقيمة جدا ، وكثير من الكلمات فيها غير واضح ، لكن حافظت على نص كلام المؤلف كما هو بقدر الإمكان ، إلا في المواضع غير الواضحة ، فصححتها ووضعتها بين قوسين ، وإلا في المواضع التي لم يتضح المراد منها ، فوضعت مكانها ثلاث نقط . ونجد شطرا كبيرا من مؤلفاته قد وضعه بطلب من بعض شخصيات عصره ، من علماء وأمرء وقضاة وغيرهم في مواضع فقهية وغيرها . فقد ألف للأمير ناصر الدولة بدمشق ، الرسالة الناصرية في عمل ليلة الجمعة ويومها ، وكتاب تسليية الرؤساء . وألف للأمير صارم الدولة ذي الرئاستين بطبرية (المنسك العضبي) و (المنسك اللطيف في مناسك النسوان) ، و (المنهاج إلى معرفة مناسك الحاج) و

(الزاهد في آداب الملوك) ، و (المجالس في مقدمات صناعة الكلام) لم يتم.

وَألف للشيخ الجليل أبي الكتائب أحمد بن محمد بن عمار بطرابلس ، نهج البيان في مناسك النسوان ، بطلب منه ، وعدة البصير (أو المصير) في حجج يوم القدير.

وَألف للشيخ الأجل أبي الفرج البابلي ، كتاب (إذكار الأخوان بوجوب حق الإيمان).

وَألف للقاضي أبي طالب عبد الله بن محمد بن عمار ، كتاب (البستان في الفقه) والرسالة العلوية في تفضيل أمير المؤمنين على سائر البرية سوى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

وَألف للقاضي أبي الفتح عبد الحاكم ، كتاب (الاستطراف فيما ورد في الفقه من الأنصاف).

وَألف بالقاهرة للشيخ أبي يقظان ، كتاب (نصيحة الإخوان) ، ومختصر القول في معرفة النبي صلى الله عليه وآله بالكتابة وسائر اللغات.

وَألف بالقاهرة أيضا للعامري ، الرسالة العامرية في الجواب عن مسألة سألت عنها الغلاة. وأمره بعملها الأمير قوام الدولة.

وَألف بصيداء سنة ٤٤١ هـ بأمر الأمير زخر الدولة ، (كتاب الإيضاح عن أحكام النكاح) في جزء واحد ، يحرر فيه الخلاف بين الإمامية والإسماعيلية.

وَألف للقائد أبي البقاء فرز بن براك بسؤال منه كتاب المقنع للحاج والزائر.

ونجد إلى جانب ذلك أن فهرست مؤلفاته قد اشتمل على مؤلفات وضعها في الرد على المخالفين ، من ذلك:

١ . ردع الجاهل وتنبيه الغافل ، وهو نقض كلام أبي المحاسن المعري الذي نقض به على الشريف المرتضى في المسح على الرجلين في مسألة الوضوء ، ألفه بطرابلس.

٢ . نقض رسالة فردان المروزي في الجزء ، وهي المسألة الفلسفية في قضية الجزء الذي لا يتجزأ.

- ٣ . غاية الإنصاف في مسائل الخلاف ، وهو نقض على أبي الصلاح الحلبي من فقهاء الشيعة في مسائل خلافتية بينه وبين الشريف المرتضى ، نصر فيها رأي المرتضى.
- ٤ . دامغة النصاري ، وهي ردّ كلام أبي الهيثم النصرائي فيما رآه من تثبيت الثالث والاتّحاد.
- ٥ . جواب رسالة الأخوين ، في الرد على الأشعرية وفساد أقوالهم وطعنهم على الشيعة.
- ٦ . الانتقام ممن عذل أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وهو النقض على ابن شاذان الأشعري فيما أورده في آية الغار.
- ٧ . جواب الرسالة الحازمية في إبطال العدد وتثبيت الرؤية ، وهي ردّ على أبي الحسن بن أبي حازم المصري.
- التنبيه على أغلاط أبي الحسن البصري في فصل ذكره في الإمامة.
- ٩ . رسالة في الرد على الغلاة.
- ١٠ . رسالة في الرد على المنجمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين فإنه خير معين

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وصلى الله على سيدنا محمد رسوله خاتم النبيين وآله الطاهرين.

مختصر من الكلام في أن للحوادث أولا

اعلم أيديك الله أن من الملحدة فريقا يشبتون الحوادث ومحدثها ويقولون إنه لا أول لوجودها ولا ابتداء لها.

ويزعمون أن الله سبحانه لم يزل يفعل ولا يزال كذلك وأن أفعاله لا أول لها ولا آخر فقد خالفونا في قولهم إن الأفعال لا أول لها إذ كنا نعتقد أن الله تعالى ابتدأها وأنه موجود قبلها ووافقونا بقولهم لا آخر لها لأنهم وإن ذهبوا إلى بقاء الدنيا على ما هي عليه واستمرار الأفعال فيها وأنه لا آخر لها فإننا نذهب في دوام الأفعال إلى وجه آخر وهو تقضي أمر الدنيا وانتقال الحكم إلى الآخرة واستمرار الأفعال فيها من نعيم الجنة الذي لا ينقطع عن أهلها وعذاب النار الذي لا ينقضي عن المخلدين فيها ^(١) فأفعال الله عز وجل من هذا الوجه لا آخر لها.

(١) وذهب الجهم بن صفوان المقتول في تستر في أواخر حكم بني أمية قتله سالم بن أحوز المازني ، ذهب إلى القول بأن حركات أهل الخلددين (الجنة والنار) تنقطع ، والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلها فيها ، وتلذذ أهل الجنة بنعيمها وتألم أهل النار بجحيمها ، متعللا بأنه لا يتصور حركات لا تنتهي آخر كما لا تتصور حركات لا تنتهي أولا ، وحمل ما دل على التخليد في كلام الله على المبالغة والتأكيد دون الحقيقة ، ومستشهدا بقوله تعالى (خالدين فيها ما دامت =

وهؤلاء أيديكم الله هم الدهرية القائلون بأن الدهر سرمدية لا أول له ولا آخر وأن كل حركة تحرك بها الفلك فقد تحرك قبلها بحركة من غير نهاية وسيتحرك بعد بحركة بعدها حركة لا إلى غاية وأنه لا يوم إلا وقد كان قبله ليلة ولا ليلة إلا وقد كان قبلها يوم ولا إنسان إلا أن يكون من نطفة ولا نطفة تكونت إلا من إنسان ولا طائر إلا من بيضة ولا بيضة إلا من طائر ولا شجرة إلا من حبة ولا حبة إلا من شجرة.

وأن هذه الحوادث لم تنزل تتعاقب ولا تزال كذلك ليس للماضي فيها بداية ولا للمستقبل فيها نهاية وهي مع ذلك صنعة لصانع لم يتقدمها وحكمة من لم يوجد قبلها وأن الصنعة والصانع قديمان لم يزالا^(١) تعالى الله الذي لا قديم سواه وله الحمد على ما أسداه من معرفة الحق وأولاه. وأنا بعون الله أورد لك طرفا من الأدلة على بطلان ما ادعاه الملحدون وفساد ما تخيله الدهريون.

= السماوات والأرض إلا ما شاء ربك) ووافقه على انقطاع حركات أهل الخلدتين كل من أبي الهذيل العلاف وإبراهيم النظام من المعتزلة.

وقد فات هؤلاء أن حركات أهل الخلدتين ليست لذاتها ولنفسها ، وإنما بقاؤها بالعرض تابع لوجود المبقى وهو الله الحي الباقي.

وزاد أبو الهذيل والنظام على ذلك أن أهل الخلدتين بصيرون إلى سكون دائم جمودا وتجتمع اللذات في ذلك السكون لأهل الجنة ، وتجتمع الآلام في ذلك السكون لأهل النار.

كل ذلك فرارا من وجود حوادث لا آخر لها كوجود حوادث لا أول لها ، إذ كل منهما لا يتناهى.

وقد فاتهما أن السكون كالحركة يلزم منه ما فرما يلزمهما في الحركة ، وبخاصة أنه أحد الأكوان الأربعة.

ولهشام بن الحكم مناظرة طريفة مع أبي إسحاق النظام حول هذه المسألة ، لم يحر النظام معه جوابا. ذكرناها في كتابنا (هشام بن الحكم) انظر صلى الله عليه وآله وسلم ٢١٥ =

٢١٦.

١ وهذا الرأي منسوب إلى كثير من الفلاسفة الإسلاميين كأبي بكر محمد بن زكريا الرازي الفيلسوف والطبيب المشهور المولود عام (٣١١ هـ).

وخلاصة هذا الرأي ان الصانع متقدم على الصنعة رتبة لا زمانا ، كتقدم العلة على المعلول الذي لا يتخلف عن علته الموجبة وقد ترجمنا له في كتابنا (فلاسفة الشيعة) ، وعرضنا فيه لرأيه في هذا الموضوع بدراسة وافية.

دليل

مما يدل على أن الحوادث الماضية لا بد لها من أول أننا في كل وقت من أوقات زماننا بين آخر ما فيها وأول مستقبلها فقد علمنا لا محالة آخر ما مضى وهو أحد طرفيه.

ثم نحن نعلم علما لا نشك فيه أن ما يأتي من مستقبل الحوادث إلى مائة سنة يكثر عدد الماضي ويزيد فيه. فمعلوم أنه قبل الزيادة أقل عددا منه إذا انضمت أي الزيادة إليه وهذا يدل على تناهي عدد ما مضى وحصر طرفيه لأنه لو كان لا نهاية له لم تتصور العقول دخول التكثر فيه.

وقد صح بما بيناه أن الحوادث الماضية تصير إلى مائة سنة أكثر عددا مما هي اليوم عليه. ^(١)

فبان بهذا تناهيها وصح أولها كما صح آخرها ويبطل مقال الدهرية فيها.

معارضة

وقد قال الملحدون إن جميع ما ذكرتموه في الماضي عائد عليكم في المستقبل لأنكم تقولون إن أفعال الله تعالى المستقبل لا آخر لها ومع هذا فقد علمتم أولها وهو أحد طرفيها فيجب أن يكون ما يوجد إلى مائة سنة ينقص منها وإذا دخل النقصان فيها دل على تناهيها وانحصار طرفيها.

انفصال

فيقال لهم بين الماضي والمستقبل في ذلك فرق وهو أن الحوادث الماضية ليس منها إلا ما كان موجودا قبل مضيه فقد شمل جميعها حكم الوجود فوجب أن يزيد فيها كل ما يخرج إلى الوجود.

وليس المستقبل كذلك لأنها لم توجد وإنما هي في إمكان الفاعل فلا يصح فيها النقص ولا سبيل إلى القول فيها بالتناهي.

(١) يعني به اليوم الذي افترضه.

دليل آخر على تناهي ما مضى

وهو أنه قد مضت أيام وليال ووقفنا اليوم عند آخرها فلا يخلو أن تكون الأيام أكثر عددا من الليالي أو يكون الليالي أكثر من الأيام أو يكونا في العدد سواء.

فإن كانت الأيام أكثر من الليالي تناهت الليالي لأنها أقل منها واقتضى ذلك تناهي الأيام أيضا لبطلان اتصالها قبل الليالي بغير ليال بينها فوجب على هذا الوجه تناهيهما معا.

وإن كانت الليالي أكثر من الأيام كان الحكم فيها نظير ما قدمنا من تناهي الأول فتناهي الأيام لزيادة الليالي عليها ويقتضي ذلك تناهي الليالي أيضا لفساد اتصالها قبل الأيام بغير أيام بينها فوجب على هذا الوجه الآخر تناهيهما معا.

وإن كانت الأيام والليالي في العدد سواء كان بمجموعها أكثر عددا من أحدهما بانفراده.

وهذا يشهد بتناهيهما إذ لو كان كل واحد منهما في نفسه غير متناه ما تصورت العقول عددا أكثر منه.

وقد علمنا أن الليالي مع الأيام جميعا أكثر عددا من أحدهما وهذا موضح عن تناهيهما.

وبهذا الدليل نعلم أيضا تناهي جميع ما مضى من الحركات والسكنات ومن الاجتماعات والافتراقات ومن الطيور والبيض والشجر والحب وما يجري مجرى ذلك.

معارضة

قال الملحدون هذا الكلام عائد عليكم في نعيم المؤمنين في الجنة وعذاب الكافرين في النار وقد زعمتم أن كل واحد منهما لا نهاية له ولستم تذهبون

إلى أن أحدهما أكثر من الآخر فنخاطبكم بما ذكرتم ولكن نقول لكم إنهما بمجموعهما أكثر عددا من أحدهما وهذا يوجب تناهيهما جميعا وحصرهما.

انفصال

يقال لهم هذا الذي ذكرتموه لا يصح في المستقبلات وهو لازم لكم في الماضيات لأن الأعداد إذا يضم بعضها إلى بعض بعد وجودها وحصرها وعدد الليل والنهار الماضيات فقد وجدا وانحصرا بالفراغ منهما والوقوف عند آخرهما فصح ضم بعضها إلى بعض وأمكن ما ذكرنا فيها. والمستقبلات من نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار فأمور متوقعة لم توجد وليس لها آخر لأنها تكون دائمة بغير انقضاء وما لم يوجد من العدد فلا يصح فيه ضم بعض إلى بعض وما يتوقع حدوثه أبدا بغير نهاية لا يكون مثل ما قد حدث وكان وتناهي بإدراك آخره في كل حال.

دليل آخر

ومما يدل على أن للأفعال الماضية أولا كونها ووجودها ولو لم يكن لها أول ما صح وجودها لأنها كالعدد الذي لا يصح أن يتوالى إلا أن يكون له أول إما واحدا أو جملة يبتدأ بها تقوم مقام الواحد.

انفصال^(١)

قيل لهم لا يجب ذلك من قبل أن المستقبل منوط بقدرة القادر والعداد يصح منه أن يعد ما دام حيا فإذا كان ليس لوجوده آخر صح أن ليس لعدة آخر ومع ذلك فلا بد من أن يكون لعدده أول.

دليل آخر

ومما يدل على أن الأفعال لا يصح وجودها إلا بعد أن يبتدأ بأولها أنه لو قيل لرجل لا تدخلن دارا حتى تدخل قبلها غيرها لم يصح منه دخول شيء من الدور أبدا ولم يمكن ذلك إلا بأن يبتدأ بواحدة منها.

(١) ورد هذا الانفصال أو الجواب من دون أن يذكر الاعتراض ، وهو على الأرجح سقط من قلم الناسخ.

سؤال

فإن قالوا هذا يستحيل كما ذكرتم في المستقبل من الأفعال لأنه لا بد للمستقبلات من أول فمن أين لكم أن هذا حكم الماضيات.

جواب

قيل لهم علمنا ذلك من قبل أن الماضيات قد كانت مستقبلة قبل وجودها ومضيها فلو لم يكن لها أول ما صح وجودها. وبعد فلو رأينا هذا الرجل الذي مثلنا به وهو يدخل دارا بعد دار فقلنا له هل كان بعد دخولك هذه الدور ابتداء حتى يقول لنا لم أبتدئ بدار منها ولا دخلت دارا حتى دخلت قبلها دورا لا تنتهي فعلنا أنه كاذب فيما ادعى.

دليل آخر

ومما يدل على تناهي الأفعال الماضية وانحصارها وصحة طرفيها خروجها إلى الوجود على كمالها وفراغ فاعلها منها وكل شيء فعله الفاعل فقد يتوهم منه أن يفعل أمثاله وهذا وجه صحيح يدل على تناهيها وانحصار طرفيها لجواز وجود أكثر منها.

معارضة

وقد قال الملحدة هذا راجع عليكم في نعيم أهل الجنة لأن الله تعالى يقدر على أمثاله فيتناهى بوجود أكثر منه.

انفصال

فيقال لهم ومتى صحت المماثلة بين الموضعين والأفعال الماضية قد خرج جميعها إلى الوجود. ونعيم أهل الجنة ليس له جميع يخرج إلى الوجود وإنما يوجد شيء من غير أن يوقف له على وجه آخر من الوجوه. فإن قالوا فقد لزمكم على هذا أن يكون الله تعالى وعد أهل الجنة بنعيم لا يصلون إلى جميعه ولا ينالون سائره.

قيل لهم قد أعلمناكم أنه لا جميع له في الحقيقة ولا سائرته إذ ليس له آخر ^(١) والذي وعدهم الله به هو نعيم متصل غير منقطع فلو وجد حتى لا يبقى منه شيء ينتظر لكان في الحقيقة لم يف لهم بما وعده.

فإن قالوا إن الأفعال الماضية أيضا لا كل لها في الحقيقة لاستحالة حصرها.

قيل لهم ولم زعمتم ذلك وقد سلمتم لنا أنها قد دخلت في باب الوجود عن آخرها واشتمل الحدوث عليها.

مسألة على الملحدة

يقال لهم أخبرونا عن الشمس أليس لم تتحرك بحركة حتى تحركت قبلها بحركات لا نهاية لها؟

فإن قالوا بلى قيل لهم فإذا جاز أن تفرغ الحركات التي لا نهاية لها وتحركت الشمس بها كلها حتى تنتهي إلى آخرها فلا جاز أن تتحرك بالحركات المستقبلية كلها حتى تفرغ منها وتقف عند آخرها ولا يبقى مستقبل بعدها.

فإن قالوا إن المستقبلات لا كل في الحقيقة لها.

أجابوا بمثل قولنا ثم لم ينفعهم ذلك فيما سألنا لأن الفراغ مما لا نهاية له قد صح عندهم وهو غير صحيح عندنا إذ يلزمهم تقضي المستقبلات حتى توقف عند آخرها.

فإن قالوا إن الشمس تتحرك بحركة واحدة باقية دائمة قيل لهم إنه ليس يلزمنا قبول ما لا طريق إلى فهمه ولا سبيل لمدعيه إلى إثبات علمه وهذا الذي زعمتموه دعوى عارية من برهان.

وبعد فإننا إذا لم ننازعكم في ذلك نسألكم :

فنقول ألسنم معترفين بأن الشمس قد دارت الفلك قبل هذه الدورة التي هي فيها دورات لا نهاية لها

(١) في الأصل (أخرى).

فلا بد لهم من الإقرار بذلك فيقال لهم فقد عاد الأمر إلى الفراغ مما لا نهاية له فما أنكرتم أن تنقضي دوراتها المستقبلية التي تقولون إنها لا نهاية لها ويفرغ منها حتى يقف عند آخرها كما فرغت فيما مضى وهي الآن في آخره فإن قالوا هذا مستحيل في المستقبل وهو صحيح في الماضي . قيل لهم بنظير الكلام المتقدم وهو أن الماضي قد كان مستقبلا فلو استحال أن يصير المستقبل ماضيا لاستحال في الماضي لأنه قد كان مستقبلا.

مسألة أخرى عليهم

يقال لهم أيجوز أن تدور الشمس في المستقبل دورات بعد الدورات الماضية أم لا يجوز ذلك؟
فإن قالوا غير جائز قيل لهم لم زعمتم ذلك وعندكم أنها تدور في المستقبل دورات لا نهاية لعددتها أفليس في ذلك ما يفي بما قد مضى؟
فإن قالوا لا يفي به جعلوا الماضي أكثر من المستقبل وأوجبوا تناهي المستقبل . وإن قالوا إن الشمس ستدور دورات يفي عددها بما مضى أوجبوا تناهي ما مضى وقيل لهم أفيبقى من المستقبل بعد ذلك بقية؟
فإن قالوا لا أقروا بوجود الأول والآخر وأوجبوا تناهي الزمان من طرفيه وجعلوا له لدورات الشمس بداية ونهاية وهو خلاف ما ذهبوا إليه .
وإن قالوا إنه ستدور دورات يفي بما مضى ويبقى من المستقبل ما لا نهاية له أيضا لم يبق شبهة في تناهي الماضي وصح أوله وبطل مذهبهم في قدمه والحمد لله .

دليل آخر على أن للأفعال الماضية أولا ^(١)

مما يدل على ذلك أنه قد ثبت أن كل واحد منها محدث كائن بعد أن لم يكن ولها محدث متقدم عليها فوجب أن تكون جميعها محدثة كائنة بعد أن

لم

(١) وهذا الدليل من أوضح الأدلة وأرسخها في الموضوع

تكن ولها محدث متقدم عليها لأن جميعها هو مجتمع آحادها ولا يصح أن يختلف في الجمع والتفريق هذا الحكم فيها.

كما أن كل واحد من الزوج بانفراده أسود فالجميع باجتماعهم سود والحكم في ذلك واحد في الجمع والتفريق.

وقد اجتمع معنا على أن جميعها أفعال الفاعل وصنعة الصانع والعقول تشهد بوجوب تقدم الفاعل على أفعاله وسبق الصانع لصنعتة وليس يخالف في ذلك إلا مكابر لعقله.

واعلم أن الملحدة لما لم تجد حيلة تدفع بها تقدم الصانع على الصنعة قالت إنه متقدم عليها تقدم رتبة لا تقدم زمان فيجب أن نطالبهم بمعنى تقدم الرتبة ليوضحوه فيكون الكلام بحسبه.

وقد سمعنا قوما منهم يقولون إن معنى ذلك أنه الفاعل فيها والمدبر لها.

فسألناهم هل ذلك يدافع عنها حقيقة الحدوث فعادوا إلى الكلام الأول من أن كل واحد من أجزاء الصنعة محدث.

فأعدنا عليهم ما سلف حتى لزمهم الإقرار بحدوث الكل وطالبناهم بحقيقة المحدث والقديم فلم يجدوا مهربا من أن التقدم والقديم في الوجود على المحدث هو التقدم المفهوم المعلوم الذي يكون أحدهما موجودا والآخر معدوما.

وليس أيضا من شرط التقدم والتأخر في الوجود أن يكون ذلك في زمان والله تعالى متقدم على جميع الأفعال. وليس أيضا من شرط التقدم والتأخر في الوجود أن يكون ذلك في زمان لأن الزمان نفسه قد يتقدم بعضه على بعض ولا يقال إن ذلك مقتض لزمان آخر.

والكلام في هذا الموضوع جليل ومن ألحق^(١) فيه سقطت عنه شبه كثيرة.

(١) كذا في النسخة.

وقد كنت اجتمعت في الرملة برجل عجمي يعرف بأبي سعيد البرذعي وكان يحفظ شبهها في هذا الباب وكنت كثيرا ما أكلمه وأستظهر بإثبات الحجة عليه فأورد علي شبهة كانت أكبر مما في يديه وتكلمت عليها بكلام لم أقنع به فأحكيه.

ثم إني كتبت كتابا إلى بغداد إلى حضرة سيدنا الشريف المرتضى ذي المجددين رضي الله عنه وذكرت الشبهة فيه فورد إلي جوابه عنها.

فأنا أذكر الشبهة والجواب وما وجدته بعد ذلك من الكلام في هذا الباب.

الشبهة

قال الملحد مستدلا على أن الصانع لم يتقدم الصنعة إني وجدت ظاهرهما لا يخلو من ثلاث خصال إما أن تتقدم الصنعة عليه أو أن تتأخر عنه أو أن يكونا في الوجود سواء.

وقد فسد باتفاق تقدمها عليه.

(١) ورد ذكر البرذعي في بعض رسائل حمزة بن علي الزوزني الذي يعتبر مؤسس المذهب الدرزي به يبدأ تاريخ الدروز سنة ٤٠٨ هـ أقول ورد ذكر البرذعي في رسالة حمزة السادسة عشرة سنة ٤٠٨ هـ والرسالة التاسعة عشرة وغيرها باسم أبي منصور البرذعي لا أبي سعيد كما ذكره المصنّف وقد يكون أبو سعيد البرذعي الذي لقبه الكراجكيّ هو نفس أبي منصور البرذعي الوارد ذكره في رسائل حمزة بن علي.

(٢) هو أبو القاسم عليّ بن أبي أحمد الحسين بن موسى الموسوي المعروف بعلم الهدى ، أكبر شخصية شيعية في القرن الرابع الهجري ، بالعلم والفقه والآثار والكلام والأدب والشعر وغيرها.

كان فقيها انتهت إليه زعامة الإماميّة في عصره ، كما كان أحد أعمدة علم الكلام والفلسفة الإسلامية ، والأدب والشعر واشتهر بعلم النجوم ، وبرز في غير ذلك من جوانب المعرفة والفكر.

وكان حاذقا في المناظرة والجدل ، حاجّ النظراء والمتكلمين ، وناظر العلماء والمخالفين ، وقد عده ابن الأثير من مجدددي مذهب الإماميّة في رأس المائة الرابعة. وتعتبر آراء الشريف المرتضى وآثاره سجلا كاملا لآراء الشيعة الإماميّة وأقوالهم ، وفي كتبه حفظت عقائدهم وآراؤهم الإسلامية. وله مؤلفات عديدة أبرزها من المطبوع : الشافي والأُمالي وتنزيه الأنبياء ، وهو من تلاميذ الشيخ المفيد. ولد في رجب سنة ٣٥٥ هـ وتوفي ربيع الأول سنة ٤٣٦ هـ وله في كتابنا (فلاسفة الشيعة) ترجمة بدراسة وإسهاب.

قال ويفسد أيضا تقدمه عليها إذ كان لا يخلو من أن يكون تقدمه بمدة محصورة وتقدير أوقات متناهية أو بمدة غير محدودة وتقدير أوقات غير محصورة.

قال وإن كان تقدمها بمدة لا تحد وتقدير أوقات لا تتناهى وتحصر فلا آخر متناه وله أول وآخر فكما أن آخره حدوث الصنعة ^(١) فكذلك أوله حدوث الصانع ونعوذ بالله من القول بذلك.

قال وإن كان تقدمها بمدة لا تحد وتقدير أوقات لا تتناهى وتحصر فلا آخر لهذه المدة كما لا أول لها وإذا لم يكن لها آخر فقد بطل حدوث الصنعة. وإن نفيت الأوقات والأزمان التي يصح هذا فيها فإنه لا يمكنكم إنكار تقديرها وفي التقدير يلزم هذا هنا. قال فهذا دليل على أن الصنعة والصانع قديمان لم يزلوا.

والجواب قاله الشريف المرتضى رحمته الله

أما الصانع من حيث كان صانعا فلا بد من تقدمه على صنعته سواء أكان قديما أو محدثا لأن تقدم الفاعل على فعله حكم يجب له من حيث كان فاعلا.

ويستوي في هذا الحكم الفاعل القديم والفاعل المحدث غير أن الصانع القديم يجب أن يتقدم صنعته بما إذا قدرناه أوقاتا وأزمانا كانت غير متناهية ولا محصورة.

ولا يجب هذا في الصانع المحدث بل يتقدم الصانع من المحدثين صنعته بالزمان الواحد والأزمان المتناهية المحصورة. والذي يدل على أن الصانع لا بد من أن يتقدم صنعته ويستوي في هذا الحكم القديم والمحدث أنه لو لم يتقدم عليها لم تكن فعلا له وحادثة به لأن

من

(١) لأنه ان كان الصانع متقدما على الصنعة بمدة غير متناهية ، فلا يمكن والحال هذه أن يكون لها آخر ، كما لا يمكن حدوث الصنعة ، لأن حدوثها يعني تناهي المدة التي فرض عدم تناهيها ، وهذا خلف.

شأن الفاعل أن يكون قادرا ولا يقدر على الموجود لأن وجوده يغني عن تعلق القدرة به فهذا يدل على استحالة مصاحبة الفاعل لفعله.

فأما تقدم الفعل على فاعله فأظهر فسادا لأن المؤثر في وجود الفعل وحدوثه كون فاعله قادرا فكيف يتقدم المؤثر فيه على المؤثر.

وأما تقدم الصانع القديم تعالى على صنعته فيجب أن يكون غير محصور الأوقات وإنما وجب ذلك فيه ولم يجب في الصانع المحدث لكونه قديما لأنه لو كان بين القديم والمحدث أوقات متناهية لخرج من أن يكون قديما ودخل في أن يكون محدثا لأن من شأن القديم أن لا يكون بوجوده ابتداء وتناهي ما بينه وبين الأوقات وبين المحدث يقتضي أن يكون بوجوده أول وابتداء.

فأما ما تضمنه السؤال من التقسيم والتعديل في إفساد تقدم الصنعة على الصانع على الاتفاق على ذلك فغير صحيح لأن مثل هذا لا يعول فيه على الاتفاق بل لا بد أن يعين طريق العلم إما من ضرورة أو استدلال وقد بينا ما يدل على أن الصنعة لا تتقدم الصانع.

فأما ما مضى من السؤال من إلزام نفي التناهي والآخر عن المدة التي تكون بين الصانع والصنعة كما نفى عنها الابتداء والتناهي من قبل أولها فغير صحيح ولا لازم لأننا قد بينا أنا متى جعلنا بين الصانع القديم وصنعتة مدة متناهية الابتداء محصورة لحق القديم بالمحدث وخرج من أن يكون قديما.

وإذا جعلناها ^(١) محصورة الانتهاء لم يجب ذلك فيها ولا أدى إلى ما قد علمنا فساده من كون القديم محدثا ولا إلى غيره من ضروب الفساد فلم يلزم نفي الآخر عن المدة قياسا على نفي الأول.

وقد بين شيوخ أهل العدل ^(٢) في كتبهم الفرق بين هذين الأمرين وقالوا

(١) الظاهر سقوط كلمة (غير) هنا ، إذ لا يتم المعنى بدونها فتكون الجملة هكذا : وإذا جعلناها غير محصورة الانتهاء لم يجب ذلك فيها.

(٢) المراد بأهل العدل هم المعتزلة والإمامية الذين يقولون باستحالة صدور الظلم والمنافي منه سبحانه ، إما لعدم قدرته عليه كما يقوله المعتزلة أو أكثرهم ، وإما لقبح صدره عنه عقلا مع قدرته عليه كما يقوله الإمامية.

من المستحيل إثبات فاعل لم ^(١) يزل فاعلا وليس بمنكر ولا مستحيل إثبات فاعل لا يزال فاعلا وبينوا أن نفي التناهي والابتداء عن الأفعال من قبل أولها يخرجها من أن تكون أفعالا وليس نفي التناهي عنها من قبل آخرها يخرجها من أن تكون أفعالا. وذكروا أن نعيم أهل الجنة وعقاب أهل النار دائمان لا انقطاع لهما ولا آخر ولم يؤد ذلك إلى المحال والفساد ما أدى إليه نفي التناهي عن الأفعال من قبل أولها.

وقالوا ليس بمنكر أن يدخل داخل دارا بعد دار أبدا بغير انقطاع.

ومن المستحيل المنكر أن يدخل دارا قبل دار أبدا بلا أول.

وقد استقصينا نحن هذا الكلام في مواضع كثيرة من كتبنا وذكرناه في الملخص ^(٢) وغيره من أجوبة المسائل والنقوض على المخالفين.

وأما ما تضمنه السؤال من أن هذا يدل على أن الصنعة والصانع قديمان لم يزالا فمناقضة ظاهرة لأن وصف المتصف بالقدم ينقض كونه صفة كما أن وصف القديم بأنه مصنوع ينقض كونه قديما.

وهل هذا إلا تصريح بأن المحدث قديم والقديم محدث ولا خفاء بفساد ذلك.

وهل آخر الجواب الوارد إلي من حضرة السيد الشريف المرتضى رضي الله عنه عن هذه الشبهة.

وجميع ما تضمنه من إطلاق القول بأن بين القديم وأول المحدثات أوقات لا

(١) ويفهم من هذه العبارة أن كون الفاعل مرتبطا بما يصدر عنه من أفعال ، فإذا كان الفاعل فاعلا منذ الأزل كانت أفعاله منذ الابتداء قديمة معه وتخرج عن كونها أفعالا محدثة ، لذلك يستحيل كونها قديمة وبالتالي استحالة أن يكون الفاعل لم يزل فاعلا. على خلاف إثبات فاعل لا يزال فاعلا من حيث الآخر إلى غير نهاية فلا استحالة إذ لا يخرجها ذلك عن كونها أفعالا. وهذا يتضح من قوله : وبينوا أن نفي التناهي إلخ.

(٢) هو كتاب للشريف المرتضى في الأصول ، ذكره الشيخ أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ، وابن شهر آشوب.

أول لها وإنما المراد به تقدير أوقات دون أن يكون القصد أوقاتا في الحقيقة لأن الأوقات أفعال.

فقد ثبت أن للأفعال أولا فلو قلنا إن بين القديم وأول الأفعال أوقاتا في الحقيقة لناقضناه ودخلنا في مذهب خصمنا نعوذ بالله من القول بهذا.

جواب آخر عن هذه الشبهة

وقد قال بعض أهل العلم إنه لا ينبغي أن نقول بين القديم وبين المحدث لأن هذه اللفظة إنما تقع بين شيئين محدودين والقديم لا أول له.

والواجب أن نقول إن وجود القديم لم يكن عن عدم.

ونقول إنه لو أمكن وجود حوادث بلا نهاية ولم يتناقض ذلك لأمكن أن يفعلها حادثا قبل حادث لا إلى أول فيكون قد وجدت حوادث بلا نهاية.

ولسنا نريد بذلك أنه كان قبل أن فعل مدة يزيد امتدادها لأن هذا هو الحدوث والتجدد وهو معنى الزمان والحركة.

فإن قال قائل إنه لا يثبت في الأوهام إلا هذا الامتداد.

قيل له ليس يجب إذا ثبت في الوهم أن يكون صحيحا.

أليس عندكم أنه ليس خارج العالم خلاء وذلك غير متوهم.

ثم يقال لهم أثبت في الوهم ذلك مع فرضكم نفي الحركات والتغيرات أم مع فرضكم إثبات ذلك.

فإن قالوا مع فرضنا إثبات ذلك قيل لهم فيجب مع نفي ذلك أن لا يثبت هذا التوهم.

وإن قالوا يثبت هذا التوهم مع فرضنا نفي ذلك.

قيل لهم فقد ثبت في التوهم النقيضان لأن هذا التوهم هو أن ينتقل ويمتد.

قال ثم يقال رأيتم لو قال لكم قائل ليس يثبت في ذهني موجود ليس في

جهة فيجب أن يكون الباري عَزَّوَجَلَّ في جهة أليس يكون يمكن أن يقال إنما يثبت ذلك في الوهم متى فرضتموه جسما.

وأما متى فرضتموه غير جسم ولا متحيز فإنه لا يثبت ذلك في الوهم فهكذا يكون جوابنا لكم.

ثم قال هذا المتكلم

فإن قالوا فإذا لم تثبتوا مدة مديدة قبل الفعل فقد قلتم إن الباري سبحانه لم يتقدم فعله.

قيل بل نقول إنه يتقدم على معنى أن وجوده قارن عدم فعله ثم قارن وجود فعله وقولنا ثم يترتب ^(١) على عدم الفعل لا غير.

قال ونقول إذا فعل الله سبحانه شيئا إنه يجوز أن يتقدم على معنى أنه يفعل فيكون بينه وبين يومنا من الحوادث أكثر مما هو الآن وليس الكثرة

والتقدم والتأخر راجعا إلا إلى الحوادث دون مدة يقع فيها.

ثم تكلم في نفي المدة فقال :

والذي يبين أن تقدم الحركات وتأخرها يثبت من دون مدة يقع فيها أنه لا يخلو هذه المدة من أن يكون شيئا واحدا لا امتداد فيه ولا ينقل من حال

إلى حال أو يكون فيه تنقل وامتداد.

والأول يقتضي إثبات الزمان على غير الوجه المعقول ويقتضي أن تكون الأشياء غير متقدم بعضها على بعض إذا كان بالأجل تقدمه وتأخره تتقدم

الأشياء وتتأخر ليس فيه تقدم وتأخر.

فليت شعري أثبت التقدم والتأخر بنفسه أم بغيره؟

إن كان يثبت فيه بغيره أدى إلى ما لا نهاية له وإن كان ذلك الزمان متقدما ومتأخرا بنفسه من غير أن يكون في شيء متقدم ومتأخر فهلا قيل

ذلك في الحركات واستغني عن معنى غيرها

(١) لأن كلمة (ثم) من أدوات العطف مع ترتب مدخولها على ما قبلها ولا يلزم أن يكون ما قبلها أمرا وجوديا بل يكفي في صحة الترتب مقارنة مدخولها لما قبله وإن كان عدما.

فصل وبيان

وهذه الطريقة التي حكيته هي عندي قاطعة لمادة الشبهة كافية في إثبات الحجة على المستدل وهي مطابقة لاختيار أبي القاسم البلخي لأنه لا يطلق القول بأن بين القديم وأول المحدثات مدة.

ويقول إنه أي الصانع تعالى قبلها بمعنى أنه كان موجودا ثم وجدت وهو معنى ما ذكر هذا المتكلم في قوله إن وجوده قارن عدم فعله ثم قارن وجود فعله فهو على هذا الوجه قبل أفعاله.

واعلم أيديك الله أن العبارات في هذه المواضع تضيق عن المعاني وتدعو الضرورة إلى النطق بما عهد ووجد في الشاهد وإن لم يكن المراد حقيقة في المتعارف ويجوز ذلك إذا كان مؤديا لحقيقة المعنى إلى النفس كقولنا قبل وبعد وكان وثم فليس المعهود في الشاهد استعمال هذه الألفاظ إلا في الأوقات والمدد.

فإذا قلنا إن الله تعالى كان قبل خلقه ثم أوجد خلقه فليس هذا التقديم والتأخير مفيدا لأوقات ومدد وقد يتقدم بعضها على بعض بأنفسها من غير أن يكون لها أوقات آخر.

وكذلك ما يطلق به اللفظ من قولنا إن وجود الله قبل وجود خلقه. فليس الوجود في الحقيقة معنى غير الوجود وإنما هو اتساع في القول والمعنى مفهوم معقول.

وقد سأل أبو القاسم البلخي نفسه فقال:

إن قال قائل أخبرونا عن أول فعل فعله الله تعالى أكان من الجائز أن يفعل قبل غيره؟

(١) هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي توفي سنة (٣١٧ هـ) وهو من زعماء المعتزلة وشيوخهم ورأس طائفة منهم يقال لها الكعبية ، وهو أستاذ أبي جعفر محمد بن عبد الرحمن المتكلم الشيعي المعروف (بابن قبة). وللبلخي مؤلفات عديدة منها كتاب (عيون المسائل والجوابات) ذكره المسعودي في مروج الذهب ج صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٥١. ولأبي القاسم البلخي آراء كلامية تنقل عنه في كتب الكلام والفرق.

(٢) في الأصل (والقول) ويبدو أن الواو فيها زائدة.

وأجاب عن ذلك فقال هو جائز بمعنى أن يكون لم يفعله وفعل غيره بدله وفعله هو فأما غير ذلك فلا يجوز لأنه يؤدي إلى المحال.
وفي هذا القدر كفاية في الكلام على الملحدة الدهرية والحمد لله.

مسألة في تأويل خبر

إن سأل سائل فقال ما معنى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الخبر المروي عنه :
لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر

الجواب

قيل له الوجه في ذلك أن الملحدين ومن نفى الصانع من العرب كانوا^(١) ينسبون ما ينزل به من أفعال الله تعالى كالمرض والعافية والجذب والخصب والفناء إلى الدهر جهلاً منهم بالصانع جلّت عظمته ويذمونّه في كثير من الأحوال من حيث اعتقدوا أنه الفاعل بهم هذه الأفعال فنهاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك وقال لهم لا تسبوا من فعل بكم هذه الأفعال ممن يعتقدون أنه هو الدهر فإن الله تعالى هو الفاعل لهذه الأفعال وإنما قال إن الله هو الدهر من حيث نسبوا إلى الدهر أفعال الله تعالى.

وقد حكى الله تعالى عنهم قولهم :

﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ سورة الجاثية : ٢٤

وقال لبيد :^(٢)

(١) في الأصل (كما) واتساق الكلام يقتضي أن يكون كما ذكرنا.

(٢) هو لبيد بن ربيعة الشاعر الجاهلي المشهور الذي أدرك الإسلام وأسلم توفي سنة (٤٠ هـ) و (٦٦٠ م) وهو صاحب إحدى المعلقات السبع التي أولها

عَفَــتِ الـ____ـديارَ محلّهم_____فمقامهم_____بم____نى تأبــــد غولهم_____فرجامهم_____

وله أمثال شعرية سائرة.

في قـروم سـادة مـن قومـه
أي دعا عليهم.^(١)

قصيدة في الآداب والأمثال لابن دريد^(٢)

ما طاب فرع لا يطيب أصـله
وكل من آخى لئـيما مثـله
فالدهر ما ليس عليه عـدوى
من أمن الدهر أتى من مأمـنه
وكل شيء يبتغى من معدنـه
وإنما السعي بقدر السـاعي
من يترك القصـد تضـق مـذاهبـه
لا تركب الأمـر وأنـت عائبـه
من ملك الصبر عليه عقلـه

نظر الدهر إليهم وابتـهـل

حمى مؤاخاة اللئـيم فعـله
من يشـتكي الدهر يطـل في الشـكوى
مستشعر الحـرص عـظم البـلوى
لا تستثر ذا لبـد^(٣) من مـكمنـه
لكل ناع ذات يـوم ناعـي
قد يهلك المرعي عنـف الراعـي
دل على فعل امرئ مصـاحبه
من لزـم التقـوى اسـتبان عدلـه
نجما من العـار وبان فضـله

(١) تجد الكلام على ذلك في أمالي المرتضى ج (١) صلى الله عليه وآله وسلم ٤٥.

(٢) في الأصل (لابن دريده) وهو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٢٢٣ = ٣٢١ هـ) من مشاهير علماء الأدب واللغة والشعر ، وهو شاعر ، له ديوان شعر ، وعده ابن شهر آشوب من شعراء أهل البيت ، وذكر من شعره قوله.

أهـوى النـبي محمـدا ووـصـيـه
أهـل الـولاء فـلاني بـولائهم
وابنـيـه وابنتـه البتـول الطـاهرة
أرجـو السـلامة والنـجـا في الآخـرة

وله مؤلفات عديدة منها كتاب الجمهرة في اللغة ، وله مقاطيع مذكاة الطرفين ، وقصيدة في المقصور والممدود ، والمقصورة المشهورة التي تبلغ حوالي مائتي بيت ، وهو أستاذ لجماعة من العلماء منهم أبو سعيد السيرافي وأبو عبد الله المرزباني ، وقد مات هو وأبو هاشم الجبائي في يوم واحد ، فقال الناس يموت ابن دريد وأبو هاشم. انظر الفهرست صلى الله عليه وآله وسلم ٩١ = ٩٢ والأمل قسم (٢) صلى الله عليه وآله وسلم ٦٢.

(٣) صفة للأسد.

يجلـو اليقـين كـدر الظنـون
حتى توفاه يـد المنـون
ورب حمـد تحـوز ذمـا
من لم تصـل فـارض إذ حباكا
أو أولـه منك الـذي أولـكا
لا تحمـدن المـرء ما لم تبلـه
يا ربـما أدركت اللـجاجة
وضـيق أمـر يـتغـي انـفـراجـه
ولـيس يقـدر امـرؤ عـلى القـدر
كـم مـن وعـيد يـخـرق الآذا
أصـمنا الإهـمال بـل أعـمـانا
وخـير ما أنبأ عـنك الصـدق
لكـل ما يـؤذي وإن قـل ألم
وسـقم عـقل المـرء مـن شـر السـقم
يا سـوأـتـا لهـذه الأخـلاق
أنـف الفـتى وهـو صـريم أجـدع^(٢)

والمـرء في تـقلـب الشـئون
يا رب حلـو سـو سـيـعود سـما
ورب روح^(١) سـيصـير هـمـا
وأولـه حمـدا إذا قـلاكا
ما لك إلا عـليك مثـله
والمـرء كالصـورة لـو لا فـعلـه
ما لـيس للمـرء إلـيه حـاجة
لـيس يقـي مـن لم يـق الله الحـذر
والقـلب يـعمى مثـلما يـعمى البـصر
كأنـما يـعـنى بـه سـوانا
ما أفسـد الخـرق وسـاء الرـفـق
كـم صـعقة دل عـليهـا الـبرق
ما أطـول اللـيل عـلى مـن لم يـنـم
أعـداء غـيب إـخـوة التـلاقـي
كأنـما اشـتـقت مـن النـفـاق
مـن وجـهـه وهـو قـبـيح أشـنع

هل يستوي المحظوظ والمضيع

(١) الراحة والرحمة.

(٢) الصريم والأجدع بمعنى واحد وهو الأقطع.

ما منك ممن لم يقبل المعاتبه
ينجيك ممنا نكـره المجانبه
هيهات ما أعسر هذا المطلبـا
أف لعقل الأثـم ط النصـاب
ذم الكـلام حـذر الجـواب
ما لك إلا إن قبلت عفوـه
لا يسلك الشر سبيل الخير
كم قمر عـاد إلى قـمير
لفرقه كل اجتماع اثنين
الصمت إن ضاق الكـلام أوسـع
كم جامع لغيره ما يجمع
في طرفه العـين يحول الحـال
كم قد بكت عـين وليس تضحك
لا تبرمن أمرا عليك يملك
لا يهرب المـذنب إلا ذنبـه
كل مقـام فله مقـال
وللعقـول تضرـب الأمثـال
عـف كل ورد غـير محمـود الصـدر

وشـر أخـلاق الفـتى المـؤاربـه
مـتى تصـيب الصـاحب المـهـذبـا
وشـر ما طالبـته ما استصـعبـا
رب مـعـيب فعـله عـيبـاب
لكل ما يجـري جـواد كـبـوه
مـن ذا الـذي يسـقيك عـفـوا صـفـوه
والله يقـضي لـيس زجـر الطـير
لم يجتمع جمـع لغـير بـين
يعمى الفـتى وهـو البصـير العـين
لكل جنـب ذات يـوم مصـرع
ما لك إلا ما بذلت مـال
ودون آمـال الفـتى الآجـال
وضاق مـن بعـد اتسـاع مسـلك
خـير الأمـور ما حمـدت غـبـه
والمرء مقـرون بـمن أحـبـه
كل زمـان فله رجـال
دع كل أمر مـنـه يـوما تـعـذر
لا تنفـع الحـيلة في ماضـي القـدر

نوم امرئ خير له من يقظة
وفي صفوف الدهر للمرء عظمة
من عفف لم يسأم ولم يمل
جواب سوء المنطق السكوت
ما حم^(١) من رزقك لا يفوت
قد يسعد المرء إذا المرء اعتدل
من لك بالحض وليس محض
ورب أمر قد نهناه النقص
ذا مرض يعنى عليك أمره
يا رب إحسان يعود ذنبنا
وذو الحجى يحمى إن أحبنا
ما لم يبلغ الموسر في إيساره
الشيء في نقص إذا تناهنا
مدعنة يحتث سائقها
وإن تساوت بهم الأهواء
لم يغفل شيء وهو موجود الثمن

لم يرضه فيه الكرام الحفظ
مسألة الناس لبس ذل
فارض من الأكثر بالأقل
قد أفلح المبتدئ الصموت
في كل شيء عبء لمن عقل
ترجوا غدا ودون ما ترجوا الأجل
يخبث بعض ويطيب بعض
كم زاد في ذنب جهول عذره
يخشى امرؤ شيئا ولا يضمره
ورب سلم سيعود حرا
قد يدرك المعسر في إيساره
وينتهى الهوى إلى قراره
والنفس تنقاد إلى رداها
الناس في فطرهم سواء
كل بقاء بعده فناء
مال الفتى ما قصه لا ما احتجن

إذا حوى جثمانه ثرى الجبن

(١) حم : قدر

المال يحكي الغي في أثقاله
ما غمر الخلقة من سؤاله
فقد أتاه بالبلوى النذير
رأيت غيب الصبر مما يحمده
وشر ما يطلب ما لا يوجد
ليلبس القلب لباس قسوة
من يزرع المعروف يحصده ما رضي
والشر موقوف لمدى التعرض
ما كل أخلاق الرجال تتفق
من يلذع الناس يجد من يلذعه
لا يعدم الباطل حقاً يدمغه
والحق للباطل ضد دامغ
رب رجاء قص من مخافة
ذو النجح لا يستبعد المسافة
وكم سرور مقبـل تـولى
لا خير في صـحبة من لا ينصف

وإنما المنفق من أمواله
من لاح في عارضة القتير^(١)
ثم إلى ذي العزة المصير
وإنما النفس كما تعدد
إن اتبعاع المرء كل شهوة
وكبوة العجب أشد كبوة
لكل شيء غايمة ستقضـي
لا يأكل الإنسان إلا ما رزق
هـان على النائم ما يلقي الأرق
لسان ذي الجهل وشيكا يوقعه
كل زمان فلـه نوابغ
لا يغصك المشرب وهو سائغ
ورب أمـن سـيـعود آفة
كم من عزيز قد رأيت ذلاً
وكم وضع شـال فاستقلا
والدهر يجفو أمره ويلطف

والموت يفني كل عين تطرف

(١) القتير هو الغبار وأراد به هنا الشيب مجازاً.

رب صـباح لأمـرئ لا يمـسه	حتـف الفـتى موكـل بنفسـه
حتـى يحـل في ضـريح رمـسه	إني أرى كـل جديـد بالـي
وكـل شـيء فـلـى زوال	فاستشـف مـن جهـلـك بالسـؤال
آن رحـلـا فـأعـد الـزاد	آن معـاد فاحـذر المعـاد
لا يملـك العـمـر وإن تمـادى	إنـك مـربـوب مـدين تسـأل
والـدهـر عـن ذي غفـلة لا يغـفل	وكلمـا قـدمتـه محـصل

حتى يجيء يومك المؤجل

فصل

روي عن أحد الأئمة عليه السلام أنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

إن الله عَزَّجَلَّ كتم ثلاثة في ثلاثة رضاه في طاعته وكنتم سخطه في معصيته وكنتم وليه في خلقه ولا يستخف أحدكم شيئاً من الطاعات فإنه لا يدري في أيها رضا الله تعالى ولا يستقلن أحدكم شيئاً من المعاصي فإنه لا يدري في أيها سخط الله ولا يزرين أحدكم بأحد من خلقه فإنه لا يدري أيهم ولي الله.

ومن كلامه صلى الله عليه وآله وسلم :

من سـرته حسـنته وسـأته معـصيته فهو مؤمن.

لا خير في العيش إلا لرجلين عالم مطاع ومستمتع واع.

كفى بالنفس غنى وبالعبادة شغلا.

لا تنظروا إلى صغير الذنب ولكن انظروا إلى من اجتزأتم.

وقال عليه السلام :

آفة الحديث الكذب وآفة العلم النسيان وآفة العبادة الفترة وآفة الطرف الصلف.

لا حسب إلا بتواضع ولا كرم إلا بتقوى ولا عمل إلا بنية ولا عبادة إلا بيقين.

إن العاقل من أطاع الله وإن كان ذميم المنظر حقير الخطر وإن الجاهل من عصى الله وإن كان جميل المنظر عظيم الخطر.
أفضل الناس أعقل الناس إن الله تعالى قسم العقل ثلاثة أجزاء فمن كانت فيه كمل عقله ومن لم تك فيه فلا عقل له المعرفة بالله تعالى وحسن
الطاعة وحسن الصبر.
إن لكل شيء آلة وعدة وآلة المؤمن وعدته العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ولكل سفر
فسطاط يلجئون إليه وفسطاط المسلمين العقل.

فصل

روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :
العقل ولادة والعلم إفادة ومجالسة العلماء زيادة.
وروي عنه عليه السلام أنه قال :
هبط جبرئيل عليه السلام على آدم عليه السلام فقال :
يا آدم أمرت أن أخيرك في ثلاث فاختر منهن واحدة ودع اثنتين فقال آدم وما الثلاث قال العقل والحياء والدين فقال آدم فإني قد اخترت العقل
فقال جبرئيل للحياء والدين انصرفا فقالا يا جبرئيل إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان قال فشأنكما وعرج.
مسألة إن سأل سائل فقال كيف يحسن مخاطبة الحياء والدين وكيف يصح منهما النطق وهما داخلان في باب الأعراض التي لا تقوم بأنفسها ولا
تصح الحياة والنطق منهما.
الجواب قيل له هذا مجاز من القول وتوسع في الكلام والمعنى فيه أنهما لو كانا حينئذ قائمين بأنفسهما تصح المخاطبة لهما والنطق لكان هذا
حكمهما والمحكي عنهما جوابهما.

(١) سفر : القوم المسافرين.

وقد يستعمل العرب ذلك في كلامها وهو نوع من أنواع فصاحتها قال الشاعر :

امــــتألاً الحــــوض وقــــال قــــطــــني^(١) مهــــلا رويــــدا قــــد مــــألت بــــطــــني
ونحن نعلم أن الحوض لا يصح منه النطق ولكنه استعار النطق لأنه عنده لو كان في صورة ما ينطق لكان هذا قوله. خير آخر في هذا المعنى وهو
المشتهر بين الخاصة والعامة

من أن أول شيء خلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال وعزني وجلالي ما خلقت خلقا هو أحب إلي منك بك أعطي
وبك أمتع وبك أثيب وبك أعاقب وعزني وجلالي لا أكملتك إلا فيمن أحببت.^(٢)
فالمعنى فيه نظير ما تقدم هو أن العقل لو كان قائما بنفسه حتى يوجد مفردا لكان أول شيء خلقه الله تعالى لفضله ولأن المنازل العالية لا تستحق
إلا به ولو كان حيا قادرا لصح منه امتثال أمر الشارع إلى ما يؤمر به ولم يقع خلاف للمراد منه.
وهذا كله بينة على شرف العقل وجلالته وحث على وجوب الرجوع إليه والتمسك بحججه وفي القرآن لذلك نظائر.

فصل مما ورد في القرآن في هذا المعنى

فمن ذلك قول الله عَزَّجَلَّ

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ النحل : ٤٠.

فدليل شاهد بأن المراد بذلك ليس هو القول ولا يصح فيه حقيقة الأمر.

لأنه لو كان يأمر الشيء في الحقيقة بالكون كان لا يخلو من حالين :

(١) معناه حسبي

(٢) تجد أكثر هذا الحديث في كتاب مشكاة الأنوار صلى الله عليه وآله وسلم ٢٢٧ وفي كتاب الأربعين للمجلسي وهو الحديث الثاني من أحاديثه صلى الله عليه وآله وسلم ٥ رواه بأسانيده.

إما أن يأمره بذلك والشيء في حال عدمه أو في حال وجوده.

ومحال أن يأمره وهو في حال عدمه لأن المعدوم في الحقيقة ليس بشيء فيتوجه إليه الأمر.

والذين يثبتون أنه شيء في حال عدمه من المتكلمين ^(١) لا يخالفون في أنه لا يصح أن يؤمر.

ومحال أيضا أن يأمره وهو في حال وجوده لأن الموجود هو الكائن. ولا يقال للكائن كن كما لا يقال للساكن اسكن.

وأیضا فلو كان يأمره في الحقيقة بالكون لكان الشيء المأمور هو الذي يفعل نفسه ويكونها.

ولا يصح من شيء أن يفعل إلا أن يكون حيا قادرا ولا يصح منه أن يفعل الحكم المتقن إلا بعد كونه عالما.

وهذا كله ^(٢) على أن المعدوم لا يؤمر ولا يفعل نفسه.

ولم يبق إلا أن يكون ذلك مجازا في القول.

والمراد به الإخبار عن تيسر الفعل على الله سبحانه أنه إذا أَرَادَهُ وأنه غير متعذر منه ومتى أراد كونه كان بغير حائل ولا مانع حتى كان الذي يريده لو

كان حيا قادرا يصح أن يكون نفسه ثم أمره الله تعالى بذلك ليبادر إليه ولم يتأخر عنه.

(١) اختلف المتكلمون في المعدوم هل هو شيء أم لا ، فذهب بعضهم إلى أن المعدوم في حال عدمه شيء ، واستدلوا بآيات منها : قوله تعالى (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا) إذ

سماه شيئا في حال عدمه ، وقوله تعالى : (إِنَّ زُلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) عبر عنها بكلمة شيء وهي معدومة وقبل أن تكون. وأنكر بعضهم أن يكون المعدوم شيئا واستدلوا بآيات منها:

قوله تعالى : ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ وقوله تعالى : ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ وقوله أيضا : (لم يكن شيئا مذكورا) فقد نفى عن الذي لم

يكن وكان معدوما أن يكون شيئا وحملوا تلك الآيات التي استدل بها مثبتوا الشيئية للمعدوم كما فعل المؤلف على المجاز.

(٢) لعله قد سقطت كلمة (يدل) ووضعناها ليستقيم الكلام.

ومثل ذلك قول الله عَزَّجَلَّ :

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾. سورة فصلت : ٥٠.

وليس المراد أن السماء والأرض وهما جماد نطقتا وإنما المعنى تيسر فعلهما وما أراده فيهما.

فكأنهما لو كانتا في حكم الأحياء القادرين الذين يصح منهم النطق والإتيان لقالتا إذا أمرنا بالإتيان أتينا طائعين.

ونظير هذا في الكلام كثير.

والناس يجعلون من تيسر منه الفعل كان فعله قد أطاعه ويقولون للشاعر الحاضر الخاطر إن القوافي لتسمع له وتطيع وإنك لتراها رأي العين وإنها

للمصورة بين يديك.

ومرادهم أنها لا تتعذر عليه متى رامها ولا يتوقف شيء منها إذا قصدتها.

فكأنها لو كانت في حيزها ترى لراها أو في حكم من يطيع لأطاعت أمره إذا أمرها.

فأما الإخبار عن السماء والأرض بأتهما ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ بلفظ التذكير فيحتمل أن يكون المعنى أتينا بمن فينا ومن يصح فيه التذكير.

ومن ذلك قول الله عَزَّجَلَّ :

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ سورة ق : ٣٠.

وجهنم في الحقيقة لا يصح أن يخاطب ولا يقع منها القول.

فالمعنى أنها لو كانت في حكم من يخاطب ويصح منها القول لقالت ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾.

وقيل في الآية بوجه آخر.

وهو أن الذكر لها والخطاب في الحقيقة متوجه لخزنتها وهم القائلون ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾.

وإنما أضيف ذلك إليها كما يقال :

قالت البلدة الفلانية أي قال أهلها.

وقال الله تعالى

﴿وَسَّئِلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ والمراد أهلها.

ومن ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النور : ٢٤

وقوله جل اسمه :

﴿وَقَالُوا جِئُوا بِآيَاتِنَا﴾ قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ فصلت : ٢١

فالقول عندنا في ذلك كله إنه على الاستعارة ومجاز اللغة دون الحقيقة.

والمعنى فيه أن الجوارح لو كانت مما تنطق لنطقت على أصحابها بالشهادة وقالت أنطقنا الله.

وقد يجوز في أبعاض الإنسان ما تقام الشهادة بفعله وإن لم يكن نطق.

والعرب تقول :

رب عين أنطق من لسان ويقولون :

عينك تشهد بسحرك ونظرك يدل على خبرك.

والشواهد على هذا كثيرة وفيما ذكرناه كفاية

مسألة من عويص النسب

أنا ابن أخ ابن أختك غير وهم	ألا قل لابن أم حمالة أممي
فأولدها غلاما كان عممي	فلو زوجت أختك من أخ لي
وصار العم مثل دمي ولحمي	وكان أخي لذاك العم عমা
أجب إن كنت ذا لب وفهم	فمن أنا منك أو من أنت ممي

الجواب :

القائل ابن ابن المقول له هو خال أبي القائل وأخت المقول له هي أم أبي القائل.

فإذا تزوجها أخو القائل لأمه وهو جائز لأنه لا قرابة بينها فأولدها غلاما فالغلام عم القائل لأنه يصير أخا لأبيه ويكون القائل أيضا عما للغلام من الأم وكانت إخوة القائل من أبيه وأمه أعماما للغلام.

فصل في ذكر الدنيا

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

من أحب دنياه أضر بآخرته.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام :

الدنيا دول فاطلب حظك منها بإجمال الطلب.

وقال عليه السلام من أمن الزمان خانه ومن غلبه هانه

وقال :

الدهر يومان يوم لك ويوم عليك فإن كان لك فلا تبطر وإن كان عليك فاصبر فكلاهما عنك يمضي.

قال بعض الشعراء :

وإن امــــرأ دنيــــاه أكثــــر همــــه لمستمسك منهلــــا بحبــــل غــــرور

وقال بعضهم :

إياك الاغترار بالدنيا والركون إليها فإن أمانتها كاذبة وآمالها خائبة وعيشها نكد وصفوها كدر وأنت منها على خطر إما نعمة زائلة وإما بلية نازلة

وإما مصيبة موجعة وإما منية مفجعة.

وقال آخر :

صاحب الدنيا في حرب يكابد الأهواء لتقدح والجهالة لتقمح والأرواح لتندفع والآمال لتنال والمكروه ليزال وبعض ذلك عن بعض

شاغل والمشغل عنه ضائع فلما رأى الحكماء أنه لا سبيل إلى إحكام ذلك تركوا ما يفنى ليحفظوا ما يبقى

فصل في ذكر الأمل

روي أن الله تعالى قال :

يا ابن آدم يأتي رزقك وأنت تحزن وينقص من عمرك وأنت لا تحزن تطلب ما يطغيك وعندك ما يكفيك.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

من كان يأمل أن يعيش غدا فإنه يأمل أن يعيش أبدا.

وقال بعضهم :

الآمال لا تنتهي والحي لا يكتفي.

وقيل ما أطاع عبد أمله إلا قصر عمله.

وقال آخر :

لا يلهك الأمل الطويل عن الأجل القصير.

وقال آخر :

من جرى في عنان أمله ^(١) عشر بأجله.

وقال آخر :

إنك إذا أدركت أملك قريبك من أجلك وإذا أدركك أجلك لم تبلغ أملك.

لابن الرومي ^(٢)

(١) في الأصل (عمله) وهذه الكلمة للإمام عليّ عليه السلام انظر : نهج البلاغة صلى الله عليه وآله وسلم ٥٦٧ رقم ١ ٨.

(٢) ابن الرومي هو أبو الحسن عليّ بن العباس بن جريح وقيل جرجيس ولد سنة (٢٢١ هـ) وتوفي سنة (٢٨٣ أو ٢٨٤ هـ) وقيل بل في سنة (٢٧٦ هـ). وهو من الشعراء الموهوبين المبدعين وكان يتشيع وقصيدته الجمية في رثاء يحيى العلوي شاهد على ذلك.

والأبيات التي ذكرها المؤلف هي من قصيدته التي جرى فيها مجرى لزوم ما لا يلزم التي يقول فيها= :

خمسون عام كانت آملها	كانت أمي ثم خلفتها
كنز حياة لي أنفقت به	على تصاريف تطرفتها
لو كان عمري مايسة هديني	تذكرني أني تسوفتها

فصل في ذكر الموت

روي أنه كان في التوراة مكتوبا :

يا ابن آدم لا تشتهي حتى تموت حتى تتوب وأنت لا تتوب حتى تموت.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام :

من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير.

وقال بعضهم :

لو رأيتم الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره

وأنشد :

نراع لذكر الموت ساعة ذكره فتعترض الدنيا فلهو ونلعب

وقيل :

إن امرأ آخره الموت لحقيق أن يخاف ما بعده.

وروي أن أمير المؤمنين عليه السلام سمع إنسانا يقول ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فقال :

قولنا ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ إقرار منا له بالملك وقولنا ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ إقرار على أنفسنا بالهلك ^(١)

لهفي على الدنيا وهول لهفة	تنصنف منها إن تلهفتها
كهم آهية لي قد تأهتتها	فيهها وممن أف تأففتها
أغدو ولا حال تسنمتها	فيهها ولا حال تردفتها

(١) هذه الكلمة من كلمات الإمام علي عليه السلام المروية في نهج البلاغة من باب المختار من حكمه رقم (٩٩) صلى الله عليه وآله وسلم ٥٨٢ وانظر : تحف العقول صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٤٥.

وقيل :

إن من عجائب الدنيا أنك تبكي على من تدفنه وتطرح التراب على وجه من تكرمه.

قال أبو نواس ^(١)

غمر جهولا أملـه	يموت من جـا أـجلـه
ومـن دنا مـن يومـه	لم تغـن عنـه حـيلـه
وكيف يـقـى آخـر	قـد مـات عنـه أولـه
لا يصـحـب الإنسـان مـن	دنيـاه إلا عمـلـه

قال أبو ذؤيب ^(٢)

وإذا المنية أنشبت أظفارها	ألفيت كل تيممة لا تنفع
غيره :	

ننـافـس في الـدنـيا ونـحـن نـعـيـهـا	وقـد حـذرتـها لعمـري خـطوبـها
ومـا نـحسـب السـاعـات نـقـطـع مـدة	علـى أنـهـا فـيـنـا سـريـع دـيـبـها
كـأنـي بـرهـطـي يـحـملـون جـنازتي	إلى حـفـرة يـحـثـى علـي كـثيـهـا
وبـاكـيـة حـرى تـنـوح وأنـي	علـى غـفـلة مـن صـوتـها لا أـجـيـهـا

(١) هو أبو علي الحسن بن هاني بن عبد الأول بن الصباح الحكمي ، كان جده مولى الجراح بن عبد الله الحكمي والي خراسان ، ونسبه إلى مولاه المذكور ، ولد أبو نواس سنة ٤١١ هـ وتوفي سنة ٩٥١ أو ٩٧١ أو ٩٨١ هـ ، وهو من مشاهير الشعراء المجيدين وخاصة في الحمريات والغزل. وهو معدود في شعراء الشيعة وله مدائح في أهل البيت عليهم السلام.

(٢) أبو ذؤيب هو خويلد بن خالد بن محرز بن مخزوم ينتهي نسبه إلى نزار ، وقد أدرك الجاهلية والإسلام ، وعاش إلى أيام عثمان بن عفان وخرج غازيا لأفريقية مع عبد الله بن أبي سرح ومات في مصر والبيت هو من قصيدة قالها في رثاء أولاده الخمسة الذين هلكوا في عام واحد ، وهي قصيدة جيدة طويلة أولها :

أـمـنـ المنـون وريـهـا تـتـوجـع والـدـهر لـيـس بمـعـتـب مـن يـجـزع

أيا هـادم اللذات ما منك مهـرب
رأيت المنايا قسـمت بـين أنفـس
لأبي إسحاق الصابي^(١) من قطعة كتبها إلى الشريف الرضي أبي الحسن الموسوي وهو هذا
يحاذر نفسي منك ما سيصـيبها
ونفسي سيأتي بعد ذاك نصـيبها

وإني على عيب الـردى في جـواني
وإن لم يـدع إلا فـؤادا مـروعـا
تـلوم تحـت الحـجب تنقـب حـكمة
لأعلـم أني مـيت عـاق دـفـنـه
وإن فـما لـالأرض غـرثان حـائـما
بـه فـترة عـم الـورى لفـجـائع
غـدا فـاغرا يشـكو الطـوى فـهو راتـع
وكيف وحـد القـوت مـنـه فـناؤنا
وما كف مـن خطـوي وبطـش بـناني
بـه غـير باق مـن الخـفـان
إلى أذن تصـغي لنطـق لسـاني
دمـاء قـليل في غـد هـو فـان
يراصـد مـن أكـلي حـضـور أوان
تـركـن فـلانا ثاـكـلا لفـلان
ومـا تـلتقـي يـومـا لـه شـفتان
ومـا دـون ذاك الحـد رد عـيان

(١) هو ابراهيم بن هلال بن هارون الحرائي الصابني ، من ألمع الأدباء المشاهير في مصر العباسي ، ومن الكتاب المهرة البلغاء وقد أطراه كل من عرض لترجمته ونعمته بصفات عالية. وتوفي عام (٣٨٤ هـ) وكان صديقاً حميماً للشريف رثاه بعد موته بقصيدة دالية معروفة أولها :

أعلمت مـن حـملـوا علـى الأعـواد
أرأيت كيف خـبـا ضـياء النـادي

فـلا أـولا مـنـه بـمـهـلـك ثـان
سـوى اللـه مـن إـنـس تـراـه وـجـان

أَتَتْهُ الْمَنَآيَا رَقْدَةً بَعْدَ مَا هَجَعَ
فَرَارًا وَلَا مَنَافَةَ بِحِيلَةٍ انْتَفَع
وَلَا يَسْمَعُ الدَّاعِيَ إِذَا صَوْتُهُ رَفَعَ
وَفَارِقَ مَا قَدْ كَانَ بِالْأَمْسِ قَدْ جَمَعَ

ولو قال قائل في ميت إن الله قتله لأعاب العقلاء عليه.

والموت والقتل عرضان وليسا بجسمين.

وقد قال شيخنا المفيد رضي الله عنه ^(١) :

إن القتل متولد عن الأسباب ومحله محل حياة الأجسام والموت معنى يضاد حياة الفاعل المخلوق ولا يصح حلوله في الأجسام.

قال

وهذا مذهب يختص بي.

والقتل عند جميع أهل العدل من مقدورات العباد والموت لا يقدر عليه أحد إلا الله.

تأويل آية

إن سأل سائل عن قول الله سبحانه

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾. ^(٢) التكوير ٨ . ٩ .

فقال كيف يصح أن يسأل من لا عقل له وأي فائدة في سؤالها عن ذلك ولا ذنب لها وما الموءودة ومن أي اشتقاق هذه اللفظة؟

جواب

قلنا في قوله تعالى ﴿سُئِلَتْ﴾ وجهان :

(١) هو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي العكبري البغدادي ، ولد عام (٣٣٦ أو ٣٣٨ هـ وتوفي ٤١ ٣ هـ). وهو من أعمدة الشيعة في العلم والكلام والفقه والآثار ، وأكبر شخصية شيعية علمية في القرن الرابع الهجري في الكلام والمناظرة.

وشيعه يوم وفاته ثمانون ألفا. وقال عنه ابن حجر العسقلاني : «برع في العلوم حتى كان يقال : له على كل إمام منة.

ومؤلفاته قد تجاوزت المأتي كتاب في مختلف المواضيع العلمية ، ولا يزال بعضها حيا إلى اليوم ، وقد طبع شيء منها.

وقد كتبنا عنه دراسة مسهبة في كتابنا «فلاسفة الشيعة» صلى الله عليه وآله وسلم (٤٥٤ = ٤٦٩) فراجع.

(٢) انظر الكلام على هذه الآية في أمالي المرتضى م ٢ صلى الله عليه وآله وسلم ٢٧٩ = ٢٨٢ .

أحدهما أن يكون المراد أن قاتلها طوّل بالحجة في قتلها وسئل عن سبب قتله لها وبأي ذنب قتلها وذلك على سبيل التوبيخ والتعنيف وإقامة الحجة.

فالقتلة هاهنا هم المسئولون على الحقيقة لا المقتولة مسئول عنها.

ومثله قوله تعالى :

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ الأسراء : ٣٤

أي مطالباً به ومسئولاً عنه.

والوجه الآخر أن يكون السؤال توجه إلى الموءودة على الحقيقة توبيخاً لقاتلها وتقريعاً له على أنه لا حجة له في قتلها.

ويجري هذا مجرى قوله تعالى لعيسى عليه السلام :

﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ على طريق التوبيخ لقومه وإقامة الحجة عليهم.

فإن قيل على هذا الوجه كيف يخاطب ويسأل من لا عقل له ولا فهم؟

فالجواب أن في الناس من زعم أن الغرض بهذا القول إذا كان تبكيه القائل وتهجينه وإدخال الغم عليه في ذلك الموقف على طريق العقاب لم يمتنع أن

يقع وإن لم يكن من الموءودة فهم لأن الخطاب وإن توجه إليها فالغرض في الحقيقة به غيرها.

وهذا يجري مجرى رجل ضرب ضارب طفلاً له من ولده فأقبل الرجل على ولده يقول له لم ضربت وما ذنبك وبأي شيء استحلت هذا منك وغرضه

تبكيك الظالم لا خطاب الطفل.

وفي الناس من قال :

إن توجه السؤال إلى الموءودة وإن كان الغرض فيه تبكيك القاتل فإنه لا يكون إلا والموءودة قد أكملت لها العقل وجعلت على أفضل الهيئات لأنها

في القيامة تعوض عما نالها بالنعيم الدائم فلا بد من إكمال عقولها لتعرف عدل الله

تعالى ويحسن التذاذها بما وصل إليها فليس يتوجه السؤال إليها إلا وهذه حالها.

وقد روي عن أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنه عنهما وعن غيرهما أنهم قرءوا :
إذا الموءودة سألت بفتح السين والهمزة وإسكان التاء بأي ذنب قتلت بإسكان اللام وضم التاء الثانية فكانت الموءودة والقائلة.
وأما الموءودة فهي المقتولة صغيرة.

وكانت العرب في الجاهلية تدفن البنات أحياء وهو قوله :

﴿يُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ النحل : ٥٩

وهو قوله عَجَلًا :

﴿فَدَّ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الأنعام ١٤٠

ويقال إنهم كانوا يفعلون ذلك لأمرين :

أحدهما : أنهم كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات.

بالله فهو أحق بالبنات والأمر الآخر أنهم كانوا يقتلونهم خشية الإملاق قال الله عَجَلًا

﴿لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطًا كَبِيرًا﴾

فصل في معرفة الاسم والصفة

اعلم أن الاسم غير المسمى والصفة غير الموصوف.

والاسم والصفة جميعا لا يكونان إلا قولاً ^(١) من المسمى والوصف أو كتابة يدل على ما يدل عليه القول.

(١) يعني أن الاسم والصفة هما لفظان مأخوذان اشتقاقاً من المسمى والوصف.

والاسم في الحقيقة ما دل على المسمى والصفة ما دل على معنى في المسمى .

وفي هذا اللفظ تجوز لأنها تعطي الظرفية والحلول وربما كان الموصوف غير ظرف ولا محل ^(١).

وأقرب من هذا أن يقال :

إن الصفة ما أفادت أمرا يكون في الموصوف عليه .

وإنما افتقر المتكلم إلى استعمال هذه الألفاظ لضيق العبارات عن استيفاء المعاني فإذا فهم من اللفظ الغرض جاز استعماله .

فالاسم قولنا زيد وعمرو ونحو ذلك مما وسمت به الأشخاص وحصل لها ألقابا تتخصص بها عند الإشارات وليست دالة على معنى في الموصوف ولا مفيدة أمرا هو عليه .

والصفة قولنا قادر وعالم ونحو ذلك مما يدل على أمور يكون الموصوف عليها .

فقولنا قادر يفيد جواز وقوع الفعل منه وقولنا عالم يفيد صحة وقوع الفعل المحكم منه .

فإن انكشف لنا الاعتبار عن خروج الموصوف عن هاتين الصفتين إلى ضدهما حتى يتعذر وقوع الفعل منه ويستحيل حصول الفعل المحكم المتقن منه

فما ذاك إلا لأن فيه معنيين حالين وهما القدرة والعلم وبوجودهما صح منه فعل المحكم المتقن وهما عرضان متغايران وضدهما العجز والجهل ولا يكون هذا إلا

والموصوف محدث وليس القدرة والعلم صفتين للقادر والعالم وإنما الصفة قول الواصف هذا قادر وهذا عالم أو كتابته الدالة على ذلك .

وكذلك ليس السواد بصفة للأسود وإنما صفته قولنا هذا أسود ومن خالف في هذا فقد غلط .

(١) كما إذا كانت الصفة صادرة عن الموصوف لا قائمة فيه كالقتل والضرب وسائر الأفعال الصادرة عنه ، ولم يكن محلا لها .

إلا أن يقال إن العلم للعالم والسواد للأسود على وجه التوسع في الكلام فذلك جائز.

وإن كشف لنا الاعتبار عن استحالة خروج الموصوف عما وصف به وبطلان وصفه بضده فما ذاك إلا لأنها صفات نفسية ولهذا قلنا إن الله قادر وعالم لنفسه وإنه لا علم ولا قدرة في الحقيقة له لاستحالة خروجه من جواز وقوع الفعل المحكم المتقن منه.

فالمعاني التي دلت الصفات عليها هي ما استفدناه من حال الموصوف. وقد ظنت المجبرة أن الصفة غير الوصف وقالوا إن الصفة معنى قائم بالموصوف والوصف هو قول الواصف وهذا فاسد والصفة هي الوصف وهما مصدران لفعل واحد تقول وصف يصف صفة ووصفا وهذا كالوهب والواهب والهبة والوعد والعدة تقول وهب يهب هبة ووها ووعد يعد عدة ووعدا.

أسماء الله وحقيقتها

فصل في معرفة أسماء الله تعالى وحقيقتها.

فأما أسماء الله تعالى كلها فعائدة إلى الصفات لأنها دالة على معان ومتضمنة لفوائد وليس فيها اسم يخلو من ذلك ويجري مجرى اللقب إنما وضع على شخص تقع الإشارة إليه ليفرق بينه وبين ما شاركه في جنسه من الأشخاص المتماثلة.

ولما كان الله تعالى يجلب عن المجانسة ويرتفع عن المماثلة استحال أن يكون في أسمائه لقب ووجب أن يكون جميعها مفيدا للمعاني كما تفيد الصفات فأما التسمية له تعالى بالله فإنه يفيد من المعنى وله العباد إليه وتعلق نفوسهم به ورغبتهم عند الشدائد في إزالة المكروه إليه. وقد روي عن الصادق عليه السلام في هذا المعنى مثل ما ذكرناه في الحقيقة وإن خالفه في بعض اللفظ.

فروي عنه أنه قال :

الإله يقتضي والها والواله لا بد له من مألوه والاسم غير المسمى^(١).

والأصل في قولنا الله إله ثم دخلت الألف واللام للتعريف فصار الإله فأسقطت الهمزة الثانية تخفيفا وجعلت اللامان لاما واحدة مشددة فقل الله.

فأما التسمية له بالرحمن الرحيم فهو أن الرحمن مشتق من فعل الرحمة على سبيل المبالغة في الوصف لوقوعها في الفعل على حد لا يصح وقوعها عليه من أحد من الخلق.

وقد روي عن الباقر^(٢) عليه السلام صحة ذلك فقال :

الرحمن لسائر الخلق الرحيم بالمؤمنين.

فكان أحد الاسمين مشتق من عموم الرحمة وهو الرحمن والآخر من خصوصها وهو الرحيم.

فأما تسميته باللطيف فيفيد اجتماع الحكمة والرحمة ونفوذ مراده إذا شاء وقوعه على الحتم بلطائفه التي يلطف بها لخلقه على العلم بمصالحهم.

وهذا معروف في اللسان تقول العرب فلان لطيف في أمره وفلان لطيف في صنعته إذا أرادوا وصفه بالحكمة في تدبيره.

وأما الخبر فيفيد علمه بالأشياء على حقائقها وتبينه لها على أوصافها وأما الكريم فهو مشتق من فعل الكرم وهو التفضل بالنعمة والصفح عن الذنوب والتطول بالمنن.

(١) الحديث المروي عن الصادق عليه السلام هكذا بعد أن سألته هشام بن الحكم عن أسماء الله واشتقاقاتها قال:

الله مشتق من إله ، وإله يقتضي مألوها ، والاسم غير المسمى ، فمن عبد الاسم والمعنى فقد اشرك وعبد الاثنين ، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد. انظر توحيد الصدوق صلى الله عليه وآله وسلم ٢١٩.

(٢) هو الإمام محمد بن علي الباقر خامس الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ولد عام (٥٧ هـ) وتوفي عام (١١٤ هـ)

وأما الجواد فهو مشتق من الجود وهو التفضل كما ذكرناه في معنى الكرم غير أن لفظه أبلغ في الوصف في معنى الكرم من لفظ كريم. وأما الغني فيفيد القدرة على ما يريد من غير معين عليه وليس تستحق هذه السمة مع الله عَزَّوَجَلَّ على الحقيقة غيره ومن وصف بها من المخلوقين فعلى سبيل الاتساع.

وأما السخي فمعناه عند من حقق إطلاقه على الله سبحانه بذل النعم والتفضل بها. وقد أبت جماعة من أهل التوحيد إطلاق السخاء على الله تعالى لأنه لم ينقطع عذري^(١) بكتاب منزل ولا سنة متواترة ولا إجماع ولا أثر مستفيض جاء عن الصادقين عليه السلام في تسمية الله تعالى بالسخاء وليس له معنى تدل عليه العقول. وقد ذكر بعض أهل التوحيد العارفين باللغة أنه مأخوذ من السخاوة وهي الأرض الرخوة. وقد ثبت أن الأسماء لا تؤخذ إلا سماعا فلهذا وقفت ولم أقدم. وأما قولنا رب مأخوذ من التربية ثم نقل إلى الملك. وقولنا مالك مشتق من الملك. وجميع ما سوى هذا مما سمى الله تعالى به نفسه فصفات مفيدة لمعان يفهم ذلك من تأمله.

فصل في تمييز صفات الله تعالى

اعلم أن جميع ما يوصف به على حقيقة والمراد به معنى الوصف. وقسم يوصف به مجازا واتساعا والمراد به غير حقيقة ذلك الوصف. وصفات الحقائق تنقسم أيضا قسمين :

(١) هكذا وردت في الأصل ، ولعلّ الأصوب (عذرهم)

فقسم صفات ذاتية وهي التي لم يزل عليها ولا يزول عن استحقاقها.

وقسم صفات أفعال وهي التي تجددت عند فعله الأفعال ولا يصح أن يقال إنه عليها فيما لم يزل.

بيان صفات الذات والدليل عليها :

وهي قولنا :

حي باق وقادر وعالم وكذلك موجود وقديم.

فهذه الصفات استحقها لنفسه لا لمعنى آخر.

والدليل على ذلك أنه لو كان حيا بحياة وباقيا ببقاء وقادرا بقدرة وعالما بعلم كان حياته وبقاؤه وقدرته وعلمه لا يخلو عن حالين :

إما أن تكون معاني قديمة معه وإما أن تكون حادثة.

فلو كانت قديمة لشاركته في أخص صفاته ومائلته فيبطل التوحيد.

وقد تقدمت الأدلة ^(١) على صحته. وأيضا فلو ماثلت الصفة الموصوف لم تكن صفة له بأولى من أن يكون هو صفة لها.

وإن كانت هذه المعاني الموصوف بها أعني الحياة والبقاء والقدرة والعلم حادثة وجب أن يكون قبل حدوثها غير مستحق للوصف بها.

وقد ثبت الأدلة على أنه سبحانه لم يزل حيا باقيا قادرا عالما.

ولو كانت أيضا حادثة لم يكن لها غناء عن محدث أحدثها.

ولا يصح أن يكون محدثا غيره تعالى لأنه الفاعل الأول والقديم الذي لم يزل فكيف يفعل الحياة لنفسه من ليس بحي أو يحدث القدرة من ليس

بقادر.

والعاقل يعلم أن هذا مستحيل باطل.

(١) الأولى ثبت بالأدلة بزيادة الباء

فعلّم أنه حي وبارق وقادر وعالم لنفسه لا لمعان غيره.
وربما أطلق اللفظ اتساعاً بأن له قدرة وعلماً قال ^(١) الله سبحانه كذا والمعنى أنزله وهو عالم به ويقول المتكلمون قدرة الله عظيمة والمعنى التعظيم لمقدوره وأنه لا يعجزه شيء أرادته.

فأما عند التحقيق فهو قادر عالم لنفسه.

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في كلام له :

وجد الله تعالى وليس بينه وبين معلومه علم غيره به كان عالماً بمعلومه.

وهذا القول عنه عليه السلام ^(٢) إنه تعالى عالم لنفسه وذاته وإنه لا علم في الحقيقة له تعالى الله الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

وقد ذهب المجبرة إلى أن الله تعالى موصوف بصفات قديمة معه وأنها ليست غيره ولا بعضها غير بعض.

وهذا خروج عما يعقل ويفهم لأن العقول شاهدة بأن الأشياء التي يقع عليها العدد ويشملها الوجود ويختص كل منها بدليل لا تكون إلا غياراً ^(٣) بعضها سوى بعض.

وقد قال لهم أهل العدل.

إذا كانت لله تعالى صفات قديمة وليست غيره بقولها إنها أو هي هو فإن العقل يقضي بأنه لا بد لكم في إثباتكم من أحد هذه الثلاثة الأقسام.

قالت المجبرة :

كل واحد من هذه الثلاثة الأقسام قد ثبت الدليل على بطلانه فلا سبيل إلى قوله.

ولكننا نقول ليست الصفات عين الموصوف ولا غيره ولا بعضه.

(١) ربما سقطت من النسخ كلمة وقيل : فيصح الكلام هكذا وقيل قال الله ...

(٢) في الأصل تكرير أنه ويحتمل سقوط كلمة (يعني) أو ما يماثلها.

(٣) يعني بما المغايرة.

فقال لهم أهل العدل :

وقد هربتم من أن تقولوا بأحد هذه الأقسام لبطلانه وصرتم إلى ادعاء ما لا تتصور العقول صحته بل يشهد بفساده وبطلانه فأخبرونا ما الفرق بينكم في قولكم إن صفاته لا هي هو ولا غيره ولا بعضه.

قالت المجبرة هذا القول مناقضة.

قالت العدلية :

وقولكم في التناقض مثله وأي شيء أردتموه في إبطال ما عارضناكم به فقولكم يبطل بمثله.

وقد قالت المجبرة أيضا في نصره مذهبها :

إننا لم نر عالما إلا وله علم ولا قادرا إلا وله قدرة فلما كان الله عالما قادرا وجب أن يكون له علم وقدرة.

قال لها أهل العدل :

إنكم إنما عولتم في ذلك على الشاهد فقولوا إن علم الله تعالى غيره وكذلك قدرته غيره لأنكم لم تروا في الشاهد عالما وقادرا إلا وهذا حكمه وقولوا أيضا إن علم الله تعالى محدث وكذلك قدرته وجميع صفاته لأنكم لم تروا ذات صفات إلا وصفاته محدثة فاحتالوا في الخلاص مما لزمكم على سنن قياسكم.

بيان صفات الأفعال

اعلم أن صفة الفعل هي كل صفة داخلية في باب المضاف ومعنى ذلك أن يكون يقتضي وجود غير الموصوف كقولنا إله ورب ومالك وفاعل وجواد ورزاق وراحم ومتكلم وصادق ونحو ذلك.

لأننا قد بينا أن الإله واله والواله لا يكون إلا موجودا والرب يقتضي مربوبا وكذلك مالك يقتضي وجود المملوك لأنه لا يقال قد ملك المعدوم وفاعل صفة لا شبهة في أنها لا تصح إلا إذا وجد المفعول نعوذ بالله من القول

بأن القديم لم يزل فاعلا لأن ذلك يقتضي أنه لم يتقدم أفعاله فيصير الفاعل قديما وجميع صفات الأفعال جارية هذا المجرى لمن تأملها.
ألا ترى لو قلنا إنه جواد فيما لم يزل اقتضى ذلك فعله للجود فيما لم يزل ووجود من يجود عليه أيضا فيما لم يزل.
وكذلك قولنا متكلم يقتضي وجود كلام إذا تكلم فكلام الله تعالى أحد أفعاله كما أن رزقه أحد أفعاله وهو موجود قبل كلامه.
فأما صادق فلا يصح إلا بعد صحة التكلم والجميع صفات أفعال على ما تبين.

فصل في فروق صفة الذات وصفة الفعل

الفروق بينهما كثيرة :

فمنها أن تنظر الصفة التي تصف الله تعالى بها فإن كانت داخلة في باب المضاف فهي نفسية كقولنا موجود وقديم وباق وحي.
وكذلك إن كانت تقتضي إضافته إلى أمر غير موجود كقولنا قادر فالقادر لا يكون إلا على مقدور ولكن المقدور غير موجود.
ويجري مجرى ذلك قولك عالم لأنه لا يكون عالما إلا بمعلوم وقد يصح أن يكون المعلوم معدوما غير موجود.
فأما ما سوى ذلك من الصفات الداخلة في باب المضاف المقتضية إثبات غير الموصوف مما يكون موجودا غير معدوم فكلها صفات أفعال.
فرق آخر
ومنها أن كل صفة تصف الله تعالى بها ولا يجوز أن يدخلها التخصيص فتثبتها له في حال وتنفيها منه في أخرى فهي صفة نفسية كقولك موجود وحي وقادر وعالم فإنه لا يجوز أن ينتفي عنه ولا يتخصص شيء من ذلك.
وكل صفة تصفه بها ويجوز التخصيص فيها فتثبتها في حال وتنفيها عنه

في غيرها فهي صفة فعل كقولك فاعل وراحم ورازق ومتكلم فإنك تقول إنه سبحانه يفعل الخير ولا يفعل الشر ويرحم المؤمن ولا يرحم الكافر ويرزق زيدا ولا يرزق عمرا وكلم الله موسى ولم يكلم فرعون فيكون فيها صفات أفعال صح فيها التخصيص وهذا واضح.
فرق آخر :

وهو أن كل ما استحال أن يوصف بالقدرة عليه وعلى ضده فهو من صفات ذاته.
ألا ترى أنه يستحيل قولك يقدر أن يحيا ويقدر على الإحياء ويقدر على أن لا يقدر.
ويقدر على أن يعلم ويقدر على أن لا يعلم فهذه صفات ذاته.
فأما إن كان ما يوصف به يصح أن يوصف بالقدرة عليه وعلى ضده فهو من صفات الأفعال.
ألا ترى أنك تقول يقدر أن يفعل ويقدر أن لا يفعل ويقدر أن يرحم ويرزق ويقدر أن لا يرحم ولا يرزق ويقدر أن يتكلم ويقدر أن لا يتكلم فهذه كلها صفات أفعال فافهم ذلك.

بيان صفات المجاز

فأما الذي يوصف الله تعالى به ومرادنا به غير حقيقة الوصف في نفسه فهو كثير فمنه مرید وکاره وغضبان وراض ومحب ومبغض وسميع وبصير وراء ومدرک فهذه صفات لا تدل على وجوب صفة يتصف بها وإنما نحن متبعون للسمع الوارد بها ولم يرد السمع إلا على مجاز اللغة واتساعاتها والمراد بكل صفة منها غير حقيقتها.

القول في المرید

اعلم أن المرید في الحقيقة والمعقولة هو القاصد إلى أحد الضدين اللذين خطرا بباله الموجب له بقصده وإيثاره دون غيره.

وهذا من صفات المخلوقين التي تستحيل أن يوصف في الحقيقة بها رب العالمين إذ كان سبحانه لا يعتز به الخواطر ولا يفتقر إلى أدنى روية وفكر إذ كان هذا على ما بيناه فإنما معنى قولنا إن الله تعالى مريد لأفعاله أنها وقفت وهو عالم بها غير شاغلة ولا هو موجودا لمسبب وجب من غيره مريدا له فصح إذا أردنا أن نخبر بأن الله تعالى يفعل لا من سهو ولا غفلة ولا بإيجاب من غيره أن تقول هو مريد لفعله ويكون هذا الوصف استعارة لأن حقيقته كما ذكرناه لا يكون إلا في المحدث.

دليل

والذي يدل على صحة قولنا في وصف الله تعالى بالإرادة أنه سبحانه لو كان مريدا في الحقيقة لم يخل الأمر من حالين :
إما أن يكون مريدا لنفسه لوجب أن يكون مريدا للحسن والقبح كما أنه لو كان عالما لنفسه كان عالما بالحسن والقبح وإرادة القبح لا تجوز على الله سبحانه.

والكلام في هذا يأتي محررا على المجبرة في خلق الأفعال.

فإذا ثبت أن الله عَزَّجَلَّ لا يجوز أن يريد المقبحات علم أنه غير مريد لنفسه.

وإن كان مريدا بإرادة لم تخل الإرادة من حالين :

إما أن تكون قديمة أو حادثة.

ويستحيل أن تكون قديمة بما بيناه من أنه لا قديم سواه عَزَّجَلَّ .

والكلام على المجبرة في هذا داخل في باب نفي الصفات التي ادعت المجبرة أنها قديمة مع الله تعالى.

وأیضا فلو كان الله سبحانه مريدا فيما لم يزل إما لنفسه وإما بإرادة قديمة معه لوجب أن يكون مراده فيما لم يزل لأنه لا مانع له مما أراده ولا حائل

بينه وبينه ولكن ما يوجد من الأفعال لا تختلف أوقاته ولا يتأخر بعضه عن بعض لأن الإرادة حاصلة موحدة في كل وقت وهذا كله موضح أنه عَزَّجَلَّ

ليس بمريد فيما لم يزل لا لنفسه ولا لإرادة قديمة معه.

وإذا بطل هذا لم يبق إلا أن يكون مريدا بعد أن لم يكن مريدا بإرادة محدثة وهذا أيضا يستحيل لأن الإرادة لا تكون إلا عرضا والعرض يفتقر إلى محل والله تعالى غير محل للأعراض ولا يجوز أن تكون إرادته حالة في غيره كما لا يجوز أن يكون عالما بعلم محل في غيره وقادرا بقدرة محل في غيره. ولا يجوز أيضا أن تكون لا فيه ولا في غيره ^(١) لأنه عرض والعرض يفتقر إلى محل يحملها ويصح بوجوده وجودها.

ولو جاز أن توجد إرادة لا في مريد بها ولا في غيره لجاز أن توجد حركة لا في متحرك بها ولا في غيره.

فإن قيل إن الحركة هيئة للجسم وليس يجوز أن تكون هيئة غير حالة فيه.

قلنا ولم لا يجوز ذلك؟

فإن قيل لأن تغيير هيئة الجسم مدرك بالحاسة فوجب أن يكون المعنى الذي يتغير به حالا فيه.

قلنا وكذلك المريد للشيء بعد أن لم يكن مريدا له قد يتغير عليه حس نفسه فوجب أن تكون إرادته تحله.

فإن قيل أي شيء من الحواس تحس الإرادة؟

قلنا وبأي شيء يحس الصداع.

فإن قيل إن الإنسان يدرك ألم الصداع في موضعه ضرورة.

قلنا فلم نركم أشرتم إلى حاسة بعينها أدركه بها.

ولنا أن نقول وكذلك المريد في الحقيقة يعلم بتغير حسه ويدرك ذلك من نفسه ضرورة.

(١) وقد ذهب هشام بن الحكم إلى أن صفات الله ليست هي هو ولا غيره تبعا للجهنم بن صفوان ، واستدلّ لهذا الرأي بأن حدوث الصفة في ذاته يلزم منه التغير في ذاته وإن يكون محلا للحوادث ، وإن حدثت الصفة في محل فيكون الموصوف بالعلم مثلا هو ذلك المحل لا الباري تعالى وقد شرحنا ذلك في كتابنا «هشام بن الحكم» فراجع

فصل من كلام شيخنا المفيد رضي الله تعالى عنه في الإرادة.

قال الإرادة من الله جل اسمه نفس الفعل ومن الخلق الضمير وأشباهه مما لا يجوز إلا على ذوي الحاجة والنقص.

وذاك أن العقول شاهدة بأن القصد لا يكون إلا بقلب كما لا تكون الشهوة والمحبة إلا لذي قلب ولا تصح النية والضمير والعزم إلا على ذي خاطر يصور معها في الفعل الذي تغلب عليه الإرادة له والنية فيه والعزم. ولما كان الله تعالى يجلب عن الحاجات ويستحيل عليه الوصف بالجوارح والآلات ولا يجوز عليه الدواعي والخطرات بطل أن يكون محتاجا في الأفعال إلى التصور والعزمات وثبت أن وصفه بالإرادة مخالف في معناه لوصف العباد وأنها نفس فعله الأشياء وإطلاق الوصف بها عليه مأخوذ من جهة الاتباع دون القياس وبذلك جاء الخبر عن أئمة الهدى ع.

قال شيخنا المفيد رحمته الله :

أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه ^(٣) عن محمد بن يعقوب الكليني عن أحمد بن إدريس عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى قال

:

قلت لأبي الحسن عليه السلام ^(٤) :

أخبرني عن الإرادة من الله تعالى ومن الخلق.

فقال الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم من الفعل والإرادة من الله تعالى إحداثه الفعل لا غير ذلك لأنه جل اسمه لا يهم ولا يتفكر. ^(٥)

(١) في الأصل وإن بها نفس فعله ، وصوبناه لما ذكرناه اعتمادا على ما سيأتي.

(٢) يعني به السماع.

(٣) من علماء الإمامية المحدثين الثقات وهو أستاذ الشيخ المفيد ، له مؤلفات منها (كامل الزيارات) توفي عام ٣٦٨ أو ٣٦٧ هـ.

(٤) هو الإمام موسى بن جعفر عليه السلام المتوفى سنة ٨٣١ هـ وقيل بل ٨٦١ هـ.

(٥) روى الصدوق المتوفى عام ٣٨١ هـ هذا الحديث في كتابه «التوحيد» مع تغيير في بعض ألفاظه لا تؤثر في روح الحديث.

قال شيخنا المفيد رحمته الله :

وهذا نص من مولانا عليه السلام على اختياري في وصف الله تعالى بالإرادة وفيه نص على مذهب لي آخر منها وهو أن إرادة العبد تكون قبل فعله وإلى هذا ذهب البلخي.

والقول في تقدم الإرادة للمراد كالقول في تقدم القدرة للفعل وقول الإمام عليه السلام في الخبر المقدم إن الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم من الفعل صريح في وجوب تقدمها للفعل إذ كان الفعل يبدو من العبد بعدها ولو كان الأمر فيها على مذهب الجبائي لكان الفعل باديا في حالها ولم يتأخر بدوة إلى الحال التي هي بعدها لها.

فصل

اعلم أنا نذهب إلى أن الإرادة تتقدم المراد كتقدم القدرة للمقدور غير أن الإرادة موجبة للمراد والقدرة غير موجبة للمقدور والإرادة مما لا يصح أن يفعل الشيء فضده بدلا منه والجميع أعراض لا يصح بقاؤها.

فصل من القول في أن الإرادة موجبة :

هو أن الحي متى فعل الإرادة لشيء وجب وجود ذلك الشيء إلا أن يمنعه منه غيره فأما أن يمتنع هو من مراده فلا يصح ذلك. ومن الدليل على صحة ما ذكرناه أنه قد ثبت تقدم الإرادة على المراد لاستحالة أن يريد الإنسان ما هو فاعل له في حال فعله فيكون مريدا للموجود كما يستحيل أن يقدر على الموجود وإذا ثبت أن الإرادة متقدمة للمراد لم يخل أمر المريد لحركة يده من أن يكون واجبا وجودها عقيب الإرادة بلا فصل أو كان يجوز عدم الحركة فلو جاز ذلك لم يعدم إلا بوجود السكون منه بدلا منها.

ولو فعل السكون في الثاني من حال إرادته للحركة لم يخل من أن يكون

(١) هو أبو القاسم البلخي وتقدمت ترجمته.

(٢) في النسخة والجمع.

(٣) في النسخة كلمة (لا) بعد (هو) وهو غير واضح ولعلها زائدة

فعله بإرادته له أو سهو عنه ومحال أن يفعله بإرادة لأن ذلك موجب لاجتماع إرادتي الحركة والسكون لشيء واحد في حالة واحدة ومحال وجود السكون في حال إرادته الحركة فيبطل جواز امتناع الإنسان مما قد فعل الإرادة له على ما شرحناه.

مسألة إن قال قائل إذا كنتم تقولون إن إرادة الله تعالى لفعله هي نفس ذلك الفعل ولا تثبتون له إرادة غير المراد فما معنى قولكم أراد الله بهذا الخير كذا ولم يرد كذا وأراد العموم ولم يرد الخصوص وأراد الخصوص ولم يرد العموم؟

جواب قيل له معنى ذلك أن في المقدور أخبارا كثيرة عن أشياء مختلفة فقولنا أراد كذا ولم يرد كذا فهو أنه فعل الخير الذي هو عن كذا ولم يفعل الخير الذي هو عن كذا وفعل القول الذي يفهم منه كذا ولم يفعل القول الذي يفهم منه كذا. وهذا كقولنا إنا إذا قلنا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وأردنا القول كان ذلك قرآنا وإذا أردنا أن يكون منا شكر لله تعالى كان كذلك. فإنا لسنا نريد أن قولنا واحدا ينقلب بإرادتنا قرآنا إن جعلناه قرآنا ويكون كلامنا إن جعلناه لنا كلاما وإنما معناه أن في مقدورنا كلامين نفعل هذا مرة وهذا مرة. فإنا قال فكان من قولكم إن ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إذا أردتم به القرآن يكون مقدورا لكم. قلنا هذا كلام في الحكاية والمحكي وله باب يختص به وسنورد إن شاء الله تعالى طرفا منه.

فصل فأما إرادة الله تعالى لأفعال خلقه فهي أمره لهم بالأفعال ووصفنا له بأنه يريد منهم كذا إنما هو استعارة ومجاز وكذلك كل من وصف بأنه يريد

(١) في النسخة (ولم يفهم) وهي خطأ من الناسخ والصواب ما ذكرناه.

لما ليس من فعله تعالى بطريق الاستعارة والمجاز وقول القائل يريد مني فلان المصير إليه أنما معناه أنه يأمرني بذلك ويأخذني به وأرادني فلان على كذا أي أمرني به فقولنا : إن الله يريد من عباده الطاعة أنما معناه أنه يأمرهم بها. وقد تعبر بالإرادة عن التمني والشهوة مجازا واتساعا فيقول الإنسان أنا أريد أن يكون كذا أي أتمناه وهذا الذي كنت أريد أن يكون كذا أي أتمناه وهذا الذي كنت أريده أي أشتهيه وتميل نفسي إليه. والاستعارات في الإرادات كثيرة فأما كراهة الله تعالى للشيء فهو تحيه عنه وذلك مجاز كالإرادة فأعلمه.

القول في الغضب والرضا

وهاتان صفتان لا تصح حقيقتهما إلا في المخلوق لأن الغضب هو نفور الطباع والرضا ميلها وسكون النفس ووصف الله تعالى بالغضب والرضا أنما هو مجاز والمراد بذلك ثوابه وعقابه فرضاه وجود ثوابه وغضبه وجود عقابه ^(١) فإذا قلنا رضي الله عنه فإنما نعني أثابه الله تعالى وإذا قلنا غضب الله عليه فإنما نريد عاقبه الله فإذا علق الغضب والرضا بأفعال العبد فالمراد بهما الأمر والنهي نقول إن الله يرضى الطاعة بمعنى يأمر بها ويغضب من المعصية بمعنى ينهى عنها.

القول في الحب والبغض

وهاتان الصفتان أنما يوصف الله تعالى بها مجازا لأن المحبة في الحقيقة ارتياح النفس إلى المحبوب والبغض ضد ذلك من الأوزاع والتنفر الذي لا يجوز على القديم فإذا قلنا إن الله عَزَّجَلَّ يحب المؤمن ويبغض الكافر فإنما نريد بذلك أنه ينعم على المؤمن ويعذب الكافر وإذا قلنا إنه يحب من عباده

(١) وبهذا المعنى وردت عدة أحاديث منها ما في حديث هشام بن الحكم عن الصادق (عليهم السلام) : قال (عليهم السلام) من حديثه : فرضاه ثوابه ، وسخطه عقابه من غير شيء يتداخله فيهيجه وينقله من حال إلى حال ، التوحيد للصدوق صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٦٠).

الطاعة ويغض منهم المعصية جرى ذلك مجرى الأمر والنهي أيضا على المعنى الذي قدمنا في الغضب والرضا.

القول في سميع وبصير

اعلم أن السميع في الحقيقة هو مدرك الأصوات بحاسة سمعه والبصير هو مدرك المبصرات بحاسة بصره وهاتان صفتان لا يقال حقيقتهما في الله تعالى لأنه يدرك جميع المدركات بغير حواس ولا آلات فقولنا إنه سميع أنما معناه لا تخفى عليه المسموعات وقولنا بصير معناه أنه لا يغيب عنه شيء من المبصرات وأنه يعلم الأشياء على حقائقها بنفسه لا بسمع وبصر ولا بمعان زائدة على معنى العلم.

وقد جاءت الآثار عن الأئمة عليهم السلام بما يؤكد ما ذكرناه.

قال المفيد رضوان الله عليه

أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه عن محمد بن يعقوب الكليني عن علي بن إبراهيم بن هاشم عن محمد بن عيسى عن حماد بن حريز عن محمد بن مسلم الثقفي قال قلت لأبي جعفر الباقر عليهم السلام إن قوما من أهل العراق يزعمون أن الله تعالى سميع بصير كما يعقلونه قال فقال الله تعالى إنما يعقل ذلك فيما كان بصفة المخلوق وليس الله تعالى كذلك.

وبإسناده عن محمد بن محمد بن يعقوب عن علي بن محمد مرسلا عن الرضا عليهم السلام أنه قال في كلام له في التوحيد وصفة الله تعالى كذلك بأنه سميع أخبار بأنه تعالى لا يخفى عليه شيء من الأصوات وليس على معنى تسميتنا بذلك وكذلك قولنا بصير فقد جمعنا الاسم واختلف فينا المعنى وقولنا أيضا مدرك وراء لا يتعدى به معنى عالم فقولنا راء معناه عالم بجميع المرئيات وقولنا مدرك معناه عالم بجميع المدركات فهذه صفات المجازات والحمد لله.

القول في الخالق

اعلم أن حقيقة الخالق في لغة العرب هو المقدر للشيء قبل فعل المروي

المفكر فيه قال زهير بن أبي سلمى يمدح هرم بن سنان. ^(١)

ولأننت تفـري مـا خلقـت
وبعـض القـوم يخلـق ثم لا يفـري
وقال الحجاج بن يوسف ^(٢)

إني لا أعد إلا وفيت ولا أخلق إلا فريت.

والشواهد في هذا كثيرة.

وإذا كان هذا حقيقة الخالق أعلم أن وصف الله تعالى به اتساع وتجاوز والمراد به فاعل لأن الله تعالى لا يصح أن يقدر بروي وتفكر.

فصل في صفة أهل الإيمان

في كتاب المحاسن للبرقي ^(٣) قال مر أمير المؤمنين عليهم السلام بمجلس من مجالس قريش فإذا هو يقوم بيض ثيابهم صافية ألوانهم كثير ضحكهم يشيرون بأصابعهم إلى من مر بهم ثم مر بمجلس للأوس والخزرج فإذا هو يقوم بليت منهم الأبدان ورقت منهم الرقاب واصفرت منهم الألوان قد تواضعوا بالكلام فتعجب أمير المؤمنين عليهم السلام من ذلك ودخل على رسول الله

(١) زهير بن أبي سلمى من الشعراء الجاهليين المتقدمين ومن أصحاب المعلقات المعروفة ، وهو صاحب المعلقة التي أولها :

أمن أم أوفى دمنمة لم تكلـم
بحومانمة الـدرج فـالمتلـم

وهو ممن كان يتأله في شعره من الجاهليين ، ويكاد يكون مدحه وقفا على هرم بن سنان المري ، والبيت الذي استشهد به المؤلف هو من قصيدة أولها :

لمـن الـديار بقـة الحـجـر
أقـوين مـن حـجـج ومـن شـهر

وتوفي عام ١٤ قبل الهجرة وعام ٦٠٨ م

(٢) هو من أعظم رجال الأمويين وقوادهم ، ومن جبابرة القواد وطغاتهم ولولاه لأتخار ملك بني مروان ، ولما قامت لهم قائمة ، توفي بواسط المدينة التي بناها سنة ٨٣ هـ وكانت وفاته سنة (٩٥ هـ) و ٣٧١ م.

(٣) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي القميّ توفي سنة (٢٧٤ هـ) أو (٢٨٠ هـ) من أعلام الإماميّة في الآثار والأحاديث ، وكتابه المحاسن يحتوي على ثمانين كتابا وله سواه كتب عديدة.

ص فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله مررت بمجلس لآل فلان ثم وصفهم ثم قال وجميع مؤمنون فأخبرني يا رسول الله بصفة المؤمن فنكس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأسه ثم رفعه فقال :

عشرون خصلة في المؤمن من لم تكن فيه لم يكمل إيمانه إن من أخلاق المؤمن يا علي الحاضرون الصلاة والسارعون إلى الزكاة والمطعمون المساكين والماسحون رأس اليتيم والمطهرون أظفارهم والمتزرون على أوساطهم الذين إن حدثوا لم يكذبوا وإن وعدوا لم يخلفوا وإن تمنوا لم يخونوا وإن تكلموا صدقوا رهبان بالليل أسد بالنهار صائمون النهار قائمون الليل لا يؤذون جارا ولا يتأذى بهم جار الذين مشيهم ﴿عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ وخطاهم إلى المساجد وإلى بيوت الأراامل وعلى أثر المقابر جعلنا الله وإياكم المتقين.

أخبرني أبو الرجاء محمد بن علي بن طالب البلدي قال أخبرني أبو الفضل محمد بن عبد الله بن محمد بن المطلب الشيباني الكوفي ^(١) قال حدثنا عبد الله بن جعفر بن حجاب الأزدي بالكوفة قال حدثني خالد بن يزيد بن محمد الثقفي قال حدثني أبي خالد قال حدثني حنان بن سدير عن أبيه عن محمد بن علي عن أبيه عن جده قال قال علي عليهم السلام لمولاه نوف الشامى وهو معه في السطح ^(٢)

(١) ينتهي نسبه إلى ذهل بن شيباني أصله من الكوفة ، قضى عمره في طلب الحديث توفي سنة ٣٨٧ هـ قال النجاشي عنه : كان في أول أمره ثبنا ثم خلط ورأيت جل أصحابنا يغمزونهم ويضعفونه ، ويكثر محمد بن علي الحزاز في كتابه كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الاثني عشر ، الرواية عنه ، وكذا الصدوق وخاصة في كتابه كمال الدين وقام النعمة. وللشيباني مؤلفات منها مزار أمير المؤمنين (عليهم السلام) وكتاب مزار الحسين (عليهم السلام) وكتاب من روى حديث غدير خم.

(٢) لعله السطح لكن في النهج قال : وقد خرج ذات ليلة وهو ينظر إلى النجوم وهذا الحديث مروي في النهج وفي أمالي المفيد صلى الله عليه وآله وسلم ٧٨ وفي تاريخ بغداد للخطيب م ٧ صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٦٢ وفي مروج =

يا نون أرامق أم نهان قال نهان أرمقك يا أمير المؤمنين قال هل تدري من شيعتي قال لا والله قال شيعتي الذبل الشفاه الخمص البطون الذين تعرف الرهبانية والربانية في وجوههم رهبان بالليل أسد بالنهار الذين إذا جنهم الليل اتزروا على أوساطهم وارتدوا على أطرافهم وصفوا أقدامهم وافترشوا جباههم تجري دموعهم على خدودهم يجأرون إلى الله في فكاك رقابهم وأما النهار فحلمااء علماء كرام نجباء أبرار أتقياء يا نون شيعتي الذين اتخذوا الأرض بساطا والماء طيبا والقرآن شعارا إن شهدوا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا شيعتي من لم يهر هريز الكلب ولا يطمع طمع الغراب ولم يسأل الناس ولو مات جوعا إن رأى مؤمنا أكرمه وإن رأى فاسقا هجره هؤلاء والله يا نون شيعتي شرورهم مأمونة وقلوبهم محزونة وحوائجهم خفيفة وأنفسهم عفيفة اختلفت بهم الأبدان ولم تختلف قلوبهم قال قلت يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك أين أطلب هؤلاء فقال لي في أطراف الأرض يا نون يجيء النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة أخذا بحجرة ربه جلست أسماؤه يعني يحمل الدين وحجرة الدين وأنا أخذ بحجزته وأهل بيتي آخذون بحجزتي وشيعتنا آخذون بحجزتنا فإلى أين إلى الجنة ورب الكعبة قالها ثلاثا.

وأخبرني أيضا أبو الرجاء محمد بن علي بن طالب الرازي قال أخبرني أبو المفضل محمد بن عبد الله بن محمد بن المطلب الشيباني قال حدثني أبو عبد الله جعفر بن محمد بن جعفر العلوي الحسيني قال حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى الوابشي قال حدثني عاصم بن حميد الخياط.

قال أبو المفضل الشيباني وحدثنا محمد بن علي بن أحمد بن عامر البندار

= الذهب ج ٤ صلى الله عليه وآله وسلم ٩٣ ١ وفي حلية الأولياء ج ١ صلى الله عليه وآله وسلم ٧٩ ، وفي الخصال للصدوق القمّي ج ١ صلى الله عليه وآله وسلم ٢٩٩ . ونون هو نون البكالي والراوي عنه هو أبو عبد الله الشامي كما في معجم رجال الحديث ج ١ ٩ صلى الله عليه وآله وسلم ٢٢٧ .

بالكوفة من أصل كتابه وهذا الحديث بلفظه وهو أتم سياقه قال حدثنا الحسن بن علي بن بزيع قال حدثنا مالك بن إبراهيم بن عاصم بن حميد عن أبي حمزة الثمالي عن رجل من قومه يعني يحيى ابن أم الطويل أنه أخبره عن نوف البكالي قال عرضت لي إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام حاجة فاستبعت إليه جندب بن زهير والربيع بن خيثم وابن أخيه همام بن عباد بن خيثم وكان من أصحاب البرانس فأقبلنا معتمدين لقاء أمير المؤمنين عليهم السلام فألفيناه حين خرج يؤم المسجد فأفضى ونحن معه إلى نفر متدينين قد أفاضوا في الأحداثات تفكها وبعضهم يلهي بعضا فلما أشرف لهم أمير المؤمنين عليهم السلام أسرعوا إليه قياما فسلموا ورد التحية ثم قال من القوم فقالوا أناس من شيعتك يا أمير المؤمنين فقال لهم حبا

ثم قال يا هؤلاء ما لي لا أرى فيكم شيمة شيعتنا وحلية أحببنا أهل البيت؟

فأمسك القوم حياء قال نوف فأقبل عليه جندب والربيع فقالا ما سمة شيعتكم وصفتهم يا أمير المؤمنين فتثاقل عن جوابهما فقال اتقيا الله أيها

الرجلان وأحسننا ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ النحل ١١٨.

فقال همام بن عباد وكان عابدا مجتهدا :

أسألك بالذي أكرمكم أهل البيت وخصكم وحباكم وفضلكم تفضيلا إلا أنبأتنا بصفة شيعتكم فقال لا تقسم فسأنبئكم جميعا.

وأخذ بيد همام فدخل المسجد فسبح ركعتين وأوجزهما وأكملهما ثم جلس وأقبل علينا وحف القوم به فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى

الله عليه وآله وسلم ثم قال :

أما بعد فإن الله جل شأنه وتقدسست أسماؤه خلق خلقه فألزمهم عبادته وكلفهم طاعته وقسم بينهم معاشهم ووضعهم في الدنيا بحيث وضعهم

ووصفهم في الدين بحيث وصفهم وهو في ذلك غني عنهم لا تنفعه طاعة من أطاعه ولا تضره معصية من عصاه منهم لكنه تعالى علم قصورهم عما يصلح

عليه شئوهم ويستقيم به أودهم وهم في عاجلهم وآجلهم فأدبهم بإذنه في أمره ونهيه فأمرهم تخييرا وكلفهم يسيرا وأماز سبحانه بعدل حكمه وحكمته بين الموجف من أنامه إلى مرضاته ومحبته وبين المبطئ عنها والمستظهر على نعمته منهم بمعصيته فذلك قول الله ﷻ ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

ثم وضع أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم يده على منكب همام بن عباد فقال ألا من سأل من شيعة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم في كتابه مع نبيه تطهيرا فهم العارفون بالله العاملون بأمر الله أهل الفضائل والفواضل منطبقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيههم التواضع ويحجوا لله بطاعته وخضعوا له بعبادته فمضوا غاضين أبصارهم عما حرم الله لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقا إلى لقاء الله والثواب خوفا من العقاب عظم الخالق في أنفسهم وصغر ما دونه في أعينهم فهم والجنة كمن رآها فهم على أرائكها متكئون وهم والنار كمن دخلها فهم فيها يعذبون قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة وأجسادهم نحيفة وحوائجهم خفيفة وأنفسهم عفيفة ومعرفتهم في الإسلام عظيمة صبروا أياما قليلة فأعقبتهم راحة طويلة وتجارة مريحة يسرها لهم رب كريم أناس أكياس أرادتهم الدنيا فلم يريدوها وطلبتهم فأعجزوها.

أما الليل فصافون أقدامهم تالون لأجزاء القرآن يرتلون ترتيلا يعطون أنفسهم بأمثاله ويستشفون لدائهم بدوائه تارة وتارة يفترشون جباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم تحري دموعهم على خدودهم ويمجدون جبارا عظيما ويجأرون إليه جل جلاله في فكاك رقابهم هذا ليلهم فأما نهارهم فحلما علماء بررة أتقياء برأهم خوف بارئهم فهم أمثال القداح يحسبهم الناظر إليهم مرضى وما بالقوم من مرض أو خولطوا وقد خالط القوم من عظمة ربحهم

وشدة سلطانه أمر عظيم طاشت له قلوبهم وذهلت منه عقولهم فإذا استفاقوا من ذلك بادروا إلى الله تعالى بالأعمال الزاكية لا يرضون بالقليل ولا يستكثرون له الجزيل فهم منهم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون إن ذكر أحدهم خاف مما يقولون وقال أنا أعلم بنفسى من غيرى وربى أعلم بى اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى خيرا مما يظنون واغفر لى ما لا يعلمون فإنك علام الغيوب وسائر العيوب هذا ومن علامة أحدهم أن ترى له قوة فى دين وحزما فى لين وإيمانا فى يقين وحرصا على علم وفهما فى فقه وعلماء فى حلم وكيسا فى رفق وقصدا فى غنى وتحملا فى فاقة وصبرا فى شدة وخشوعا فى عبادة ورحمة للمجهود وإعطاء فى حق ورفقا فى كسب وطلبا فى حلال وتعففا فى طمع وطمعا فى غير طبع أى دنس ونشاطا فى هدى واعتصاما فى شهوة وبراً فى استقامة لا يغيره ما جهله ولا يدع إحصاء ما عمله يستبطن نفسه فى العمل وهو من صالح عمله على وجل يصبح وشغله الذكر ويمسى وهمه الشكر يبيت حذرا من سنة الغفلة ويصبح فرحا لما أصاب من الفضل والرحمة إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما إليه تشتهر رغبة فيما يبقى وزهادة فيما يفنى قد قرن العمل بالعلم والعلم بالحلم يظل دائما نشاطه بعيدا كسله قريبا أمله قليلا زلله متوقعا أجله خاشعا قلبه ذاكرا ربه قانعة نفسه عازبا جهله محزنا دينه ميتا داؤه كاظما غيظه صافيا خلقه آمنا من جاره سهلا أمره معدوما كبره ثبنا صبره كثيرا ذكره لا يعمل شيئا من الخير رياء وما يتركه حياء الخير منه مأمول والشر منه مأمون إن كان بين الغافلين كتب فى الذاكرين وإن كان مع الذاكرين لم يكتب من الغافلين يعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه قريب معروفه صادق قوله حسن فعله مقبل خيره مدبر شره غائب مكره فى الزلازل وقور وفى المكاره صبور وفى الرخاء شكور لا يحيف على من يبغض ولا يأثم فيمن يحب ولا يدعى ما ليس له ولا يجحد ما عليه يعترف بالحق قبل أن يشهد به عليه لا يضيع ما استحفظه ولا يناز باللقاب ولا يبغي على أحد ولا يغلبه الحسد ولا يضار بالجار ولا يشمت بالمصاب مؤد للأمانات عامل بالطاعات سريع إلى

الخيرات بطيء عن المنكرات يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويجتنبه لا يدخل في الأمور بجهل ولا يخرج من الحق بعجز إن صمت لم يعيه الصمت وإن نطق لم يعبه اللفظ وإن ضحك لم يعل به صوته قانع بالذي قدر له لا يجمع به الغيظ ولا يغلبه الهوى ولا يقهره الشح يخاطب الناس بعلم ويفارقهم بسلم يتكلم ليغنم ويسأل ليفهم نفسه منه في عناء والناس منه في راحة أراح الناس من نفسه وأتعبها لإخوته إن بغي عليه صبر ليكون الله تعالى هو المنتصر يقتدي بمن سلف من أهل الخير قبله فهو قدوة لمن خلف من طالب البر بعده أولئك عمال الله ومطايا أمره وطاعته وسرج أرضه وبريته أولئك شيعتنا وأحبتنا ومنا ومعنا آها شوقا إليهم فصاح همام بن عباد صيحة وقع مغشيا عليه فحركوه فإذا هو قد فارق الدنيا رحمة الله عليه فاستعبر الربيع باكيا وقال لأسرع ما أودت موعظتك يا أمير المؤمنين بآبن أخي ولوددت أني بمكانه فقال أمير المؤمنين عليهم السلام هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها أما والله لقد كنت أخافها عليه فقال له قائل فما بالك أنت يا أمير المؤمنين فقال ويحك إن لكل واحد أجلا لا يعدوه وسببا لن يتجاوزوه فلا تعد بها فإنما ينفثها على لسانك الشيطان قال فصلى عليه أمير المؤمنين عليهم السلام عشية ذلك اليوم وشهد جنازته ونحن معه.

قال الراوي عن نوف فصرت إلى الربيع بن خيثم فذكرت له ما حدثني نوف فبكى الربيع حتى كادت نفسه أن تقبض وقال صدق أخي إن موعظة أمير المؤمنين عليهم السلام وكلامه ذلك مني بمراى ومسمع ما ذكرت ما كان من همام بن عباد يومئذ وأتاني هنيئة إلا كدرها ولا شدة إلا فرجها^(١).

(١) هذه الخطبة رواها ابن شعبة الحزالي في تحف العقول صلى الله عليه وآله وسلم ١٠٧ = ١٠٩ وسليم بن قيس الهلالي في كتابه صلى الله عليه وآله وسلم ١٠٦ = ١٠٤ ، وأبو جعفر الكليني في أصول الكافي م ٢ صلى الله عليه وآله وسلم ٢٢٦ = ٢٣٠ وسبط ابن الجوزي في التذكرة صلى الله عليه وآله وسلم ١٣٨ = ٣٩١ وفي نهج البلاغة ، وغيرهم ، انظر كتابنا مصادر نهج البلاغة صلى الله عليه وآله وسلم ٢١٢ .

فصل :

من كلام أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم في الإخوان وآداب الإخوة.

في الإيمان الناس إخوان فمن كانت إخوانه في غير ذات الله فهي عداوة وذلك قوله عَزَّوَجَلَّ

﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ : الزخرف : ٦٧

من قلب الإخوان عرف جواهر الرجال.

أحض أخاك بالنصيحة حسنة كانت أم قبيحة ساعده على كل حال وزل معه حيث زال لا تطلبن منه المجازاة فإنها من شيم الدناة ابذل لصديقك كل المودة ولا تبذل له كل الطمأنينة.

وأعطه كل المواساة ولا تفض إليه بكل الأسرار توفي الحكمة حقها والصديق واجبه لا يكون أخوك أقوى منك على مودته.

البشاشة فح المودة والمودة قرابة مستفادة لا يفسدك الظن على صديق أصلحه لك اليقين كفى بك أدبا لنفسك ما كرهته لغيرك لأخيك عليك مثل

الذي لك عليه لا تضيعن حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه فإنه ليس لك بأخ من ضيعت حقه.

ولا يكن أهلك أشقى الناس بك اقبل عذر أخيك وإن لم يكن له عذر فالتمس له عذرا.

لا يكلف أحدكم أخاه الطلب إذا عرف حاجته لا ترغبن فيمن زهد فيك ولا تزهدن فيمن رغب فيك إذا كان للمخالطة موضع.

لا تكثرن العتاب فإنه يورث الضغينة ويجر إلى البغيضة وكثرته من سوء الأدب ارحم أخاك وإن عصاك وصله وإن جفاك.

احتمل زلة وليك لوقت وثبة عدوك من وعظ أخاه سرا فقد زانه ومن وعظه علانية فقد شانه.

من كرم المرء بكاه على ما مضى من زمانه وحنينه إلى أوطانه وحفظه قديم إخوانه

فصل مما جاء نظما في الإخوان

روي أن الصادق جعفر بن محمد الصادق عليهم السلام كان يتمثل كثيرا بهذين البيتين :

أخوك الذي لو جئت بالسيف عامدا لتضربه لم يستغشك في الود
ولو جئته تدعوه للموت لم يكن يردك إبقاء عليك من الود
وقال مسلم بن وابصة : ^(١)

أحب الفتى ينفى الفواحش سمعه كأن به من كل فاحشة وقرا
سليم دواعي الصدر لا باسطا أذى ولا مانعا خيرا ولا قاتلا هجرا
إذا ما أتت من صاحب لك زلة فكأن أنت محتالا لزلته عذرا
غنى النفس ما يكفيك من سد خلّة فإن زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا
لغيره :

إذا جمع الفتى حسبا ودينا فلا تعدل به أبدا قرينا
ولا تسمح بحظك منه بل كن بحظك من مودته ظنينا
لآخر :

وكنّت إذا الصديق أراد غيظي وأشرفني على حنق بريقي
غفرت ذنوبه وصفحت عنه مخافة أن أعيش بلا صديقي ^(٢)
ولآخر :

ومن لا يغمض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتبّع جاهدا كل عثرة يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب ^(٣)

(١) هو سالم بن وابصة الأسدي لا مسلم بن وابصة ، وهو شاعر إسلامي تابعي ، وأبوه وابصة بن سعيد صحابي جليل ، وسالم بن وابصة مقطعات شعرية في حماسة أبي تمام.

(٢) رواهما ابن قتيبة في عيون الأخبار ج ٧ صلى الله عليه وآله وسلم ٦١ باختلاف كبير.

(٣) في النسخة نقصان وتشويش ، وقد صححنا البيتين عن الموشى للوشاء ، وعن محاضرات الأدباء للأصفهاني وفي عيون الأخبار ج ٧ صلى الله عليه وآله وسلم ٦١ وهما لكثير.

وقال إياس بن الفائق : (١)

يقيم الرجاء الأغياء بأرضهم
فأكرم أخاك الدهر ما دمتما معا
إذا زرت أرضا بعد طول اجتنابها

وقال حاتم بن عبد الله: (٢)

وما أنا بالساعي بفضل زمامها
وما أنا بالطاوي حقيقة (٣) رحلها
لبعضهم

بدا حين أثري بإخوانه
وذكرهم الحزم غلب الأمور
لغيره

ألا إن عبد الله لما حوى الغنى
رأى خلقة منهم يسد بماله
لموسى بن يقطين

تبيع إخوانه في البلاد
ولسليمان بن فلاح

لي صديق ما مسني عدم
قام بعذري لما قعدت به
أغنى وأقنى ولم يسهم كرمها

وترمي النوى بالمقترين المراميا
كفى بالملمات فرقة وتنايها
فقدت صديقي والبلاد كما هيها

لتشرب ما في الحوض قبل الركائب
لأبعثها حقها وأترك صاحبي

ففتك عنهم شياه العدم
فبادر قبل انتقال النعم

وصار له من بين إخوانه مال
فساواهم حتى استوت بهم الحال

فأغنى المقل عن المكثر

مذ وقعت عينه على عدم
ونمت عن حاجتي ولم يـنـم
يقبل كف له ولا قـدم

(١) هذه الأبيات من شعر حماسة أبي تمام ولم أجده لإياس هذا ترجمة.

(٢) هو حاتم بن عبد الله الطائي من أجواد العرب وقد أصبح بجوده مضرب المثل والبيتان من قصيدة أولهاو

مرقبـة دون السـماء علوتـها

أقلـب طـرقي في فضـاء السـبـاب

(٣) في ديوان حاتم (حقيقة) وهو الأرجح.

لبشار بن برد ويكنى أبا معاذ ويلقب بالمرعث الداعمي. ^(١)

إذا كنت في كل الأمور معاتبنا
فعلش واحدا أو صل أخاك فإنه
إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى
لزياد الأعجم ^(٢)

أخ لك لا تراه الدهر إلا
أخ لك ليس خلت به بمذق
وله ^(٣)

إذا كان ذواقا أخوك من الهوى
فخل له وجه الطريق ولا تكن
تخاف المنيا أن ترحل صاحبي
ولبشار أيضا

خير إخوانك المشارك في المر
الذي إن شهدت سرك في الناس
مثل سر العقيان إن مسه النار

صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
مفارق ذنب مرة ومجانبه
ظمئت وأي الناس تصفو مشاريه

على العلات بساما جوادا
إذا ما ماد فقر أخيه عادا

موجهة في كل فحج مذاهبه
مطية رحال كثير مذاهبه
كأن المنيا في المقام تناسبه

وأين الشريك في المر أينما
وإن غبت مكان أذنا وعيننا
جلاله البلا فزاد زينا

(١) هو بشار بن برد مولى بني عقيل وقيل بل لبني سدوس ويكنى أبا معاذ ، ويلقب بالمرعث ، والمرعث هو الذي جعل في أذنيه الرعات وهي الأقراط ، ولا أعرف سبب نسبته إلى الداعمي ، وهو من فحول الشعراء الإسلاميين ، ومن أشعر المحدثين طبعاً واسترسالا وعمقا ، أتهم بالزندقة ، وقتل على ذلك سنة ١٦٧ / ١ ٦٨ هـ ويشك في صحة هذه التهمة الموجهة ، والأرجح أنها سياسية لا عقائدية وخاصة بعد قوله.

إن في البعث والحسب لب لشغلا
عن وقوف برسم دار محيلا

تجد أخباره في كتب الأدب والتاريخ كالأغاني ومعاهد التنصيص وسواهما.

(٢) هو زياد بن جابر بن عمرو مولى عبد القيس ، كان ينزل إصطخر فغلبت العجمة على لسانه فقليل الأعجم ، أصله ومولد ومنشأه أصبهان ، ومات بخراسان ، أحد الشعراء المجيدين في عهد بني أمية ، وله مدائح جواد في المهلب بن أبي صفرة ، أخباره موجودة في الأغاني ج ١ ٤ والشعر والشعراء لابن قتيبة.

(٣) كذا في النسخة وهنا سقوط كلمة (وأیضا) أو كلمة لغيره).

وأنشدت لابن نعمة الخطيب مما قاله في مجلس ابن خالويه ^(١)

أيها العالم الذي مـلاً الأرض علمه
لا يفـر الحـوار أن يتوطأه أمـه
لا تهجم^(٣) على الصديق بشيء يغمه
قال وأنشد لغيره

لا (٥) تـوردن على الصديق مـن
واحد نذر بـ وادر طيش هـ
فالعجب لـ تنطح هـ على

قلت لما جرحـت قلبي بحال تغـمه
ولعمري لضـمه كان أحلى وشمـه
فلإذا أـحـوج^(٣) الشـجاع^(٤) بدا منه سمـه

الدعاية مـ لا يغـه
يومـا إذا مـ طـال حـمـه
إدمـان مـس الضـرع أـمـه

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالدية من شيوخ العربية البارزين ، دخل بغداد وأخذ من علمائها كابن الأنباري وابن عمر والزاهد وابن دريد والسيوافي وانتقل إلى حلب ولزم سيف الدولة الحمداني ، وهو من علماء الشيعة ومؤلفاته كثيرة منها : (كتاب ليس) وهو مبني على أنه ليس في كلام العرب كذا و (كتاب الآل) وعرض فيه للأئمة الاثني عشر ومواليدهم ووفياتهم ، وكتاب في إمامة عليّ عليه السلام و (شرح مقصودة ابن دريد) ، وأورد السيّد ابن طاوس في كتاب الإقبال دعاء عن ابن خالدية في أعمال شهر شعبان عن عليّ عليه السلام.

قال : كان أمير المؤمنين والأئمة (عليهم السلام) يدعون به في شهر شعبان.

وتوفي في حلب سنة (٣٧٠ هـ)

وله شعر منه قوله :

إذا لم يكن صدر المجتهد السديد
وكم قائل مل رأيك راجلا

(٢) هكذا في النسخة والوزن معها غير مستقيم ولعله (لا تهجمن).

(٣) هكذا في النسخة والمعنى معها قلق ولعله في الأصل (أخرج) بدل أحوج.

(٤) الشجاع هو ذكر الحية.

(٥) ليس في الأصل كلمة (لا) وقد وضعناها ليستقيم الوزن والمعنى.

فـلـا خـيـر فـيـمـن صـدـرـتـه اـلـجـاـلـس
فـقـلـت لـه مـن اـجـل اـنـك فـاـرـس

فصل آخر في ذكر الإخوة والإخوان

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

إذا آخى أحدكم رجلا فليسأله عن اسمه واسم أبيه وقبيلته ومنزله فإنه من واجب الحق وصافي الإخاء وإلا فهو مودة حمقاء.

وروي أن داود قال لابنه سليمان عليهم السلام يا بني لا تستدلن بأخ أخا مستفادا ما استقام لك ولا تستقلن أن يكون لك عدو واحد ولا تستكثرن أن يكون لك ألف صديق.

وأنشد لأمير المؤمنين ع :

وليس كثيرا ألف خل وصاحب وإن عداوا واحدا لكثير

وروي أن سليمان عليهم السلام قال

لا تحكموا على رجل بشيء حتى تنظروا من يصاحب فإنما يعرف الرجل بأشكاله وأقرانه وينسب إلى أصحابه وإخوانه.

وروي أنه كانت بين الحسن والحسين صلى الله عليه وآله وسلم وحشة فقبل للحسين عليهم السلام لم لا تدخل على أخيك وهو أسن منك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول أيما اثنان جرى بينهما كلام فطلب أحدهما رضا صاحبه كان سابقا له إلى الجنة فأكره أن ^(١) أسبق أبا محمد إلى الجنة فبلغ ذلك ^(٢) الحسن عليهم السلام فقام يجر رداءه حتى دخل على الحسين صلى الله عليه وآله وسلم فاسترضاه.

حدثني الشريف أبو عبد الله محمد بن عبيد الله بن الحسين بن طاهر الحسيني رحمته الله وكتب لي بخطه قال حدثنا عبد الواحد بن عبد الله بن يونس الموصلي قال أخبرنا أحمد بن محمد بن رباح قال حدثنا محمد بن العباس الحسيني عن الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني عن صفوان الجمال قال وقع بين أبي عبد

(١) في النسخة إذا فصولها (أن).

(٢) في النسخة زيادة (إلى) والأصوب حذفها.

الله جعفر بن محمد عليهم السلام وبين عبد الله بن الحسن بن الحسين كلام حتى ارتفع الضوضاء واجتمع الناس عليهما فتفرقا عشيتيهما تلك ثم غدوت في حاجة لي فإذا أنا بأبي عبد الله جعفر بن محمد عليهم السلام على باب عبد الله بن الحسن وهو يقول يا جارية قولي لأبي محمد هذا جعفر بالباب قال فخرج عبد الله فقال يا أبا عبد الله ما بكر بك فقال أبو عبد الله عليهم السلام إني ذكرت آية من كتاب الله البارحة فأقلقنتي قال وما هي فقال قول الله عَزَّوَجَلَّ

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ الرعد : ٢١ .

فقال عبد الله صدقت والله يا أبا عبد الله كأني لم أقرأ هذه الآية قط .

وروي في الكامل أن عبد الله بن علي بن جعفر بن أبي طالب افتقد صديقا له من مجلسه ثم جاءه فقال أين كانت غيبتك قال خرجت إلى عرض من أعراض المدينة مع صديق لي فقال له إن لم تجد من صحبة الرجال بدا فعليك بصحبة من إن صحبته زانك وإن خففت له صانك وإن احتجت إليه أعانك ^(١) وإن رأى منك خلة سدها أو حسنة عدها أو وعدك لم يحرضك وإن كثرت عليه لم يرفضك وإن سألته أعطاك وإن أمسكت عنه ابتدأك . وقال بعضهم .

قارب إخوانك في لقائهم تسلم من بوائقهم .

وفي كتب الهند :

ثق بذئ العقل والكرم واطمئن إليه وواصل غير ذي الكرم واحترس من سيئ أخلاقه وانتفع بعقله وواصل الكريم غير العاقل وانتفع بكرمه وأنفعه بعقلك واهرب من اللئيم الأحمق .

وقال آخر :

(١) في النسخة مكان كلمة أعانك (مانك) .

دع مصارعة أخيك وإن حث التراب في فيك.

وقيل :

إياك وطاعة الأسفال فإنه يهجم بصاحبه على مكروه وإذا صفا لك أخ فكن به أشد ضنا منك بنفائس أموالك ثم لا يزهديك فيه إن ترى منه خلقا تكرهه فإن نفسك التي هي أخص الأنفس بك لا تطيعك كالمقادة في كل ما تحوى فكيف تلتمس ذلك من غيرك وبحسبك أن يكون لك من أخيك أكثره فقد قالت العرب من لك يوما بأخيك كله.

ووصف أعرابي رجلا فقال :

كان والله يتحسى مرارة الإخوان ويسقيهم عذبه.

وقيل لخالد بن صفوان أي الإخوان أحب إليك فقال الذي يغفر زلي ويقبل عللي ويسد خللي.

وسئل رجل عن صديقين له فقال

أما أحدهما فعلق ^(٢) مصيبة لا تباع وأما الآخر فعلق مصيبة لا تباع.

وكان آخر يقول :

اللهم احفظني من الصديق فليل له ولم قال لأني من العدو متحز ومن الصديق آمن وأنشد :

احذر مودة مــــــاذق ^(٣) شــــباب المــــرارة بالحــــلاوة

يخصــــي العيــــوب عليــــك أيام الصــــداقة للــــداوة

وقيل لبعضهم كم لك من صديق فقال لا أدري لأن الدنيا علي مقبلة فكل من يلقيني يظهر لي الصداقة وإنما أحصيتهم إذا ولت عني.

(١) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهمم من الخطباء البلغاء وهو معدود في البخلاء توفي في عهد السفاح سنة ٣٢١ هـ = ٧٥٠ م.

(٢) هو النفيس من كل شيء ، وهو القطعة أيضا.

(٣) هو من كان وده غير خالص.

وقيل ليحيى بن خالد^(١) وهو في الحبس وقد احتاج لو كتبت إلى فلان فإنه صديقك فقال دعوه يكون صديقا.

لبعضهم :

قد أخلق الدهر ثوب المكرمات فلا
ولا يغرنك إخوان تعدهم
لغيره :

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها
مساعده على الدنيا فإن وثبت
لغيره :

هي توبتي من أن أظن جميلا
كشفت لي الأيام كل خبيئة
الناس سلمك ما رأوك مسلما
فإذا امتحنت بمحنة ألفتهم
للشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين الموسوي رحمته الله

وقد كنت منذ لاح المشيب بعارضي
فما إذ عرفت الناس إلا ذمتهم
ولإبراهيم بن هلال الصابي :

أيا رب كل الناس أبناء علة^(٢)
وجوه بما من مضمر الغل شاهد
إذا اعترضوا عند اللقاء فإثمهم
وإن عرضوا^(٥) ببرد الوداد وظلله

(١) هو يحيى بن خالد البرمكي كان رجل الدولة العباسية عقلا ورأيا وسياسة وكان إلى هذا من الخطباء البلغاء الأجواد ، حبسه الرشيد بعد فتكه بالبرامكة ومات في الحبس سنة ٩٠ ١ هـ.

(٢) في النسخة (انقر) بدل انقر

(٣) أي أبناء ضرة.

(٤) الصفيق السميكة.

(٥) في النسخة أعرضوا والأوجه ما ذكرناه.

ألا ليتني حيث انتوت أفرخ القطا
أخو وجدة قد أنستني كأنثى
فذلك خير للفتي من ثوابه
لغيره :

اسم الصديق على كثير واقع
كعجائب البحر التي أسماؤها
لأحمد بن إسماعيل :

مذ سمعنا باسم الصديق فطالينا
أتراه في الأرض يوجد لكــن
أم ترى قـولهم صديق مجازا
لعبد الملك بن مروان ^(٢) :

صديقك حين تستغني كثير
فلا تأسف على أحد إذا ما
لبعضهم :

هو خليل ولكــن
لفظة في ضمها السوء
مسألة فقهية

بأقصى محل في البلاد سـحيق
بها نازل في معشري وفريقي
بمسغبة ممن صاحب ورفيق

وقد اختبرت فما وجدت فتي يفي
مشهورة ^(١) وشخصها لم تعرف

بمعناه فما استفدنا صديقا
نحن لا نحتدي إليه طريقا
لا نرى تحت لفظه تحقيقا

وما لك عند فقرك من صديق
لهي عنك الزيارة وقت ضيق

لعن الله ولكــن
تحملي في أمي ما كن

رجل صحيح دخل على مريض فقال له أوص فقال بما أوصي وإنما يرثني زوجتك وأختك وعمتك وخالتك وجدتك وفي ذلك يقول الشاعر
أتيت الوليد ضحى عائدا
فقلت له أوص فيمما تركت
ففي عمتيك وفي جدتيك
وقد خامر القلب منه السقاما
فقال ألا قد كفيتم الكلاما
وفي خالتيك تركت السواما

(١) في النسخة معروفة مشهورة.

(٢) هو أحد ملوك بني أمية ، وهو الذي ولد حكمهم وقضى على عبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الأشعث وعلى عمرو بن سعيد الأشدق ، كان معروفا بالحزم والحنكة ولد سنة ٢٦ هـ وتوفي سنة ٨٦ هـ.

وزوجك حقهـم ثابـت وأختك منـه تحوز التمام
هنالك يا ابـن أبي خالـد ظفـرت بعشـر حويـت السـهما

الجواب

هذا المريض تزوج جدتي الصحيح أم أمه وأم أبيه فأولد كل واحدة منها ابنتين فابنتاه من جدته أم أمه خالتا الصحيح ^(١) وتزوج الصحيح جدتي المريض أم أبيه وأم أمه وتزوج أبو المريض أم الصحيح فأولدها ابنتين فقد ترك المريض أربع بنات وهما عمتا الصحيح وخالتاه وترك جدتيه وهما زوجتا الصحيح وترك امرأتيه وهما جدتا الصحيح وترك أختيه لأبيه وهما أختا الصحيح لأمه فلبناته الثلثان ولزوجته الثمن ولجدتيه السدس ولأختيه لأبيه ما بقي. وهذه القسمة على مذهب العامة دون الخاصة ^(٢).

شبهة المجبرة

استدل المجبرة على أن الإيمان فعل الله تعالى أن قالت قد قال الله تعالى ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ ولا شك أنه أراد بذلك تعليمنا سؤاله فلا تخلو هذه الهداية التي تسأل فيها من حالتين إما أن تكون الدلالة على ما يقولون وإما أن يكون الإيمان على ما نقول. وزعموا أنها لا تصح أن تكون الدلالة لأن الله عَزَّجَلْ قد فعلها قالوا ولا يجوز أن تسأله في فعل ما قد فعله وإذا لم يصح أن يكون السؤال في الدلالة فما هو إلا في أن يفعل لنا الإيمان فنكون بفعله مهتدين.

(١) هنا كما يبدو قد سقط بيان نسبة البنيتين المولودتين من أم أبيه ، وهما يكونان عمتي الصحيح.

(٢) لأنه لا يرث في مذهب الإمامية في مثل هذه المسألة إلا بنات الميت وزوجته أما جدته وأختاه فلا ارث لها هنا.

(٣) سورة الفاتحة آية ٦ .

نقض عليهم

أما قولهم إن هذه الهداية المسئول فيها لا تخلو في حالتين إما أن تكون الدلالة وإما أن يكون الإيمان فخطأ لأنها قد تحتل غير ذلك ويجوز أن يكون المراد بما فعل الألفاظ التي إذا فعلها الله تعالى ازداد بها الصدر انشراحاً للإيمان ولا تكون هذه الألفاظ إلا لمن آمن واهتدى وقد تكون الألفاظ هداية قال الله تعالى

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ محمد : ١٧ .

وأما قولهم إنها لا تجوز أن تكون الدلالة فخطأ لأن الدلالة وإن كان الله قد فعلها وأزاح علل المكلفين بإقامتها فإنه قد يصح أن تسأله في الزيادة فيها وأن يقوى خواطرنا بالتيسير لنا إدراك أدلة أخرى بعدها.
ولا شبهة في أن ترادف الأدلة زيادة في الهدى.
وأما قولهم إنه لا يجوز سؤال الله تعالى في فعل ما قد فعله فخطأ أيضاً وقد يصح أن نسأل الله سبحانه في فعل ما فعله وفي أن لا يفعل ما يجوز أن فعله.

وقد علمنا ذلك في كتابه وندبنا إلى ما فعله عبادة تعبدنا بها ومصلحة هدايا إليها فقال سبحانه حاكياً عن ملائكته ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾. غافر : ٧

ولا شك أنه قد فعل ذلك بهم قبل المسألة منهم.

وكفوله ﴿رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾

ونحن نعلم أنه لا يحكم إلا به.

وكذلك ما تعبدنا به منى من سؤاله أن تصلي على أنبيائه ورسله مع علمنا أنه قد صلى عليهم ورفع أقدارهم.

وحكى لنا سؤال إبراهيم خليله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ وهو يعلم أنه لا يخزيه.

وعلمنا سبحانه كيف تقول ﴿وَلَا تُحْمِلُنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ ونحن نعلم أنه لا يكلف عباده ما لا يطيقون.

وقد شهد بذلك قوله عزَّوَجَلَّ :

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة : ٢٨٦ .

وإنما جازت العبادة بذلك ونحوه لما فيه من التذلل والخضوع والاستكانة والخشوع فيحوز على هذا الوجه أن نسأله أن يهدينا الصراط المستقيم بمعنى

يدلنا عليه وإن كان قد دل وهدى جميع المكلفين قال الله تعالى :

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ فصلت ١٧ .

مسألة لهم

قالت المجبرة ما معنى قول الله تعالى :

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ وكيف يجوز أن يتعبدنا بالدعاء وعندكم أن النسيان من فعله سبحانه ولا تكليف على الناس في حال

نسیانہ.

جواب

يقال للمجبرة لسنا نحيل أن يكون المراد من النسيان المذكور في هذه الآية السهو وفقد العلم ويكون وجه الدعاء إلى الله تعالى بترك المؤاخذه عليه

جاريا مجرى ما تقدم ذكره من الانقطاع إليه وإظهار الفقر إلى مسألتة والاستعانة به وإن كان مأمونا منه في المؤاخذه بمثله على المعنى الذي أوضحنا قبل

هذه المسألة ويجوز أيضا أن نحمل النسيان المذكور فيها على أن المراد به الترك كما قال سبحانه ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ﴾ طه : ١١٥ .

أي فترك ولو لا ذلك لم يكن فعله معصية كقوله تعالى ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ أي تركوا طاعته فتركهم من ثوابه ورحمته وقد يقول الرجل لصاحبه لا

تنسني من عطيتك أي لا تتركني منها.

وأنشد أبو عرفة :

ولم أك عند الجود للجود قاليليا ولا كنت يوم الخروج للطعن ناسيا

يعني تاركا :

ويشهد بصحة ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ :

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ بمعنى وتتركون أنفسكم.

فصل :

من الفرق بين مذهبنا ومذهب المجبرة في الأفعال التي نعتقدها. ^(١)

أن الله تعالى لا يكلف عباده ما لا يطيقون ولا يثيبهم ولا يعاقبهم إلا على ما يفعلون.

وأن الإيمان فعل المؤمن وأن الكفر فعل الكافر.

وترغم المجبرة أن الله تعالى يكلف العبد ما لا يطيقه ويأمره بما لا يقدر عليه ولا يتأتى منه ويثيبه ويعاقبه على ما لم يفعلهُ والإيمان والكفر فعلاَن الله تعالى.

ونعتقد أن القدرة التي أعطها الله تعالى للعبد هي قدرة على الإيمان والكفر وأنه يفعل بهما أيهما شاء باختياره ولا يصح أن يفعلهما معا في حال واحدة لتضادها فحصل من هذا أن الذي أمره الله بالإيمان ونهاه عن الكفر قادر على ما أمره به ونهاه عنه وصح أنه سبحانه لا يكلف العبد إلا بما يستطيعه.

وترغم المجبرة أن القدرة التي أعطها الله عَزَّوَجَلَّ للعبد لا تصلح إلا لشيء واحد إما للإيمان وإما للكفر.

وأن قدرة الإيمان تضاد قدرة الكفر ولا يصح اجتماعهما معا.

فالذي معه قدرة الإيمان قد كلف ترك الكفر وهو غير قادر عليه والذي معه قدرة الكفر قد كلف فعل الإيمان ولا قدرة معه عليه فحصل من هذا

تكليف ما لا يطاق وإلزام ما لا يستطاع تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

ونعتقد أن القدرة على الفعل توجد قبله وأن الفعل يوجد بعدها

(١) في الأصل نعتقد.

فالمأمور بالإيمان قادر عليه غير فاعل له وإنما أمر بمعدوم ليوجده وهو يقع ويحصل ثاني وقت القدرة كما قدمناه.
وكذلك المنهي عن الكفر إنما نهي وهو قادر على أن يفعل كفرا يقع منه في ثاني حال قدرته فإذا كان كافرا وقت قدرته فكفره ذلك إنما صح منه
بقدره أخرى تقدمته.

وتزعم المجبرة أن القدرة على الفعل توجد هي والفعل معا ولا يتأخر الفعل عنها.
فالمأمور بالإيمان ومعه قدرة عليه إنما أمر بوجود والمنهي عن الكفر ومعه قدرة عليه إنما نهي عن موجود فكأنه قيل للمؤمن افعل ما قد فعلت
والموجود المفعول لا يفعل وقيل للكافر لا تفعل ما قد فعلت وما قد فعل ووجد لا يصلح الامتناع منه وهذا تخبيط محكم.
ونعتقد أن القدرة غير موجبة للمقدور ولا حاملة عليه وأن القادر مخير بين أن يفعل الشيء أو ضده بدلا منه.
وتزعم المجبرة أن القدرة موجبة للمقدور حاملة عليه ولا يصح وجودها إلا والمقدور معها.
ونعتقد أن المقدور الكائن بالقدرة هو فعل العبد في الحقيقة سواء كان طاعة أو معصية أو مباحا وأن العبد يحدث الفعل وموجده.
وتزعم المجبرة أن جميع المقدورات فعل الله تعالى وهو المحدث لسائر الأفعال في الحقيقة ولا يحدث سواء ويقولون إن معنى قولنا إن العبد فعل إنما هو
اكتسب فإذا سئلوا عن حقيقة الكسب لم يتحصل منهم فيه فائدة تعقل.

ونعتقد أن الله تعالى لا يريد من العباد إلا الطاعة وأنه يريد لما أمر به كاره لما نهي عنه.
وتزعم المجبرة أن الله تعالى يريد من قوم الطاعة ويريد من آخرين معصيته وأنه قد أمر الكافر بالإيمان ولا يريده منه فقد أمره بما لا يريد ونهى عما أراد.

ونعتقد أن الله تعالى إذا أراد شيئاً فهو كان يحبه ويرضاه وإذا كره شيئاً فإنه لا يحبه ولا يرضاه.

وتزعم المجبرة أن الله عَزَّوَجَلَّ قد يريد شيئاً ويشاؤه ولا يحبه ولا يرضاه وأنه قد يكره شيئاً ويحبه ويرضاه.

وهذه مناقضة لا تخفى على عاقل.

وكل ما ذهبنا إليه في الأفعال بما وصفناه وعددناه فالمعتزلة توافقنا عليه وتخالفنا المجبرة فيه وكل من قال الله لا يكلف عباده ما لا يطيقون ولا يعذبهم على ما لم يفعلوا فهو من أهل العدل ومن خالف في ذلك فهو من أهل الجور والجبر.

قبح التكليف بما لا يطاق

فصل من القول في أن الله تعالى لا يكلف عباده ما لا يطيقون

الذي يدل على أن الله تعالى لا يفعل ذلك أنا وجدنا قد قبحه في عقولنا لا لعله من نهي أو غيره بل جعل العقول شاهدة بأنه قبيح لنفسه وما كان قبيحاً لنفسه لا للنهي عنه فلن يجوز أن يفعله فاعل إلا وقد خرج من كونه حكيماً ولو جاز أن يكلفنا سبحانه وتعالى ما لا نطيع لجاز أن يكلف الأعمى النظر والأخرس النطق والزمن^(١) العدو ولجاز أن يكلف السيد منا عبده ذلك ويعاقبه على ما لا يقدر عليه وهذا واضح البطلان فعلم أنه لا يكلف أحداً من عباده إلا ما يطيقه ويستطيعه.

فإن قالوا إن تكليف ما لا يطاق قبيح وهو حسن من خالقنا لأن الخلق خلقه والأمر أمره و ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

قيل لهم فأجيزوا عليه الإخبار بالكذب وقولنا إن ذلك قبيح بيننا حسن من خالقنا لأن الخلق خلقه والأمر أمره و ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

(١) الزمن هو المقعد الذي لا يستطيع المشي.

فإن اعتقدوا ذلك وجب أن لا يثقوا بشيء مما تضمنه القرآن من الأخبار وإن امتنعوا طولبوا بعلة الامتناع.

فمهما قالوه في قبح الإخبار بالكذب من قول قيل لهم قد قبح تكليف ما لا يطاق مثله.

فأما ما يشهد من القرآن بأن الله تعالى لا يكلف ما لا يطاق فقوله سبحانه :

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة : ٢٨٦

وقوله عَزَّجَلَّ

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ الطلاق : ٧

فصل من القول في أن القدرة على الإيمان هي قدرة على الكفر

مما يدل على ذلك أن الكافر مأمور بالإيمان فلو كانت قدرة الإيمان ليست معه كان قد كلف ما لا يطيقه وقد تقدم القول في فساد هذا.

وإذا كانت معه فلا يجوز أن تكون غير قدرة الكفر الحاصلة له لما في ذلك من اجتماع الضدين فعلم أنها قدرة واحدة تصلح للضدين على أن يفعل

بها ما يتعلق به اختيار المكلف منها.

فإن قالوا إذا كانت قدرة على الضدين فيجب أن يفعلهما معا.

قيل لهم لا يجب ذلك لأن القدرة غير موجبة للفعل والقادر بها مخير غير مجبر.

فإن قالوا : فجوزوا أن يختارهما فيفعلهما.

قيل لهم : هذا غير صحيح ولا جائز لأن الاختيار هو أن يختار أحدهما على الآخر فيفعله بدلا منه ولا يصح ذلك فيهما معا.

وبعد فهما ضدان وكل واحد منهما ترك لصاحبه فلا يصح أن يوجد في حال واحد معا وقد أجمع المسلمون على أن الله تعالى يقدر على أن يبقي

العبد

على حاله ويغنيه ويحييه ويميته ولا يجوز أن يفعل ذلك أجمع في وقت واحد.

فإن قيل فإذا كان الله تعالى قد أعطى العبد قدرة تصلح للكفر فقد أراد الكفر منه.

قلنا ليس الأمر كذلك لأن الله سبحانه إنما أعطاه القدرة ليطيع بها مختارا فلو كانت لا تصلح إلا للطاعة لكان في فعلها مضطرا ومثل القدرة كمثل السيف الذي يعطيه السيد لعبده ليقتل به أعداءه وهو يصلح أن يقتل به أوليائه وكالدراهم التي تصلح أن تنفق في الطاعة والمعصية ويدفع إلى من ينفقها في الطاعة وينفقها في المعصية والقدرة معنى تحل القادر يصح به الفعل وهي القوة وهي أيضا الاستطاعة.

فصل من القول في أن القدرة على الفعل توجد قبله

الدليل على أن القدرة متقدمة في الوجود للفعل أنها يحتاج إليها ليحدث بها الفعل ويخرج بها من العدم إلى الوجود فمتى وجدت والفعل موجود فقد وجدت في الاستغناء عنه ^(٢).

ومما يدل على تقدمها أنها لو كانت مع الفعل كان الكافر غير قادر على الإيمان لأنه لو قدر عليه لكان موجودا منه على هذا المذهب فكان يكون مؤمنا في حال كفره وهذا فاسد.

ولو لم يكن قادرا على الإيمان لما حسن أن يؤمر به ويعاقب على تركه لما قدمناه من قبح تكليف ما لا يطاق وبطلانه.

وقد قال أصحابنا مؤكدين القول بتقدم القدرة على الفعل فيمن كان في يده شيء فألقاه إن استطاعة الإلقاء لا تخلو من حالتين إما أن تأتیه والشيء في يده أو تأتیه وهو خارج عن يده فإن كانت تأتیه والشيء في يده فقد صح

(١) هكذا في النسخة

(٢) هذا بيان لعدم صحة القول بمقارنة القدرة للمقدور.

تقدم القدرة على الإلقاء وهو الذي قلنا وإن كانت تأتيه والشيء خارج عن يده ملقى عنها فقد أتت في حال الغنى عنها.
وفي ذلك أيضا أنه قد قدر على أن يلقي ما ليس في يده وهذا محال وليس بين كون الشيء في يده وكونه خارجا عنها واسطة ومنزلة ثالثة.
وقد قال أهل العلم أيضا :

لو كانت القدرة والفعل يوجدان معا ولا يصح غير هذا لم تكن القدرة المؤثرة فيه بأولى من أن يكون هو المؤثر فيها.
وقالوا ولو كان لا يصح وجود القدرة حتى يوجد الفعل كما لا يصح وجود الفعل حتى توجد القدرة لكان لا يصح أن يوجد^(١).
حدثني شيخنا رحمته الله^(٢) :

أن متكلمين أحدهما عدلي والآخر جبري كانا كثيرا ما يتكلمان في هذه المسألة وأن الجبري أتى منزل العدلي فدق عليه الباب فقال العدلي من ذا قال أنا فلان قال له العدلي ادخل قال له الجبري افتح لي حتى أدخل قال العدلي ادخل حتى أفتح فأنكر هذا عليه وقال له لا يصح دخولي حتى يتقدم الفتح فوافقه على قوله في القدرة والفعل وأعلمه بذلك وجوب تقدمها عليه فانتقل الجبري عن مذهبه وصار إلى الحق

فصل من القول في أن القدرة غير موجبة للفعل

الدليل على أنها غير موجبة ما قدمناه من أنها قدرة على الضدين فلو كانت موجبة لأوجبتهما فأدى ذلك إلى المحال وكون المكلف حاضرا ومسافرا في حال ومتحركا ساكنا في حال.

(١) وذلك لأن كل واحد من الفعل والقدرة يتوقف وجوده على وجود الآخر المتوقف على نفسه وهو من الدور المحال ، وما ترتب على المحال محال.

(٢) المراد به هو الشيخ المفيد.

ولو كانت القدرة أيضا موجبة لكان القادر بها مضطرا ويخرج من كونه مختارا والمضطر لا معنى لتوجه الأمر والنهي إليه ولا يحسن ثوابه وعقابه على أمر هو مضطر فيه

أفعال الإنسان

فصل من القول في أن الله تعالى لم يخلق أفعال العباد وأنها فعل لهم على سبيل الإحداث والإيجاد.

الدليل على أنه سبحانه لم يفعلها أن فيها قبائح من كفر وفسق وظلم وكذب وليس بحكيم من فعل القبائح ولا يجوز من الحكيم أيضا سب نفسه وسوء الثناء عليه.

ثم نحن نعلم أن من فعل شيئا اشتق له اسم من فعله كما يقال فيمن فعل الحركة إنه متحرك ومن فعل السكون إنه ساكن ومن فعل الضرب ضارب ومن فعل القتل قاتل فلو كان الله تعالى هو الفاعل لأفعالنا والخالق لها دوننا لوجب أن يسمى بها الله عَزَّجَلَّ عن ذلك وتعالى. والذي يدل على أنها فعل لنا دون غيرنا وقوعها بحسب تصورنا وإرادتنا وانتفاء المنفي منها بحسب كراهتنا وانتظام ما ينتظم منها بحسب مبلغ علومنا واختلالها بقدر اختلالاتنا.

فلو كانت فعلا لغيرنا لم يكن الأمر مقصودا على ما ذكرنا ونحن قد نفرق ضرورة بين حركة نحدثها في بعض جوارحنا وبين الرعشة إذا حدثت في عضو منا ونرى وقوع إحدى الحركتين عن قصد ووقوع الآخر بخلاف ذلك فلسنا نشك في أن إحداها حادثة منا وفعل في الحقيقة لنا وهي الكائنة عن قصدنا.

وشيء آخر وهو أن الله تعالى خلق فينا الشيب والهرم والصحة والسقم ولم يأمرنا بشيء من ذلك ولا نهانا عنه ولا مدح الشاب على شبيبته ولا ذم الشيخ لشيخوخته عدلا منه سبحانه في حكمه فلو كانت الطاعات والمعاصي

أيضا من فعله وخلقه لجرت مجرى ذلك وقبح أن يأمرنا بطاعة أو ينهانا عن معصية ولم يصح على شيء من ذلك مدح ولا ذم ولا ثواب ولا عقاب وهذا واضح لمن عقل.

فصل من القول أن الله تعالى لا يريد من خلقه إلا الطاعة وأنه كاره للمعاصي كلها.

وأما الذي يدل على أنه سبحانه لا يريد المعاصي والقبائح ولا يجوز أن يشاء شيئا منها وأنه كاره لها ساخط لجميعها فهو أنه تعالى نهي عنها والنهي إنما يكون نهيًا بكراهة الناهي للفعل المنهي عنه.

ألا ترى أن لا يجوز أن ينهى إلا عما يكرهه فلو كان النهي في كونه نهيًا غير مفتقرة إلى الكراهية لم يجب ما ذكرناه لأنه لا فرق بين قول أحدنا لغيره لا تفعل كذا وكذا ناهيا له وبين قوله أنا كاره له كما لا فرق بين قوله افعل أمرا له وبين قول أنا مرید منك أن تفعل.

وإذا كان سبحانه كارهها لجميع المعاصي والقبائح من حيث كونه ناهيا عنها استحالة أن يكون مریدا لها لاستحالة أن يكون مریدا كارهها لأمر واحد على وجه واحد.

ويدل على ذلك أيضا أنه لو كان مریدا للقبیح لوجب أن يكون على صفة نقص وذم إن كان مریدا له بلا إرادة وإن كان مریدا بإرادة وجب أن يكون فاعلا للقبیح لأن إرادة القبيح قبيحة ولا يكون كذلك كما في الشاهد كما لا خلاف في قبح الظلم من أحدنا.

وقد دل السمع من ذلك على مثل ما دل عليه العقل قال الله عَزَّوَجَلَّ

﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ غافر : ٣١

وفي موضع آخر :

(١) والأولى مفتقر بدل (مفتقرة).

﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ آل عمران : ١٠٨

وقال الله تعالى:

﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ الإسراء : ٣٨

وقال تعالى :

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ البقرة : ١٨٥ .

ونعلم أن الكفر أعظم العسر وقال تعالى :

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات : ٥٦

فإذا كان خلقهم للعبادة فلا يجوز أن يريد منهم غيرها وقال :

﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ الزمر : ٧

إيراد على أهل الجبر

فصل

وقد سأل أهل العدل المجبرة عن مسألة ألزموهم بها ما لم يجدوا فيه حيلة وذلك أنهم قالوا لهم :

أخبرونا عن رجل نكح إحدى المحرمات عليه بأحد المساجد المعظمة في نهار شهر رمضان وهو عالم غير جاهل أتقولون إن الله تعالى أراد منه هذا

الفعل على هذه الصفة؟

قالت المجبرة بل الله أراده.

قال لهم أهل العدل أخبرونا عن إبليس اللعين هل أراد ذلك أم كرهه؟

قالت المجبرة بلى هذا إنما يريد إبليس ويؤثره.

قال لهم أهل العدل فأخبرونا لو حضر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلم بذلك أكان يريد أم يكره؟

قالت المجبرة بل يكرهه ولا يريد.

قال لهم أهل العدل فقد لزمكم على هذا أن تثنوا على إبليس اللعين وتقولوا إنه محمود لموافقة إرادته لإرادة الله عَزَّجَلَّ وهذا ما ليس فيه حيلة لكم مع تمسككم بمذهبكم.

حكاية للمؤلف في مجلس بعض الرؤساء

وقد كنت أوردت هذه المسألة في مجلس بعض الرؤساء مستظرفا له بها وعنده جمع من الناس فقال رجل ممن كان في المجلس يميل إلى الجبر إن كان هذه المسألة لا حيلة للمجبرة فيها فعليكم أنتم أيضا مسألة لهم أخرى لا خلاص لكم مما يلزمكم منها.

فقلت وما هي قال يقال لكم إذا كان الله تعالى لا يشاء المعصية وإبليس يشاؤها ثم وقعت معصية من المعاصي فقد لزم من هذا أن تكون مشيئة إبليس غلبت مشيئة رب العالمين.

فقلت إنما تصح الغلبة عند الضعف وعدم القدرة ولو كنا نقول إن الله تعالى لا يقدر أن يجبر العبد على الطاعة ويضطره إليها ويحيل بينه وبين المعصية بالقسر والإلجاء إلى غيرها لزمنا ما ذكرت وإلا بخلاف ذلك وعندنا أن الله تعالى يقدر أن يجبر عباده ويضطرهم ويحيل بينهم وبين ما اختاروه فليس يلزمنا ما ذكرتم من الغلبة.

وقد أبان الله تعالى فقال :

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ هود : ١١٨

وقال تعالى :

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ السجدة : ١٣

وإنما لم يفعل ذلك لما فيه من الخروج عن سنن التكليف وبطلان استحقاق العباد للمدح والذم فتأمل ما ذكرت تجده صحيحا فلم يأت بحرف بعد هذا.

جناية المجبرة على الإسلام

فصل اعلم أيديك الله تعالى أن جناية المجبرة على الإسلام كثيرة وبليتها عظيمة بحملها المعاصي على الله تعالى وقولها إنه لا يكون إلا ما أَراده الله تعالى وإنه لا قدرة للكافر على الخلاص من كفره ولا سبيل للفاسق إلى ترك فسقه وإن الله تعالى قضى بالمعاصي على قوم وخلقها لهم وفعلها فيهم ليعاقبهم عليها وقضى بالطاعات على قوم وخلقهم لها وفعلها فيهم ليشيئهم عليها.

وهذا الاعتقاد القبيح يسقط عن المكلف الحرص على فعل الطاعة والاجتهاد والاجتناب عن المعصية لأنه يرى أن اجتهاده لا ينفع وحرصه لا يغني بل لا اجتهاد في الحقيقة ولا حرص لأنه مفعول فيه غير فاعل وموجد فيه غير موجد ومخلوق لشيء لا محيد له عنه ومسبوق لأمر لا انفصال له منه فأى خوف مع هذا يقع وأي وعيد معه ينفع نعوذ بالله مما يقولون ونبرأ إليه مما يعتقدون. وأنشدت لبعض أهل العدل شعرا :

سألت المخنث عن فعله	عـلام تخنث يا مـاذق
فقال ابـتلاني بـدائي العـضال	وأـسلمني القـدر السـابق
ولمـت الـزناة عـلى فعلهـم	فقـالوا بـهذا قـضى الخـالق
وقلـت لأكـل مـال الـيتـيم	[ألؤمـا] وأنـت امـرؤ فاسـق
فقـال وـجلـس ج في قـوله	أكـلت وأطـعمـني الـرازق

(١) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة الوزن ، وهي في النسخة غير موجودة.

وكل يحيل على ربه وما فهم أحد صادق

التجوز في التعبير بالاستطاعة عن الفعل وبنفيها عن نفيه

فصل اعلم أيديك الله تعالى أنه قد يعبر عن نفي الفعل بنفي الاستطاعة توسعا ومجازا فيقال لمن يعلم أنه لا يفعل شيئا لثقله على قلبه ونفور طبعه منه إنك لا تستطيعه وإن كان في الحقيقة مستطاعا له ويقول أحدنا لمن يعلم أنه يبغضه إنك لا تستطيع أن تنظر إلي والمعنى أن ذلك يثقل عليك ويقال للمريض الذي يجهد الصوم إنك لا تستطيع الصيام وهو في الحقيقة يستطيعه ولكن بمشقة تدخل عليه وثقل يناله منه.

وعلى هذا المعنى يتأول قول الله جل اسمه فيما حكاه عن العالم الذي تبعه موسى عليهم السلام حيث قال له موسى :

﴿هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾. الكهف : ٦٦ . ٦٧

المعنى فيه إنك لا تصبر ولا يخف عليك وأنه يثقل على طبيعتك فعبر عن نفي الصبر بنفي الاستطاعة وإلا فهو قادر مستطيع فيدل على ذلك قول

موسى عليهم السلام في جوابه له :

﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾. الكهف : ٦٩ .

ولم يقل إن شاء الله مستطاعا ومن حق الجواب أن يطابق السؤال فدل جوابه على أن الاستطاعة المذكورة في الابتداء هي عبارة عن الفعل نفسه

مجازا كما ذكرنا.

وقد يستعمل الناس هذا كثيرا وأنشده شعرا

أرى شهوات لست أسطيع تركها وأحذر إن واقعته ضارر الإثم

فلا النفس تنهاني وتبصر رشدها وأكره إتيان العقاب على علم
ولسنا نشك في أن الشاعر عني بقوله لست أسطيع تركها أن تركها يثقل عليه ولا يلائم طبعه وأنه لم ينف الاستطاعة في الحقيقة عن نفسه ولو كان
أراد نفيها لم يكن معنى لقوله وأحذر إن واقعته ضرر الإثم وقوله وأكره إتيان العقاب على علم.

وعلى هذا المعنى يتأول قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾. هود : ٢٠

وهو أنهم لاستثقالهم استماع آيات الله تعالى وكراهتهم تأملها وتدبرها جروا مجرى من لا يستطيع السمع كما يقال لمن عهد منه العناد واستثقال
استماع الحجج والبيانات ما يستطيع استماع الحق وما يطيق أن يذكر له.

قال الأعشى ^(١)

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهـل تطيق وداعاً أيها الرجل
ونحن نعلم أنه قادر على الوداع وإنما نفى قدرته عليه من حيث الكراهية والاستثقال ومعنى قوله ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ أن أبصارهم لم تكن نافعة لهم
ولا مجدية عليهم نفعا لإعراضهم عن تأمل آيات الله عَزَّوَجَلَّ وتفهمها فلما انتفت عنهم منفعة الإبصار جاز أن ينفي عنهم الإبصار نفسه كما يقال عن
المعرض عن الحق العادل عن تأمله ^(٢) ما لك لا تسمع ولا تعقل.

وقد تأول الشريف المرتضى رحمه الله هذه الآية على وجه آخر ^(٣) وهو أن يكون ما في قوله ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ ليست للنفي بل تجري مجرى

(١) هذا البيت مطلع معلقة الأعشى المشهورة وهو من شعراء الجاهلية المشهورين أدرك الإسلام ولم يسلم توفي سنة (٧) للهجرة و (٦٢٩ م) وهو الأعشى ميمون بن قيس ينتهي إلى نزار ،
ويقال له صناعة العرب لجودة شعره.

(٢) في الأصل تأملها.

(٣) انظر كلامه على هذه الآية في الأمالي م ٢ صلى الله عليه وآله وسلم ٦٣ ١ = ٦٧ ١ .

قولهم لا واصلتك ما لاح نجم لا أقيم على مودتك ما طلعت شمس.

قال الله تعالى :

﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ هود : ٢٠ .

ويكون المعنى اتصال عذابهم ودوامه ما كانوا أحياء.

مسألة :

وقد سألت المجبرة عن معنى قول الله تعالى ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِّيَّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ وظنوا أن لهم في هذه الآية حجة يتشبثون بها.

والجواب أن ظاهر هذه الآية يقتضي أن المنافقين كانوا بهذه الصفات ومعلوم من حالهم أنهم كانوا بخلافها ولا شيء أدل على فساد التعلق بظواهرها

من أن يعلم أن العيان بخلافه فوجب ضرورة صرف الآية عن ظاهرها إلى ما يقتضيه الصواب من تأويلها.

والمراد بها أنهم لما لم ينتفعوا بهذه الخواص والآلات فيما خلقت له وأنعم عليهم بها لأجله صاروا كأنهم قد سلبوها وحرموها وهذا مستعمل في الشاهد

يقول أحدنا لغيره وقد بين له الشيء وبالغ في إيضاحه وهو غير متأمل بوروده إنك أصم وأعمى فلا تستطيع كذا تسمع قد ختم ^(١) على قلبك.

وربما تجاوز ذلك فقال له إنك ميت لا تفهم ولا تعقل قال الله تعالى :

﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ النمل : ٨٠ .

وفي هذا المعنى قال الشاعر :

لقد أسمعــت لــــو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي ^(٢)

(١) قد أضفنا ما بين القوسين تصحيحا للتعبير .

(٢) هذا البيت على ما أحفظه لأبي تمام الطائي الشاعر المشهور توفي سنة ٢٣١ ، وبعد البيت قوله :

ونارا إن نفخــــت بهــــا أضــــاءت ولكن أنــــت تنفخ في رمــــاد

شبهة للمجبرة

وقد احتجت في تصحيح قولها أن الله تعالى خلق طائفة من خلقه ليعذبهم بقوله سبحانه :

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ الإعراف : ١٧٩ .

قالت فبين أنه خلقهم لمجرد العذاب في النار لا في غيره.

نقض عليهم

يقال لهم حمل هذه الآية على ظاهرها منافي للعدل والحكمة ومباين لما وصف نفسه به من الرأفة والرحمة ومناقض لقوله عَزَّجَلَّ :

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات : ٥٦ .

ولقوله تعالى :

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ الفتح ٤٥ . ٤٦ .

من صلى الله عليه وآله وسلم ٧٧ إلى صلى الله عليه وآله وسلم ١٨٤

ولقوله سبحانه

﴿لِيَذْكُرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ الفرقان : ٥٠

ولقوله جل اسمه :

﴿أَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ الحديد : ٢٥

ولقوله تبارك وتعالى :

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ الحديد : ٩

فالواجب ردها إلى ما يلائم هذه الآيات المحكمات ويوافق الحجج العقلية والبيانات.

والوجه في ذلك أن يكون المراد بقوله ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ العاقبة فكأنه قال :

ولقد ذرأناهم والمعلوم عندنا أن مصيرهم ومآل أمرهم وعاقبة حالهم دخول جهنم بسوء اختيارهم قال الله عَزَّجَلَّ :

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ والمراد أن ذلك يكون أمرهم لأنهم ما التقطوه إلا ليسروا به وكقوله سبحانه :

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيُنْكَرُوا فِيهَا﴾ الأنعام : ١٢٣ ^(١)

والمراد أن أمرهم يقول إلى هذه وعاقبتهم إليه لا لأن الله عَزَّجَلَّ جعلهم فيها ليعصوا ويمكروا وقوله ﴿إِنَّمَا تُمْلِي هُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ وإنما أخبر بذلك عن

عاقبتهم.

وهذا ظاهر في اللغة مستعمل بين أهلها قال الشاعر :

أم سميــــــــــــــــك فــــــــــــــــلا تجزــــــــــــــــعي فللمــــــــــــــــوت مــــــــــــــــا تــــــــــــــــلد الوالــــــــــــــــدة

وقال آخر :

فللمــــــــــــــــوت تغــــــــــــــــذو الوالــــــــــــــــدات ســــــــــــــــخالها كــــــــــــــــما لخــــــــــــــــراب الــــــــــــــــدور تــــــــــــــــبني المــــــــــــــــساكن

وهي لا تغذو أولادها للموت ولا تبني المساكن لخرابها وإنما تبني لعمارتها وسكنائها وتغذى السخال لمنفعتها ونموها ولكن لما كانت العاقبة تتمول إلى الموت والخراب جاز أن يقال ذلك.

ومثله قول الآخر :

أموالــــــــــــــــنا لــــــــــــــــذوي المــــــــــــــــيراث نجمعــــــــــــــــها ودورنا لخــــــــــــــــراب الــــــــــــــــدور نبنيهــــــــــــــــا

والمعنى في هذا كله واحد والمقصود به العاقبة وفيما ذكرناه كفاية.

(١) وتسمى هذه اللام في مثل هاتين الآيتين في عرف النحاة لام العاقبة.

مسألة لهم أخرى

وقد احتجوا لمذهبهم بقول الله تعالى :

﴿لَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. هود : ٢٤

وقالوا ظاهر هذه الآية يدل على أن نصح النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا ينفع الكفار الذين أراد الله بهم الكفر والغواية وهذا خلاف مذهبكم.

نقض عليهم.

يقال لهم

إن الغواية هي الخيبة وحرمان الثواب.

قال الشاعر :

فمن يلحق خيرا يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائمة

فكأنه قال ولا ينفعكم نصحي إن كنتم مصرين على الكفر الذي يريد الله معه إن يحرمكم الثواب ويخيبكم منه.

وأیضا قد سمى الله تعالى العقاب غيا قال ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾. فيكون المعنى على هذا الوجه إن كان الله يريد أن يعاقبكم بسوء أعمالكم وكفركم

فليس ينفعكم نصحي إلا بأن تفعلوا وتتوبوا.

وما قبل الآية يشهد بصحة هذا وإن القوم استعجلوا عقاب الله تعالى فقالوا ﴿يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ

الصَادِقِينَ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

سورة هود : ٣٣ . ٣٤

ووجه آخر في الآية

وهو أنه قد كان في قوم نوح طائفة تقول بالجبر فنبههم بهذا القول على فساد مذاهبهم وقال لهم على طريق الإنكار عليهم والتعجب من قولهم إن كان القول كما تقولون من أن الله يفعل فيكم الكفر والفساد فما ينفعكم نصحي فلا تطلبوا مني نصحا وأنتم على قولكم لا تنتفعون به.

من هم القدرية

فصل في معرفة القدرية

اعلم أنا وجدنا كل فرقة تعرف باسم أو تنعت بنعت فهي ترتضيه ولا تنكره سواء كان مشتقا من فعل فعلته أو قول قائلته أو من اسم مقدم لها تبعته ولم نجد في أسماء الفرق كلها اسما ينكره أصحابه ويتبرأ منه أهله ولا يعترف أحد به إلا القدرية فأهل العدل يقولون لأهل الجبر أنتم القدرية وأهل الجبر يقولون لأهل العدل أنتم القدرية.

وإنما تبرأ الجميع من هذا الاسم لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعن القدرية وأخبر أنهم مجوس الأمة والأخبار بذلك مشتهرة. فمنها ما حدثني به أبو القاسم هبة الله بن إبراهيم بن عمر الصواف بمصر قال حدثنا أبو بكر أحمد بن مروان المالكي قال حدثنا عباس بن محمد الدوسي قال حدثنا عثمان بن زفر قال حدثنا أبو معشر عن سعيد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة القدرية فإن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم وإن لقيتموهم في طريق فألجئوهم إلى ضيقة. وهذا القول من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دلالة لنا على المعرفة بالقدرية وتمييز لهم من بين الأمة لأنهم لم ينعتهم بالمجوسية إلا لموضع المشابهة بينهم وبين المجوس في المقال والاعتقاد وقد علمنا بغير شك ولا ارتياب أن من قول المجوس أن الله تعالى فاعل لجميع ما سر ولد وأبجج ومالت إليه الأنفس واشتهته الطباع ،

كائننا ما كان حتى أنه فاعل الملاهي والأغاني وكلما دخل في هذا الباب وهذا مذهب المجبرة بغير خلاف.

ويقول المجوس إن الله تعالى محمود على فعل الخير وهو لا يقدر على ضده وإن إبليس مذموم على فعل الشر ولا يقدر على ضده وهذا بعينه يضاهي قول المجبرة إن المؤمن محمود على الإيمان وهو لا يقدر على ضده وإن الكافر مذموم على الكفر ولا يقدر على ضده.

وتذهب المجوس إلى القول بتكليف ما لا يطاق وهو رأيها الذي تدين به في الاعتقاد ولهم في السنة يوم يأخذون فيه بقرة قد زينوها فيربطون يديها ورجليها أوثق رباط ثم يقربونها إلى سفح الجبل ويضربونها لتصعد فإذا رأوا أن قد تعذر عليها ذلك قتلوها ويسمون هذا اليوم عيد الباقور.

وهذا هو مذهب المجبرة في القول بتكليف ما لا يستطاع فهم مجوس هذه الأمة وقدريتها بما اقتضاه هذا البيان.

وقد قالت العدلية للمجبرة إن من أدل دليل على أنكم القدرية قولكم إن جميع أفعال العباد بقدر من الله عَزَّجَلَّ وإنه الذي قدر على المؤمن أن يكون مؤمنا وعلى الكافر أن يكون كافرا وإنه لا يكون شيء إلا أن يقدره الله تعالى.

قالت المجبرة بل أنتم أحق بهذا لأنكم نفيتم القدر وجحدتموه وأنكرتم أن يكون الله سبحانه قدر لعباده ما اكتسبوه.

قالت العدلية قد غلطتم فيما ذكرتموه وجرتم فيما قضيتموه لأن الشيء يجب أن ينسب إلى من أثبته وأوجبه لا إلى من نفاه وسلبه ويضاف إلى من أقر به واعتقده لا إلى من أنكره وجحدته فتأملوا قولنا تعلموا أنكم القدرية دوننا.

تهمة المعتزلة للشيعة بالإرجاء

فصل وقد ظنت المعتزلة أن الشيعة هم المرجئة لقولهم إنا نرجو من الله تعالى العفو عن المؤمن إذا ارتكب معصية ومات قبل أن تقع منه التوبة.

وهذا غلط منهم في التسمية لأن المرجئة اسم مشتق من الإرجاء وهو التأخير يقال لمن أخر أمراً أرجأت الأمر يا رجل فأنت مرجئ قال الله ﷻ **وَأَخَاهُ** أي أخره وقال تعالى :

﴿وَأَخْرُؤْنَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ يعني مؤخرون إلى مشيئته.

وأما الرجاء فإنما يقال منه رجوت فأنا راج فيجب أن تكون الشيعة راجية لا مرجئة. والمرجئة.

هم الذين أخرجوا الأعمال ولم يعتقدوها من فرائض الإيمان وقد لعنهم النبي عليهم السلام فيما وردت به الأخبار.

حدثنا القاضي أبو الحسن محمد بن علي بن محمد بن صخر الأزدي البصري بمصر سنة ست وعشرين وأربعمائة قراءة منه علينا قال أخبرنا أبو القاسم عمر بن محمد بن يوسف قال حدثنا علي بن محمد بن مهرويه القزويني ببغداد سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة قال حدثنا داود بن سليمان العادي قال حدثنا علي بن موسى الرضا قال حدثنا أبي الحسين بن علي قال حدثني أبي علي بن أبي طالب عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صنفان من أمتي ليس لهم في الآخرة نصيب المرجئة والقدرية

أغلاط للمعتزلة

فصل واعلم أن المعتزلة لها من الأغلاط القبيحة والزلات الفضيحة ما يكثر تعداده وقد صنف ابن الراوندي كتاب فضائلهم فأورد فيه جملاً

-
- (١) يبدو أن هنا سقطاً في سلسلة السند ، وهي : حدثنا أبي موسى بن جعفر قال حدثنا أبي ، جعفر بن محمد ، قال حدثني أبي محمد بن علي قال : حدثني أبي الخير إلخ.
- (٢) هو أحمد بن الحسين بن إسحاق البغدادي مات سنة ٢٤٥ هـ له كتب كثيرة منها : كتاب فضيحة المعتزلة الذي ردّ عليه ابن الخطيب المعتزلي بكتابه الانتصار وهو يرمي بالزندقة.

من اعتقاداتهم وآراء شيوخهم مما ينافر العقول ويضاد شريعة الرسول ص.

وقد وردت الأخبار بدمهم من أهل البيت ولعنهم جعفر بن محمد الصادق ع

فقال لعن الله المعتزلة أرادت أن توحد فألحدت ورامت أن ترفع التشبيه فأثبتت.

فمن أقبح ما تعتقده المعتزلة وتضاهي فيه قول الملحدة قولهم إن الأشياء كلها كانت قبل حدوثها أشياء ثم لم يقنعهم ذلك حتى قالوا إن الجواهر في حال عدمها جواهر وإن الأعراض قبل أن توجد كانت أعراضا حتى أن السواد عندهم قد كان في عدمه سوادا وكذلك الحركة قد كانت قبل وجودها حركة وسائر الأعراض يقولون فيها هذا المقال.

ويزعمون أن جميع ذلك في العدم ذوات كما هو في الوجود ذوات. وهذا إنكار لفعل الفاعل ومضاهاة لمقال الملحدين وقد أطلقوا هذا القول إطلاقا فقالوا إن الجواهر والأعراض ليست بفاعلهما وفسروا ذلك فقالوا أردنا أن الجوهر لم يكن جوهرًا بفاعله ولا كان العرض أيضا بفاعله وأنهما على ما هما عليه من ذلك لنفوسهما قبل وجودهما ولا بجاعل جعلها وهذا تصريح غير تلويح.

وقال لهم شيوخنا وعلمائنا فإذا كانت الذوات في عدمها ذواتا والجواهر والأعراض قبل وجودها جواهر وأعراضا فما الذي صنع الصانع؟

قالت المعتزلة أوجد هذه الذوات.

قال أهل الحق لهم ما معنى قولكم أوجدتها وأنتم ترون أنها لم تكن أشياء به ولا ذواتا بفعله ولا جواهر ولا أعراضا أيضا بصنعتة.

قالت المعتزلة معنى قولنا إنه أوجدتها أنه فعل لها صفة الوجود.

قال أصحابنا فإذا ما فعلها ولا تعلق قدرته بها وإنما المفعول المقذور هو الصفة دونها فأخبرونا الآن ما هذه الصفة لنفهمها وهل هي نفس الجوهر

ونفس العرض فهما اللذان فعلا فكانا جوهرًا وعرضا بفاعلها وإن قلتم إنها شيء آخر غيرها فهل هي شيء أم ليست بشيء. واعلموا أنكم إن قلتم إنها شيء لزمكم أن تكون في عدمها أيضا شيئا وإن قلتم إنها ليست بشيء نفيتم أن يكون الله تعالى فعل شيئا. قالت المعتزلة هي أمر معقول ولم تزد على ذلك وأنت فيه بنظير ما أتى أصحاب الكسب المخلوق^(١). وجميع المعتزلة على هذا القول إلا أبو القاسم عبد الله بن أحمد البلخي فإنه يرى أن الأشياء قد كانت كلها في عدمها أشياء ولم تكن جواهر ولا أعراضا ولا ذواتا وإنما جعلت كذلك بفاعلها ولم تكن أشياء بفاعلها فقد تبين لك رأى المعتزلة في هذا.

نظرية الأصلح

فصل من الكلام في الأصلح = وقد اشتهر عن المعتزلة أنها من أهل العدل وذلك لقولها إن الله تعالى لا يكلف العبد إلا ما يستطيع. ولها مع ذلك قول تنسب الله عَزَّجَلَّ فيه إلى الأمر القبيح وتضاد به ما أوجبه الدليل من وصفه بالحسن الجميل وهو ما ذهب إليه الجبائي وابنه عبد السلام ومن وافقها وهم اليوم أكثر المعتزلة من أن الله تعالى وإن كان عدلا كريما فإنه لا يفعل بخلقه الأصلح ولا يتفضل عليهم بالأنفع وإنه يقتصر بهم من النفع والصلاح على نهاية غيرها أفضل منها وأصلح مع حاجتهم إلى ما يمنعه إياه من الصلاح أو فقرهم إلى المنافع التي حرّمهم إياها من الإنعام والإحسان وهو قادر على ما يحتاجون إليه ومع ذلك هو غني عن منعه عالم بحسن بذله وفعله والعباد يتضرعون إليه في التفضل عليهم به فلا يرحم

(١) هم القائلون بأن للعبد إرادة مقارنة لإرادة الله تعالى التي هي الفاعلة فقط دون إرادة العبد ، غاية ما هناك أن إرادة العبد المفترضة هي المصححة للثواب والعقاب وإن لم يكن لها أي أثر في وجود الأفعال وتسمى هذه الإرادة أو هذه القدرة بالكاسية أي التي بما يكتسب العبد التكليف والثواب والعقاب.

تضرعهم ويسألونه المنّة بفعله فلا يجيبهم ويرجونه فيخيب رجاءهم ويتمنونه من فعله فلا يهب لهم مناهم تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

والذي نذهب في ذلك إليه مما وافقنا البلخي^(١) فيه.

هو أن الله سبحانه متفضل على جميع خلقه بنهاية مصالحهم متطول عليهم بغاية منافعهم لا يسألونه صلاحا إلا أعطاهم ولا يلتمسون منه ما يعلم أنه لهم أنفع إلا فعله بهم ولا يمنعهم إلا مما يضرهم ولا يصدّهم إلا عما يفسدهم ولا يحول بينهم وبين شيء يصلحهم وأنه لا يقضي عليهم بشيء يسرهم أو يسوؤهم إلا وهو خير لهم وأصلح مما صرفه عنهم.

والذي يدل على ذلك هو ما ثبت من أن الله تعالى عالم بقبح القبيح وغني عن فعله لا يجبر على الحسن ولا يحتاج إلى منعه وأنه مستحق للوصف بغاية الجود ومنفي عنه البخل والتقصير خلق الخلق لمنافعهم واخترعهم لمصالحهم. فلو منعهم صلاحا لناقض ذلك الغرض في خلقهم ولم يكن مانعا نفعا هو قادر عليه عالم بحسنه إلا الحاجة إليه أو للبخل به أو الافتقار في صنعه وذلك كله منفي عن الله سبحانه.

ومما يدل على صحة ما ذهبنا إليه أنا وجدنا الحكيم إذا كان آمرا بطاعته فلن يجوز أن يمنع المأمور ما به يصل إليها إذا كان قادرا على أن يعطيه إياه وكان بذله له لا يضره ولا يخرججه من استحقاق الوصف بالحكمة ومنعه لا ينفعه.

وكذلك إذا كان له عدو يدعوه إلى موالاته ويحب رجوعه إلى طاعته فلن يجوز أن يعامله من الغلظة أو اللين إلا مما يعلم أنه أنجع فيما يريد منه وأدعى له إلى ترك ما هو فيه من عداوته والرجوع إلى ولايته فإن عرض له أمران من الشدة والغلظة أو الملاطفة والملاينة يعلم أن أحدهما أدعى لعدوه إلى المراجعة والإنابة والآخر دون ذلك ففعل الدون وترك أن يفعل

(١) هو أبو القاسم البلخيّ تقدّمت ترجمته.

الأصلح إلا الأدعى وكلاهما في قدرته سواء ولا يضره بذلها ولا ينفعه منعهما كان عند الحكماء جميعا مذموما خارجا عن استحقاق الوصف بالوجود والحكمة.

فلما كان هذا فيما بينا على ما وصفنا وكان الله تعالى قادرا حكيما جوادا عالما بمواضع حاجة عباده آمرا لهم بطاعته وترك عداوته والرجوع إلى ولايته لا يضره الإعطاء ولا يلحق به صفة الذم ولا ينفعه المنع ولا يزيد في ملكه علمنا أنه لا يفعل بعباده إلا ما كان أصلح بحالهم وأدعاها إلى طاعته صحة كان أو سقما لذة كان أو ألما آمنوا أو كفروا أطاعوا أم عصوا قال الله تعالى لرسوله عليهم السلام :

﴿قُولُوا لَهُ قَوْلًا لِّبَنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾. هذا حين علم أن الدعاء على جهة اللين أصلح له ثم قال في موضع آخر

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ الأنعام ٤٢.

حين كانت الشدة والغلظة أصلح في دعائهم إلى التضرع والخشوع لديهم وأعلم أن الأصلح إذا فعل بالعبد لا يضطره إلى إيجاد الفعل وإنما هو تيسر في إيجاداه ومعونة عليه كما أن القدرة لا تضطر العبد إلى إيجاد الفعل وإنما هي تمكين منه وإزاحة للعلة فيه.

فمن نسب الله تعالى إلى أنه تعالى لا يفعل بمن كلفه ^(١) الأصلح فقد جعله بخيلا ومقتصدا ومن نسبه إلى أن لا يعطي من كلفه الطاعة القدرة عليها فقد جعله ظالما جائرا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

نقض على هذه النظرية مع دفعها

فإن قال قائل إذا كان قد فعل بجميع خلقه الأصلح فقد ساوى بين وليه وعدوه ومن ساوى بينهما فغير حكيم في فعله.

(١) في النسخة زيادة كلمة (إلا) فحذفناها لئلا ينقلب المعنى المقصود.

قلنا إنما التسوية بينهما أن يثيبهما جميعا أو يمدحهما أو يفعل بهما جميعا ما يشتهيانه ويلذهما وليس التسوية بينهما أن يفعل لهما ما يكون أدعى إلى طاعته وأزجر عن معصيته.

ألا ترى أن رجلا لو كان له عبدان قد أطاعه أحدهما وعصاه الآخر فقصد إلى الذي أطاعه فمدحه وأعطاه لتزداد بذلك رغبته في طاعته ويرغب عبيده في فعلها وقصد إلى الآخر فشتمه وعاقبه على ذنبه الذي ارتكبه ليزجره عن معصيته ويصير إلى طاعته وينزجر غيره أيضا عن مثل فعله لكان قد فعل بكل واحد منهما ما هو أصلح له ولم يجر أن يقال مع ذلك أنه قد ساوى بينهما وقد أمر الله تعالى عبديه المؤمن والكافر بالطاعة ونهاهما جميعا عن المعصية وأقدرهما على ما كلفهما وأزاح علهما ولا يقال مع ذلك إنه قد ساوى بينهما إلا أن يراد بالمساواة أنه قد عدل فيهما ولم يظلم أحدهما فذلك صحيح.

فإن قال إذا أوجبتم أن يفعل بعباده كل ما فيه صلاحهم في دينهم وفي أداء ما كلفهم فقد أوجبتم أن لما عنده مما فيه صلاحهم غاية ونهاية. قلنا لسنا نقول ذلك بل نقول لا غاية لما عند الله تعالى مما فيه صلاح العباد ولا نهاية له ولا نفاذ وإن في سلطانه وقدرته أمثالا لما فعله بهم مما فيه صلاحهم ولكنه إنما يأتيهم من ذلك في كل وقت بقدر حاجتهم وما يعلم أنه الأصلح لهم.

فإن قال فإذا كان الذي فعل بهم مما تقولون إنه الأصلح لهم أمثال فقد وجب إذا جمعت لهم تلك الأمثال أن تكون أصلح لهم من الواحد.

قلنا لهم ليس يجب ذلك.

ومما يدل على أن القول ما قلنا أنه يكون صلاح المريض مقدارا من الدواء ولذلك المقدار من الدواء أمثال لو جمعت كلها له لصار تضررا عليه ولقتلته.

وكذلك الجائع قد يكون مقدار من الطعام فيه صلاحه ولذلك المقدار

أمثلة لو ضمت فأكلها لعادت عليه ضررا ولأمرضته.

وكذلك قد يكون معنى هو صلاح العبد في دينه وله أمثال لو جمعت له لم يكن فيها صلاحه بل كان فيها ضرره وفساده.

وقد جاءت الأخبار عن آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن الله لا يفعل بعبد إلا أصلح الأشياء له.

أخبرني شيخنا المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رضي الله عنه قال أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد عن محمد بن يعقوب عن عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن أبيه عن يحيى بن إبراهيم عن عاصم بن عبيد عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين أنه قال الصبر والرضا عن الله رأس طاعة الله ومن صبر ورضي عن الله بما قضى عليه فيما أحب أو كره هو خير له.

وقد ظن من لا معرفة له أنا لما قلنا إن الله تعالى يفعل بعباده الأصلح لهم أنه يلزمنا على ذلك أن يكون ما يفعله بأهل النار من العذاب أصلح لهم. وقد رأيت من أصحابنا من يلتزم ذلك ويقول قد أخبر الله تعالى عن أهل النار أنهم ﴿لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا هُمْ عَنْهُ﴾ قال ولو ردوا وعادوا لاستحقوا من العذاب أكثر مما يفعل بهم في النار فالإقتصار بهم على ما هم فيه أصلح لهم.

وهذا غير صحيح والأصلح أنما هو التيسير إلى فعل الطاعة وتسهيل الطريق التي هي تناولها وهذا لا يكون إلا في حال التكليف دون غيرها. فأما الآية فإنما تضمنت تكذيب أهل النار فيما قالوه لأن الله تعالى أخبر عنهم فقال ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأنعام : ٢٧.

فقال الله تعالى مكذبا لهم :

﴿بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا هُمْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾. الأنعام : ٢٨.

رأي الجبائي ومن تبعه من المعتزلة في الترك ومناقشة المصنف له

فصل من الكلام في الترك

وقد اختار عبد السلام الجبائي لنفسه قولاً قبيحاً ضاهى فيه قول المجبرة إن الله تعالى يعذب العبد على ما لم يحدثه وزاد عليهم بأنه قال إنه يعذب العبد من غير فعل فعله ولا شيء اكتسبه.

وذلك لأنه يقول إن ترك الطاعة التي افترضها الله تعالى وأوجبها يجوز أن لا يكون فعلاً ثم يعذب الله تعالى العبد لأنه ترك وإن لم يكن ترك شيئاً لا فعلاً ولا كسباً.

وهذا قول انفرد به ورأي استحدثه ثم تبعه معظم المعتزلة عليه من بعده.

والذي يدل على أن الله تعالى لا يعذب العبد إلا على فعل فعله أنا رأينا العذاب أنما يستحقه من يستحق الدم واللوم ورأينا في الشاهد أنا لا نستحسن ذم أحد إلا وقد استقبحنا حالاً حصل المذموم عليها متى ارتفعت من أوهامنا ارتفع استحساننا لذمه ومتى حصلت حسن ذمه حتى أنه متى خفي أمره فلم يعلم على أي حال هو لم يستحسن حمده ولا ذمه إلا بتعليقه بحال ما حصل عليها نستحسنها في عقولنا أو نستقبحها فنقول إن كان على كذا حسن حمده وقبح ذمه وإن كان على كذا حسن ذمه وقبح حمده.

وكذلك من انتهى إلى آخر أوقات الظهر حتى تيقن أنه لم يبق من وقته إلا مقدار أربع ركعات من أخف ما يجزى وهو قادر ممكن ذاكراً للواجب عليه من الصلاة فلم يصل فإن العقول لا تمتنع من استقباح حال هذا الإنسان على أي هيئة حصل عليها من اضطجاع أو قعود أو قيام أو مشي أو غير ذلك من الهيئات التي لا تصح معها الصلاة.

وقد علمنا أن الاستقباح يتعلق بمستقبح فقد وجب أن يكون هناك

قبيح وإذا كان هذا الاستقبح أنما يوجد عند وجود إحدى تلك الهيئات ويعدم بعدمها لأنها متى عدمت كان مصليا وجب أن تكون هي القبيح الذي تعلق به الاستقبح.

ولذلك ثبت حسن ذمه في عقولنا عند حصول هذا الاستقبح ووجود هذه الهيئة وإلا لم يحسن وإذا ثبت أن لهذه الهيئة حسن ذمه ثم استدللنا بدلائل حدوث الهيئات أن هذه الهيئة حادثة من فعله صح بذلك أنه لا يحسن ذم الإنسان إلا على فعله.

وكذلك سبيل سائر المستحقين للذم إنهم لا يستحقون إلا وقد جروا مجرى هذا التارك للصلاة.

وإذا كان الذم لا يحسن إلا لما قلنا وجب أن يكون العقاب لا يحسن إلا له وذلك بين لمن تأمله.

فإن اعترضه معترض في هذا وقال ما تنكرون أن يكون الإنسان يستحق الذم لأنه لم يفعل ما وجب عليه إذا كان قد يحسن من العقلاء فيما بيننا إذا لاموا إنسانا ففعل لهم لم لمتموه إن يقولوا لأنه لم يفعل ما وجب عليه ويقتصروا على هذا القدر في استحقاقه الذم.

قلنا إنا لسنا نمنع من أن يكون الإنسان يعبر عن الشيء ويريد غيره مما يتعلق به مجازا واستعارة أو لعادة جارية أو لدلالة قائمة فيعبر في حال بعبارة نفى والمراد بها إثبات ضد المنفي ألا ترى أنا نقول للإنسان أنت قادر على أن لا تمضي مع فلان وعلى أن لا تقوم معه وأنا أريد منك أن لا تصحبه ولا تمضي معه.

القدرة عندنا وعند مخالفينا أنما هي قدرة على أن يفعل الشيء ليس على أن لا يفعل.

(١) في النسخة زيادة كلمة أن المصدرية.

فقولنا أنت قادر على أن لا تمشي معه أنما نريد أنه قادر على أن يفعل ضد الشيء وما لا يقع المشي معه وكذلك في الإرادة. وإذا كان هذا كما وصفنا لم يجوز لعاقل أن يقتصر في هذا الباب على ما يطلقه الناس من عباراتهم ويدع التأمل للمعنى الذي تعلق به الذم في العقول. وأيضا فإننا نعلم أنهم كما يقولون لمن لم يصل أسأت إن لم تصل فكذلك يقولون له أسأت في ترك الصلاة وتشاغلك عنها بما لا يجدي عليك في دين ولا دنيا وفرطت وضيعت وظلمت زيدا إذ منعه حقه الذي له عليك وفعلت ما لا يحل ولا يحمد فيعلقون الذم في ظاهر القول بأفعال وقد علمنا أنهم لم يقصدوا من الذم بأحد القولين إلا إلى ما يقصدونه بالآخر وفي أحد القولين الإفصاح عن فعل عقلوه فوجب أن يكون هو المقصود بالقول الآخر وهو الفعل المعقول الذي هو الترك.

فصل

واعلم أن الفاعل المحدث لا يخلو من أخذ أو ترك وهما فعلاان متضادان فهو لا يعرف من الأفعال في تعاقب الأضداد. ولا يقال إن الله سبحانه لا يخلو من أخذ أو ترك لأنه يصح أن يخلو من الأفعال وليس هو بمحل للأعراض ولا لتعاقب الأضداد. والترك في الحقيقة يختص بالمحدثين ولا يوصف الله تعالى به إلا على المجاز والاتساع ولا يصح أن يقال إنه لم يزل تاركا في الحقيقة لأن ذلك يوجب أنه لم يزل خاليا من الأفعال والقول الصحيح أنه كان قبل خلقه ليس بفاعل ولا تارك متقدما لجميع الأفعال فافهم ما ذكرناه.

مواظع وكلمات في النهي عن الظلم

فصل مما ورد في ذكر الظلم

روى عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله الصادق عليهم السلام أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

أوحى الله تعالى إلى نبي من أنبيائه ابن آدم اذكرني عند غضبك أذكرك عند غضبي فلا أحقق فيمن أحق فإذا ظلمت بمظلمة فارض بانتصاري لك فإن انتصاري خير من انتصارك لنفسك واعلم أن الخلق الحسن يذيب السيئة كما تذيب الشمس الجليد وأن الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :

من ولي شيئا من أمور أمتي فحسننت سريره لهم رزقه الله تعالى الهيبة في قلوبهم ومن بسط كفه لهم بالمعروف رزق المحبة منهم ومن كف يده عن أموالهم وقى الله عجز ماله ومن أخذ للمظلوم من الظالم كان معي في الجنة مصاحبا ومن كثر عفو مد في عمره ومن عم عدله نصر على عدوه ومن خرج من ذل المعصية إلى عز الطاعة آنسه الله عز وجل بغير أنيس وأعانه بغير مال.

وروي أن في التوراة مكتوبا :

من يظلم يخرب بيته

ومصدق ذلك في كتاب الله عز وجل :

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾ النمل : ٥٢ .

وقيل :

إذا ظلمت من دونك عاقبك من فوقك.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

إن الله تعالى يمهل الظالم حتى يقول أهملني ثم إذا أخذه أخذه أخذه رابية.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

إن الله تعالى حمد نفسه عند هلاك الظالمين فقال :

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأنعام : ٤٥

ومن كلام أمير المؤمنين عليهم السلام في ذلك :

لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فإنما يسعى في مضرته ونفعك وليس جزاء من سرك أن تسوءه.

ومن سل سيف البغي قتل به.

ومن حفر لأخيه بئرا وقع فيها.

ومن هتك حجاب أخيه هتكت عورات بيته.

بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد.

أسد حطوم خير من سلطان ظلوم.

وسلطان ظلوم خير من فتن تدوم.

أذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله عليك.

قال المتنبي :

وأظلم خلع الله من بات حاسداً لممن بات في نعمائه يتقلَّب

كلمات لأُمير المؤمنين عليهم السلام وغيره في ذم الحسد

فصل

قال أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد نفس دائم وقلب هائم وحزن لازم.

وقال عليهم السلام

الحاسد مغتاز على من لا ذنب له إليه بخيل بما لا يملكه.

وقال عليهم السلام :

الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

وقال عليهم السلام :

الحسد آفة الدين وحسب الحاسد ما يلقي.

وقال ع :

لا مروءة لکنوب ولا راحة لحاسد ويكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك.
وقال عليهم السلام الحسد لا يجلب إلا مضرة وغيظا يوهن قلبك ويمرض جسمك وشر ما استشعر قلب المرء الحسد تغنم^(١) ونق قلبك من الغل تسلم.

وقال عليهم السلام الحسود سريع الوثبة بطيء العطفة مغموم والئيم مذموم.
وقال عليهم السلام لا غنى مع فجور ولا راحة لحسود ولا مودة لملول.
وقال لقمان لابنه إياك والحسد فإنه يتبين فيك ولا يتبين فيمن تحسده.
وقال آخر ليس في خلال الشر خلة هي أعدل من الحسد لأنه يقتل الحاسد قبل أن يصير إلى المحسود.
وقال آخر إذا مطر التحاسد نبت التفاسد.
وقال آخر كل الناس أقدر أن أرضيهم إلا الحاسد فإنه لا يرضيه إلا زوال نعمتي.
أنشدت للشريف الرضي أبي الحسن محمد الموسوي

لو كنت أحسد ما تجاوز خاطري	حسد النجوم على بقاء السمرمد
لا تغبطن على ترادف نعممة	شخصا تبيت له المنون بمرصد
إذ ليس بعد بلوغه آماله	أفضى إلى عدم كأن لم يوجد

فصل

لا تخضع عن لم ترف متكبر إن كان ذا مال وأنت عديما^(٢)

(١) كذا وردت
(٢) كذا وردت ولعلّ الصحيح : وكنت عديما.

واصبر على مضض الزمان وعييه
 حتى يسعد أو تموت كريماً
 فلأن يموت المرء غير مذموم
 خير له من أن يعيش ذميماً
 غيره في اليأس عز واتباع مطامع الآمال ذل وطلاب ما لم يقض صعب وهو في المقدور سهل. غيره وهو صخرة التميمي
 وللموت خير للفتي من علاقة
 من العار يرميه بها كل قائل
 وأنشدني أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمزة قال أنشدني أبو طاهر الخوارزمي للقاضي الجرجاني ^(١)

يقولون لي فيك انقباض وإنما
 رأوا رجلاً عن موقف النذل أحجماً
 إذا قيل هذا مورد قلت قد أرى
 ولكن نفس الحر تحتمل الظمأ
 وما كل برق لاح لي يسترني
 ولا كل من لاقيت أرضاه منعماً
 ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
 ولو عظموه في النفوس لعظموا
 ولكنهم قد دنسوه وعرضوا
 محياه للأطماع حتى تجهموا

(١) هو القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجانيّ الفقيه الشافعي المتوفى بالري سنة ٣٤٢ / ٣٦٦ هـ ، أطراه الثعالبي في البيتمة ، وذكر كثيراً من شعره ، ومنه الأبيات المذكورة بزيادة ونقصان وتجده ترجمته في الكنى والألقاب للقمي ، وفي وفيات الأعيان وشذرات الذهب ومعجم الأدباء وطبقات المفسرين.

ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي
 أغرسه عـزا وأجنيه ذلـة
 وأنشدت لعبد المحسن الصوري : (١)
 كـد كـد العـبد إن أحببت أن تحسب حـرا
 لا تقـل ذا مكـسـب يـزري
 لأخـدم مـن لا قـيـت إلـا لأخـدما
 إذا فـاتـبـع الجـهـل قـد كـان أحـزما
 واقـطـع الأـمـال مـن جـود بـني آدـم طـرا
 ففـضـل النـفـس أـزري

فصل

أقوال وكلمات في الصبر

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :

الصبر ستر من الكروب وعون على الخطوب

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

بالصبر يتوقع الفرج ومن يدمن قرع الباب يلج.

وقال عليهم السلام :

الصبر صبران صبر عند البلاء وأفضل منه الصبر عند المحارم.

ومن كلام أمير المؤمنين عليهم السلام :

الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو.

(١) هو عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب بن غلبون الصوري العاملي أحد الشعراء المحسنين والأدباء المجيدين أورد الثعالبي في البيتمة طائفة كبيرة من شعره ، وتجد ترجمته في أمل الأمل للحر العاملي وفي وفيات الأعيان. ومن شعره :

وكـم آـمـر بالصـبر لم يـر لـوعتي
 ومـن أـيـن لي صـبر وفي كـل سـاعة
 ومـا صـنعت نار الـرأس بـين أحشائي
 أرى حـسـناتي في مـوازين أعـدائي.
 وله مرثاة جيدة في الشيخ المفيد الشيعة الإمامية في عصره المتوفى سنة (٤١٣ هـ) وقد توفي الصوري سنة (٤٨٩ هـ).

من كنوز الإيمان الصبر على المصائب.

الصبر جنة من الفاقة.

اطرح عنك الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين.

من صبر ساعة حمد ساعات.

وقال آخر

أفضل العدة الصبر على الشدة.

وقال آخر

بالصبر على مرارة العاجل ترجى حلاوة الآجل.

وقال آخر

الصبر كاسمه وثمرته ثمرته.

لبعض

اصبر لدهر نال منك فبهك إذا مضت الدهور

فرح وحرزن مرة لا الحزن دام ولا السرور

كتب رجل إلى أخيه :

الصبر مجنة المؤمن وسرور الموقن وعزيمة المتوكل وسبب درك الحاجة و ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

قال ديك الجن : ^(١)

من كان يبغي الذل في دهره فليطلع الناس على فقره

مال للفتى إن عضه دهره معول أكرم من صبره

(١) هو عبد السلام بن رغبان الحمصي شاعر معروف مجيد ، وكان يتشيع وله مرث كثيرة في الحسين (عليهم السلام) توفي سنة (٢٣٥ هـ) وقد نسب إلى الإلحاد لتشييعه ، وهي الطريقة التي كانت متبعة في أمثاله من الشيعة كيدا واضطهادا وتجد أخباره في الأغاني وابن خلكان وحياة الحيوان وسواها.

وكان يقال :

العافية عشرة أجزاء فتسعة منها في الصبر والعاشر في التفرد عن الناس.
لبعضهم

ألم تــــر (١) أن الصــــبر أجــــل للــــفــــتى	إذا ضــــاق عنــــه أــــمر لم يــــجد عنــــه مــــخرجــــا
فما صــــفــــت الــــدنــــيا لــــصــــاحــــب نــــعمــــة	ولا اشــــتــــد أــــمــــر قــــط إلا تفرجــــا
وقيل إن الأدب هو الصبر على الغصة حتى تدرك الفرصة. لآخر	
ولما امتطيت صــــرــــوف الزمــــان	وأســــلمــــت للــــدهر طوعــــا قــــيــــادي
تــــزودت صــــبــــرا لوعثائــــه	وزاد أخــــي الصــــبر مــــن خــــير زاد
ولم يــــضــــع الصــــبر قــــدر اــــمــــرئ	وهل يــــضــــيع الــــترب إثــــر النجــــاد

قصة ذريب بن ثمالا^(٢) وصي عيسى ابن مريم ع

فصل

أخبرني أبو الحسن محمد بن علي بن صخر قال حدثنا أبو شجاع فارس بن موسى العرضي بالبصرة قال حدثنا أحمد بن محمد قال حدثنا أحمد بن محمد بن

(١) في النسخة (أما ترى) فأبدلناه ب (ألم تر) فرارا من الزحاف.

(٢) أشار إلى هذه القصة صاحب لسان الميزان ج ٣ صلى الله عليه وآله وسلم ٤٠٢ إشارة موجزة واعتبرها غير صحيحة.

شبية الكوفي ببغداد قال حدثنا أبو نعيم محمد بن يحيى الطوسي السراج قال حدثنا محمد بن خالد الدمشقي قال حدثنا سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن خارجة الرقي قال قال معاوية بن العضلة

كنت في الوفد الذين وجههم عمر بن الخطاب وفتحنا مدينة حلوان وطلبنا المشركين في الشعب فلم نقدر عليهم فحضرت الصلاة فانتبهت إلى ماء فنزلت عن فرسي وأخذت بعنانه ثم توضأت وأذنت فقلت الله أكبر الله أكبر فأجابني شيء من الجبل وهو يقول كبرت كبيرا ففزعت لذلك فزعا شديدا ونظرت يمينا وشمالا فلم أر شيئا.

فقلت أشهد أن لا إله إلا الله فأجابني وهو يقول الآن حين أخلصت.

فقلت أشهد أن محمدا رسول الله فقال نبي بعث.

فقلت حي على الصلاة فقال فريضة افترضت.

فقلت حي على الفلاح فقال قد أفلح من أجابها واستجاب لها.

فقلت قد قامت الصلاة فقال البقاء لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى رأسها تقوم الساعة.

فلما فرغت من أذاني ناديت بأعلى صوتي حتى سمعت ما بين لابتي الجبل فقلت إنسي أم جني قال فأطلع رأسه من كهف الجبل فقال ما أنا بجني ولكني إنسي فقلت له من أنت يرحمك الله قال أنا ذريب بن ثملا من حواربي عيسى ابن مريم عليهم السلام أشهد أن صاحبكم نبي = وهو الذي بشر به عيسى ابن مريم عليهم السلام ولقد أردت الوصول إليه فحالت بيني وبينه فارس وكسرى وأصحابه ثم أدخل رأسه في كهف الجبل فركبت دابتي ولحقت بالناس وسعد بن أبي وقاص أميرنا فأخبرته بالخبر فكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب فجاء كتاب عمر يقول الحق الرجل فركب سعد وركبت معه حتى انتهينا إلى الجبل فلم نترك كهفا ولا شعبا ولا واديا إلا التمسناه فلم نقدر عليه وحضرت الصلاة فلما فرغت من صلاتي ناديت بأعلى صوتي :

يا صاحب الصوت الحسن والوجه الجميل إنا قد سمعنا منك كلاما حسنا فأخبرنا من أنت يرحمك الله أفررت بالله تعالى ووحدانيته قال فأطلع رأسه من كهف الجبل فإذا ^(١) شيخ أبيض الرأس واللحية له هامة كأنها رحي فقال :

السلام عليكم ورحمة الله قلت وعليك السلام ورحمة الله من أنت يرحمك الله؟

قال أنا ذريب بن ثملا وصي العبد الصالح عيسى ابن مريم عليهم السلام كان قد سأل ربه لي البقاء إلى نزوله من السماء وقراري في هذا الجبل وأنا موصيكم سددوا وقاربوا وإياكم وخصالا تظهر في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإن ظهرت فالهرب الهرب ليقوم أحدكم على نار جهنم حتى تطفأ عنه خير له من البقاء في ذلك الزمان.

قال معاوية بن الفضلة قلت له يرحمك الله أخبرنا بهذه الخصال لنعرف ذهاب دنيانا وإقبال آخرتنا قال نعم إذا استغنى رجالكم برجالكم واستغنت نساؤكم بنسائكم وانتسبتم إلى غير مناسبتكم وتوليتهم إلى غير مواليتكم ولم يرحم كبيركم صغيركم ولم يوقر صغيركم كبيركم وكثر طعامكم فلم تروه إلا غلاء أسعاركم وصارت خلافتكم في صبيانكم وركن علماؤكم إلى ولايتكم فأحلوا الحرام وحرموا الحلال وأفتوهم بما يشتهون واتخذوا القرآن ألحانا ومزامير في أصواتهم ومنعتم حقوق الله من أموالكم ولعن آخر أمتكم أولها وزوقتم المساجد وطولتم المناير وحليتم المصاحف بالذهب والفضة وركب نساؤكم السروج وصار مستشار أموركم نساءكم وخصيانكم وأطاع الرجل امرأته وعق والديه وضرب شاب والدته وقطع كل ذي رحم رحمه وبخلتم بما في أيديكم وصارت أموالكم عند شراركم وكنزتم الذهب والفضة وشريتم الخمر ولعبتم بالميسر وضريتم بالكبر ^(٢) ومنعتم الزكاة ورأيتموها مغرما والخيانة مغنما

(١) في النسخة : فإذا.

(٢) الكبر بفتح الحاء هو الطبل له وجه واحد وجمعه كبار كجبل وجبال (مجمع البحرين).

وقتل البريء لتتعط العامة بقتله واختلست قلوبكم فلم يقدر أحد منكم يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر وقحط المطر فصار قيضا والولد غيظا وأخذتم العطاء فصار في السقاط وكثر أولاد الخبيثة يعني الزناء وطففت المكيال وكلب عليكم عدوكم وضربتم بالذلة وصرتم أشقياء وقلت الصدقة حتى يطوف الرجل من الحول إلى الحول ما يعطى عشرة دراهم وكثر الفجور وغارت العيون فعندها نادوا فلا جواب يعني دعوا فلم يستجب لهم.

شرح قوله ولعن آخر أمتكم أولها

فصل اعلم أيديك الله تعالى أن قوله في هذا الخبر ولعن آخر أمتكم أولها مما يظن الناصبي أن فيه طعنا علينا وذلك ظن فاسد وقد لعن الله تعالى الظالمين فقال ﴿**أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ وأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن من أصحابه من يغير بعده ويبدل ويغوي ويفتن ويضل ويظلم ويستحق العقاب الأليم والخلود في الجحيم.

فمما روي عنه في ذلك قوله عليهم السلام لأصحابه

لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشير وذراعا بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم فقالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن إذن.

(٢)

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم وقد ذكرت فتنة الدجال

لا فإني لفتنة بعضكم أخوف مني لفتنة الدجال (٣).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه :

إنكم محشورون إلى الله يوم القيامة حفاة عراة وإنه سيجاء برجال من

(١) كذلك كلمات مطموسة.

(٢) تجد هذا الحديث في صحيح البخاري ج ٩ صلى الله عليه وآله وسلم ٨٣ بسنده عن أبي سعيد الخدري ورواه الطبري الإمامي في المسترشد صلى الله عليه وآله وسلم ٢٨ = ٢٩ . باختلاف يسير .

(٣) انظر : صلى الله عليه وآله وسلم ٩٦ من صحيح البخاري ج ٤ من طبعة مصر سنة ١٣٠٦ .

أمّتي فيؤخذ بهم ذات اليمين وذات الشمال فأقول يا رب أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم لا يزالون مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم.^(١)

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع لأصحابه :

ألا لأخبرنكم ترتدون بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا إني قد شهدت وغبتكم.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه الذي توفي فيه :

أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الأولى.^(٢)

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم :

تكون لأصحابي بعدي زلة يعمل بها قوم يكبهم الله عَجَلًا في النار على مناخرهم.

وحدثني من طريق العامة أبو محمد عبد الله بن عثمان بن حماس بمدينة الرملة قال حدثنا أبو الحسن أحمد بن محبوب قال حدثنا أبو الحسن محمد بن

الحسن بن قتيبة العسقلاني قال حدثنا كثير بن عبيد أبو الحسن الحذاء قال حدثنا محمد بن حمير عن مسلمة بن علي عن عمر بن ذرة عن قلابة الحرمي

عن أبي مسلم الخولاني عن أبي عبيدة الجراح عن عمر بن الخطاب قال :

أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلحيتي وأنا أعرف الحزن في وجهه فقال يا عمر ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ أتاني جبرائيل أنفا فقال ﴿إِنَّا

لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فقلت أجل ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فمم ذاك يا جبرئيل قال

(١) تجد بعضه مرويا في صحيح البخاري ج ٩ صلى الله عليه وآله وسلم ٣٩ كتابه الفتن ورواه الطبري في المسترشد صلى الله عليه وآله وسلم ٢٩ باختلاف في بعض ألفاظه ومختصرا.

(٢) عن طبقات ابن سعد ج ١ صلى الله عليه وآله وسلم ٩ ١.

إن أمتك مفتنة بعدك بقليل من الدهر غير كثير فقلت فتنة كفر أو فتنة ضلالة قال كل سيكون فقلت فمن أين ذلك وأنا تارك فيهم كتاب الله قال بكتاب الله يضلون وأول ذلك من قبل أمرائهم وقرائهم بمنع الأمراء الحقوق فيسأل الناس حقوقهم فلا يعطونها فيفتنوا ويقتلوا يتبع القراء هؤلاء الأمراء ف ﴿يَمْدُوكُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ فقلت يا جبرئيل فيم يسلم من يسلم منهم قال بالكف والصبر إن أعطوا الذي لهم أخذوه وإن منعوهم تركوه. فهذا بعض ما ورد من الأخبار في أنه قد كان بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ضل وأضل وظلم وغشم ووجب بغيه والبراءة منه متى فعله.

فأما الوجه في اللعن الذي يجب أن يحمل عليه ما تضمنه الخبر الذي أوردناه من قوله صلى الله عليه وآله وسلم ولعن آخر أمتكم أولها فهو ما استحلّه الظالمون المبعوضون لأمير المؤمنين عليهم السلام من لعنه والمجاهرة بسبه وذمه فلسنا نشك في أنه قد تراءت منه الخوارج ولعنه معاوية ومن بعده من بني أمية على المنابر وتقرب الناس إلى ولاية الجور بذمه ونشأ أولادهم على سماع البراءة منه وسبه.

حدثني القاضي أبو الحسن أسد بن إبراهيم بن كليب السلمي الحراني رحمة الله عليه بمدينة الرملة من نقل العامة قال أخبرني أبو حفص حمر بن علي العتكي الخطيب قال حدثني أحمد بن محمد بن سليمان الجوهرى قال حدثني أبي = قال حدثنا محمد بن السبري قال حدثنا هشام بن محمد بن السائب عن أبيه = عن عبد الرحمن بن السائب عن أبيه قال

جمعنا زياد ^(١) في الرحبة فملاً منا الرحبة والقصر وحملنا على شتم علي بن أبي طالب والبراءة منه والناس في أمر عظيم قال فهومت برأسي تهوية فإذا شيء أهدب أهدل ذو مشفر طويل مد إلي من السماء إلى الأرض ففزعت وقلت من أنت قال أنا النقاد ذو الرقبة أرسلني ربي إلى صاحب

(١) هو زياد بن أبيه عامل الأمويين على العراق.

هذا القصر فانتبهت فحدثت أصحابي فقالوا أنت مجنون فما برحنا أن خرج الأذن فقال انصرفوا فإن الأمير قد شغل وإذا الفالج قد ضربه قال فأنشأ عبد الرحمن يقول :

ما كان منتهيا عما أراد بنا حتى تناولته النقــاد ذو الرقبــة
فأسقط الشق منه حربة ثبتت كما تناول ظمنا صاحب الرجة

وحدثني السلمي قال أخبرني العتكي قال أخبرنا محمد بن الحسين الخزاعي الهمداني فيما قرأت عليه أن محمود بن مثوبة الواسطي حدثهم قال حدثنا القاسم بن عيسى قال حدثنا رحمة بن مصعب بن الباهلي قال حدثنا قرة بن خالد عن أبي رجاء العطاردي قال لا تسبوا هذا الرجل يعني عليا عليهم السلام فإن رجلا سبه فرماه الله بكوكبين في عينيه.

وحدثني السلمي أيضا قال أخبرني العتكي قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن صالح الرازي وراق أبي ذرعة الرازي بمكة سنة ست وثلاثمائة قال حدثنا أبو ذرعة الرازي قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الملك قال حدثني ابن أبي فديك قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي نعيم عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال :

كنت مستندا إلى المقصورة وخالد بن عبد الملك على المنبر يخطب وهو يؤذي عليا عليهم السلام في خطبته فذهب بي النعاس فرأيت القبر قد انفرج فاطلع مطلع فقال آذيت رسول الله لعنك الله.

وحدثني أيضا السلمي قال أخبرني العتكي قال أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن يعقوب البغدادي ويعرف بابن نساوران بأنطاكية قال

(١) رواه البيهقي في المحاسن والمساوي ج (١) صلى الله عليه وآله وسلم ٨٧ عن عبد الله بن السائب ، ورواه المسعودي في مروج الذهب ج ٣ صلى الله عليه وآله وسلم ٣٥ = ٣٦ ، وصاحب الرحبة هو علي عليه السلام لأنه قتل في رحبة المسجد.
(٢) هكذا في النسخة ولعله : خالد بن عبد الله أي القسري.

حدثني أبو سعيد الحسن بن عثمان بن زياد الخلال التستري بتستري قال حدثني أحمد بن حماد الطهري قال حدثنا عبد الرزاق بن معمر عن الزبيري عن عكرة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :

إن الله تبارك وتعالى حبس قطر المطر عن بني إسرائيل بسوء رأيهم في أنبيائهم وأنه حابس قطر المطر عن هذه الأمة ببغضهم علي بن أبي طالب عليهم السلام.

وحدثني السلمي قال أخبرني العتكي قال حدثني أبو عبد الله أحمد بن جعفر الجوهري قال حدثنا أحمد بن علي المروزي قال حدثنا الحسن بن شعيب قال حدثنا خلف بن أبي هارون العبدي قال :

كنت جالسا عند عبد الله بن عمر فأتى نافع بن الأزرق فقال والله إني لأبغض عليا فرفع ابن عمر رأسه فقال أبغضك الله أتبغض ويحك رجلا سابقة من سوابقه خير من الدنيا بما فيها.

فقد بان بما ذكرناه ورويناه أن آخر هذه الأمة لعن أولها وأن متأخرها سب سابقها فاللعن متوجه في الخبر المتقدم إلى مبغضي أمير المؤمنين عليهم السلام والقادحين فيه.

وحدثنا الشيخ الفقيه أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن شاذان القمي بمكة في المسجد الحرام محاذي المستجار سنة اثنتي عشرة وأربعمائة قال أخبرني أبو محمد بن أحمد بن الحسين الشامي من كتابه قال حدثني أحمد بن زياد القطان في دكانه بدار القطن قال حدثنا يحيى بن أبي طالب قال حدثنا عمرو بن عبد الغفار قال حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ أقبل علي بن أبي طالب فقال :

أتدري من هذا قلت هذا علي بن أبي طالب فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا البحر الزاخر هذا الشمس الطالعة أسخى من الفرات كفا وأوسع من الدنيا قلبا فمن أبغضه فعليه لعنة الله.

وحدثنا الفقيه ابن شاذان رحمته الله قال حدثنا سهل بن أحمد عن محمد بن

عبد الله الديباجي رحمته الله قال حدثنا محمد بن محمد بن محمد بن الأشعث بمصر قال حدثنا موسى بن إسماعيل عن أبيه قال حدثني موسى بن جعفر عن أبيه عن محمد بن علي عن الحسين بن علي عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخلت الجنة فرأيت على بابها مكتوبا بالذهب لا إله إلا الله محمد حبيب الله علي بن أبي طالب ولي الله فاطمة آية الله الحسن والحسين صفوتا الله على مبغضيتهم لعنة الله.

وحدثنا ابن شاذان أيضا قال حدثني أبو حفص عمر بن إبراهيم بن أحمد بن كثير المقرئ المعروف بالكناني قال حدثني عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي قال حدثنا عبد الله بن عمر قال حدثنا عبد الملك بن عمير قال حدثنا سالم البراز قال حدثني أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير هذه الأمة من بعدي علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فمن قال غير هذا فعليه لعنة الله. ومما حدثنا به الشيخ الفقيه أبو الحسن بن شاذان رحمته الله قال حدثني أبي رضي الله عنه قال حدثنا ابن الوليد محمد بن الحسن قال حدثنا الصفار محمد بن الحسين قال حدثنا محمد بن زياد عن مفضل بن عمر عن يونس بن يعقوب رضي الله عنه قال سمعت الصادق جعفر بن محمد عليهم السلام يقول ملعون ملعون كل بدن لا يصاب في كل أربعين يوما. فقلت ملعون قال ملعون فلما رأى عظم ذلك علي قال يا يونس إن من البلية الخدشة واللطمة والعثرة والنكبة والفقر ^(١) وانقطاع الشسع وأشباه ذلك.

يا يونس إن المؤمن أكرم على الله تعالى من أن يمر عليه أربعون يوما لا يمحص فيها من ذنوبه ولو بغم يصيبه لا يدري ما وجهه وإن أحدكم ليضع

(١) في النسخة (الفقرة).

الدراهم بين يديه فيراها (١) فيجدها ناقصة فيغتم بذلك فيجدها سواء فيكون ذلك خطأ لبعض ذنوبه.

يا يونس ملعون ملعون من آذى جاره ملعون ملعون رجل يبدأه أخوه بالصلح فلم يصالحه ملعون ملعون حامل القرآن مصر على شرب الخمر ملعون ملعون عالم يؤم سلطانا جائرا معينا له على جوره ملعون ملعون مبغض علي بن أبي طالب عليهم السلام فإنه ما أبغضه حتى أبغض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن أبغض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعنه الله في الدنيا والآخرة ملعون ملعون من رمى مؤمنا بكفر ومن رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله.

ملعوننة ملعونة امرأة تؤذي زوجها وتغمه وسعيدة سعيدة امرأة تكرم زوجها ولا تؤذيه وتطيعه في جميع أحواله.

يا يونس قال جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

ملعون ملعون من يظلم بعدي فاطمة ابنتي ويغصبها حقها ويقتلها ثم قال يا فاطمة البشري فلك عند الله مقام محمود تشفعين فيه لمحبيك وشيعتك فتشفعين.

يا فاطمة لو أن كل نبي بعثه الله وكل ملك قر به شفعا في كل مبغض لك غاصب لك ما أخرجه الله من النار أبدا.

ملعون ملعون قاطع رحمه ملعون ملعون مصدق بسحر ملعون ملعون من قال الإيمان قول بلا عمل ملعون ملعون من وهب الله له مالا فلم يتصدق

به أما سمعت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :

صدقة درهم أفضل من صلاة عشر ليال.

ملعون ملعون من ضرب والده أو والدته ملعون ملعون من عق والديه ملعون ملعون من لم يوقر المسجد.

أتدري يا يونس لم عظم الله تعالى حق المساجد وأنزل هذه الآية ﴿وَأَنَّ

(١) في النسخة فيريها.

الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿﴾ كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم أشركوا بالله تعالى فأمر الله سبحانه نبيه أن يوحد الله فيها ويعبد

رسالة للمؤلف

رسالة كتبتها إلى أحد الإخوان وسميتها بالقول المبين عن وجوب مسح الرجلين.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلاته على سيدنا محمد رسوله خاتم النبيين وآله الطاهرين.

سألت يا أخي أيدك الله تعالى في أن أورد لك من القول في مسح الرجلين ما يتبين لك به وجوبه وصحة مذهبنا فيه وصوابه وأنا أجيئك إلى ما

سألت وأورد مختصرا نطلب ما طلبت بعون الله وتوفيقه.

اعلم أن فرض الرجلين عندنا في الوضوء هو المسح دون الغسل ومن غسل فلم يؤد الفرض وقد وافقنا على ذلك جماعة من الصحابة والتابعين كابن

عباس ^(١) والزهري وعكرمة ^(٢) وأنس وأبي العالية والشعبي وغيرهم.

ودلينا على أن فرضهما المسح قول الله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ النساء : ٦.

فتضمنت الآية جملتين صرح فيهما بحكمين بدأ في الجملة الأولى بغسل

(١) هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ابن عم النبي صلى الله عليه وآله وحبر الأمة وترجمان القرآن = كما وصفوه = ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي بالطائف سنة ٦٨ هـ بعد أن كف بصره ، وينسب له التفسير المطبوع المعروف بتفسير ابن عباس ، ولي لأمر المؤمنين علي عليه السلام البصرة وقيل أنه احتجج ما في بيت المال وهرب به ، وجرت بينه وبين الإمام (عليهم السلام) مراسلات ومكاتبات في شأن ذلك تجدها في العقد الفريد وبعضها في نهج البلاغة ، وهو جد الخلفاء العباسيين.

(٢) هو أبو عبد الله عكرمة البربري مولى عبد الله بن عباس ، حدث عن جماعة من الصحابة ومنهم عبد الله بن العباس ، كان يرى رأى الخوارج وهو متهم بالكذب مات (١٠٥ / ١٠٧ هـ).

الوجوه ثم عطف الأيدي عليها فوجب لها من الحكم بحقيقة العطف مثل حكمها.

ثم بدأ في الجملة الثانية بمسح الرؤوس ثم عطف الأرجل عليها فوجب أن يكون لها من الحكم بحقيقة العطف مثل حكمها حسبما اقتضاه العطف في الجملة التي قبلها^(١).

ولو جاز أن يخالف في الجملة الثانية بين حكم الرؤوس والأرجل المعطوفة عليها لجاز أن يخالف في الجملة الأولى بين حكم الوجوه والأيدي المعطوفة عليها فلما كان هذا غير جائز كان الآخر مثله فعلم وجوب حمل كل عضو معطوف في جملة على ما قبله وفيه كفاية لمن تأمله.

فإن قال قائل إنا نجد أكثر القراء يقرءون الآية بنصب الأرجل فيكون الأرجل في قراءتهم معطوفة على الأيدي وذلك موجب للغسل.

قيل له أما الذين قرءوه بالنصب من السبعة فليسوا بأكثر من الذين قرءوا بالجر بل هم مساوون لهم في العدد.

وذلك أن ابن كثير^(٢) وأبا بكر^(٣) وحمزة عن^(٤) عاصم^(٥) قرءوا أرجلكم بالجر وابن عامر^(٦) والكسائي^(٧) وحفصا^(٨) عن عاصم قرءوا ﴿وَأَرْجُلُكُمْ﴾

بالنصب

(١) لأن الواو العاطفة تدلّ على مشاركة ما بعدها في الحكم لما قبلها وهي لمطلق الجمع.

(٢) هو أبو معبد عبد الله أحد القراء السبعة كانت وفاته بمكة المكرمة سنة (١٠٢٠ هـ).

(٣) هو شعبة وقيل سالم بن عياش الأسدي الكوفي أخذ عن عاصم أحد القراء السبعة توفي بالكوفة سنة (٩٣١ هـ) وكان من الزهاء العباد اضطهد وشتّم وحبس في سبيل نفيه عن المنكر.

(٤) هو حمزة بن حبيب الزيات أحد القراء السبعة وكان فقيها توفي سنة ٥٦١ هـ.

(٥) هو عاصم بن بهدلة ويكنى أبا بكر بن أبي النجود قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي وزرّ بن حبيش توفي سنة ٢٨١ هـ.

(٦) هو عبد الله بن عامر اليخشي أحد القراء السبعة من التابعين من أهل دمشق مات سنة ٢٨١ هـ.

(٧) هو أبو الحسن عليّ بن حمزة بن عبد الله بن عثمان وقيل بهمن بن فيروز ، اتصل بالرشيد وأدّب ولديه الأمين والمأمون أخذ عن الرؤاسي وغيره ، توفي سنة ٩٧١ هـ ، أخذ عن حمزة بن حبيب وعبد الرحمن بن أبي ليلى .

(٨) هو حفص بن سليمان أبو عمرو البزار أخذ القراءة عن عاصم مرتفعة إلى عليّ عليه السلام من رواية أبي عبد الرحمن السلمي مات حفص سنة ٣١١ هـ .

وقد ذكر العلماء بالعربية أن العطف من حقه أن يكون على أقرب مذكور دون أبعده هذا هو الأصل وما سواه عندهم تعسف وانصراف عن حقيقة الكلام إلى التجوز من غير ضرورة تلجئ إلى ذلك.

وفيه إيقاع للبس وربما صرف المعنى عن مراد القائل ألا ترى أن رئيسا لو أقبل على صاحب له فقال له أكرم زيدا وعمرا واضرب بكرا وخالدا كان الواجب على صاحب أن يميز بين الجملتين من الكلام ويعلم أنه ابتداء في كل واحدة منهما ابتداء عطف باقي الجملة عليه دون غير وأن بكرا في الجملة الثانية معطوف على خالد كما أن عمرا في الجملة الأولى معطوف على زيد.

ولو ذهب هذا المأمور إلى أن بكرا معطوف على عمرو لكان قد انصرف عن الحقيقة ومفهوم الكلام في ظاهره وتعسف تعسفا صرف به الأمر عن مراد الأمر به فأداه ذلك إلى إكرام من أمر بضربه.

ووجه آخر وهو أن القراءة بنصب الأرجل غير موجبة أن تكون معطوفة على الأيدي بل تكون معطوفة على الرؤوس في المعنى دون اللفظ لأن موضع الرؤوس نصب لوقوع الفعل الذي هو المسح وإنما انحرت بعارض وهو الباء والعطف على الموضع دون اللفظ جائز مستعمل في لغة العرب ألا تراهم يقولون مررت بزيد وعمرا ولست بقائم ولا قاعدا قال الشاعر

معاوي إننا بشر فاسر فاسرنا بالجبنا بال الحديدا

والنصب في هذه الأمثلة كلها إنما هو العطف على الموضع دون اللفظ.

فيكون على هذا من قرأ الآية بنصب الأرجل كمن قرأها بجراها وهي في القرآن جميعا معطوفة على الرؤوس التي هي أقرب إليها في الذكر من الأيدي ويخرج ذلك عن طريق التعسف ويجب المسح بهما جميعا والحمد لله.

وشيء آخر وهو أن حمل الأرجل في النصب على أن تكون معطوفة على الرؤوس أولى من حملها على أن تكون معطوفة على الأيدي وذلك أن

الآية قد

قرئت بالجر والنصب معا والجر موجب للمسح لأنه عطف على الرؤوس فمن جعل النصب إنما هو لعطف الأرجل على الأيدي أوجب الغسل وأبطل القراءة بالجر الموجب للمسح ومن جعل النصب إنما هو لعطف الأرجل على موضع الرؤوس أوجب المسح الذي أوجبه الجر فكان مستعملا للقراءتين جميعا غير مبطل لشيء منهما ومن استعملهما فهو أسعد ممن استعمل أحدهما.

فإن قيل ما أنكرتم أن يكون استعمال القراءتين إنما هو بغسل الرجلين وهو أحوط في الدين وذلك أن الغسل يأتي على المسح ويزيد عليه فالمسح داخل فيه فمن غسل فكأنما مسح وغسل وليس كذلك من مسح لأن الغسل غير داخل في المسح.

قلنا هذا غير صحيح لأن الغسل والمسح فعلاان كل واحد منهما غير الآخر وليس بداخل فيه ولا قائم مقامه في معناه الذي يقتضيه. ويتبين ذلك أن الماسح كأنه قيل له اقتصر فيما تتناوله من الماء على ما يندى به العضو الممسوح والغاسل كأنه قيل له لا تقتصر على هذا القدر بل تناول من الماء ما يسيل ويجري على العضو المغسول.

فقد تبين أن لكل واحد من الفعلين كيفية يتميز بها عن الآخر ولو لا ذلك لكان من غسل رأسه فقد أتى على مسحه ومن اغتسل للجمعة فقد أتى على وضوئه هذا مع إجماع أهل اللغة والشرع على أن المسح لا يسمى غسلا والغسل لا يسمى مسحاً.

فإن قيل لم زعمتم ذلك وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى قوله سبحانه :

﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالْسُوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ إلى أنه أراد غسل سوقها وأعناقها فسمى الغسل مسحاً.

قلنا ليس هذا مجمعا عليه في تفسير الآية وقد ذهب قوم إلى أنه أراد المسح بعينه.

وقال أبو عبيدة ^(١) والفراء ^(٢) وغيرهما أنه أراد بالمسح الضرب.

وبعد فإن من قال أنه أراد بالمسح الغسل لا يخالف في أن تسميه الغسل مسحاً مجازاً واستعارة وليس هو على الحقيقة ولا يجوز لنا أن نصرف كلام الله تعالى عن حقائق ظاهرة إلا بحجة صارفة.

فإن قال ما تنكرون من أن يكون جر الأرجل في القراءة إنما هو لأجل المجاورة لا للنسق فإن العرب قد تعرب الاسم بإعراب ما جاوره كقولهم حجر ضب خرب فجروا خرباً لمجاورته لضب وإن كان في الحقيقة صفة للحجر لا للضب فتكون كذلك الأرجل إنما جرت لمجاورتها في الذكر لمجرور وهو الرؤوس قال إمرؤ القيس :

كأن ثبيرا في عرّانين وبله كبر أناس في بجماد مزمل ^(٣)

فجر مزملا لمجاورته لبجاد وإن كان من صفات الكبير لا من صفات البجاد فتكون الأرجل على هذا مغسولة وإن كانت مجرورة

(١) هو معمر بن المثنى التيمي من تيم قريش مولى لهم من علماء اللغة والأدب والأخبار ، وكان شعوبيا ومع هذا يرى رأي الخوارج ، له مؤلفات عديدة ولد سنة ٢١١ هـ ، وتوفي سنة ٢١١ هـ .

(٢) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء من أئمة العربية له مؤلفات كثيرة فيها ، مات بطريق مكة سنة ٢٠٧ هـ .

(٣) هو من معلقة امرئ القيس المشهورة التي أولها

قففانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وفي ديوان امرئ القيس بإخراج السندوبي روى البيت هكذا

كأن أبانا في أفانين ودقه كبر أناس في بجماد مزمل

وثبیر : جبل . أفانین : ضروب . البجاد : كساء مخطط . مزمل : ملفف .

وامرئ القيس هو ابن الملك حجر بن الحارث الكندي ، ويقال له الملك الضليل توفي سنة ٨٠ قبل الهجرة وسنة ٥٦٥ م .

وهو من فحول الشعراء الجاهليين حتى قيل أنه بدئ الشعر بملك يعني امرأ القيس ، وحتم بملك يعني أبا فراس الحمداني .

قلنا : هذا باطل من وجوه أولها :

اتفاق أهل العربية على أن الإعراب بالمجاورة شاذ نادر لا يقاس عليه وإنما ورد مسموعا في مواضع لا يتعداها إلى غيرها وما هذا سبيله فلا يجوز حمل القرآن عليه من غير ضرورة يلجأ إليه.

وثانيها : أن المجاورة لا يكون معها حرف عطف وهذا ما ليس فيه بين العلماء خلاف.

وفي وجود واو العطف في قوله تعالى ﴿وَأَرْجُلُكُمْ﴾ دلالة على بطلان دخول المجاورة فيه وصحة العطف.

وثالثها : أن الإعراب بالجوار إنما يكون بحيث ترتفع الشبهة عن الكلام ولا يعترض اللبس في معناه ألا ترى أن الشبهة زائلة والعلم حاصل في قولهم حجر ضب خرب بأن خربا صفة للحجر دون الضب. وكذلك ما أنشد في قوله مزمل وأنه من صفات الكبير دون البجاد. وليس هكذا الآية لأن الأرجل يصح أن فرضها المسح كما يصح أن يكون الغسل فاللبس مع المجاورة فيها قائم والعلم بالمراد منها مرتفع فبان بما ذكرناه أن الجر فيها ليس هو بالمجاورة والحمد لله.

فإن قيل كيف ادعيتم أن المجاورة لا تجوز مع واو العطف وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ :

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾^(١)

ثم قال ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾^(٢)

فخفضهن بالمجاورة لأنهن يطفن ولا يطاق بهن.

قلنا أول ما في هذا أن القراء لم يجمعوا على جر حور عين بل أكثر السبعة يرى أن الصواب فيها الرفع وهم نافع وابن كثير وعاصم في رواية

(١) سورة الواقعة آية : ١٧ = ١٨.

(٢) الواقعة آية : ٢١.

أبي عمرو وابن عامر وإنما قرأها بالجر حمزة والكسائي وفي رواية المفضل عن عاصم.

وقد حكى عن أبي عبيدة أنه كان ينصب فيقرأ وحوراً عيناً.

ثم إن للجر فيها وجهاً صحيحاً غير المجاورة وهو أنه لما تقدم قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ عطف بحور عين على جنات النعيم فكأنه قال هم في جنات النعيم وفي مقارنة أو معاشرة حور عين وحذف المضاف ^(١).

وهذا وجه حسن وقد ذكره أبو علي الفارسي ^(٢) في كتاب الحجة في القرآن واقتصر عليه دون ما سواه ولو كان للجر وبالمجاورة فيه وجه لذكره.

فإن قيل ما أنكرتم من أن تكون القراءة بالجر موجبة للمسح إلا أنه متعلق بالخفين لا بالرجلين وأن تكون القراءة بالنصب موجبة للغسل المتعلق بالرجلين بأعيانهما فيكون للآية قراءتان مفيدة لكلا الأمرين؟

قلنا أنكرنا ذلك لأنه انصراف عن ظاهر القرآن والتلاوة إلى التجوز والاستعارة من غير أن تدعو إليه ضرورة ولا أوجبه دلالة وذلك خطأ لا محالة.

والظاهر يتضمن ذكر الأرجل بأعيانها فوجب أن يكون المسح متعلقاً بها دون غيرها كما أنه يتضمن ذكر الرؤوس وكان الواجب المسح بها أنفسها دون أغيارها.

ولا خلاف في أن الخفاف لا يعبر عنها بالأرجل كما أن العمائم لا يعبر عنها

(١) وهو المقارنة أو المعاشرة.

(٢) هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفسوي النحوي من أئمة العلم والأدب ولد بمدينة (فسا) سنة ٢٨٨ هـ ، وقدم بغداد واشتغل بها سنة ٣٠٧ هـ ، وأصبح إمام عصره في النحو واتصل بسيف الدولة الحمداني وأقام عنده مدة وذلك سنة ٣٤١ هـ ، وجرت بينه وبين المتنبي الشاعر محاورات ، توفي في بغداد سنة ٣٧٧ هـ .

بالرءوس ولا البراقع بالوجوه فوجب أن يكون الغرض متعلقا بنفس المذكور دون غيره على جميع الوجوه.

ولو شاع سوى ذلك في الأرجل حتى تكون هي المذكورة والمراد من سواها لشاع نظيره في الوجوه والرءوس ولجاز أيضا أن يكون قوله سبحانه :

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ المائدة : ٣٣ محمولا

على غير الأبعاض المذكورة.

ولا خلاف في أن هذه الآية دالة بظاهرها على قطع الأيدي والأرجل بأعيانها وأنه لا يجوز أن ينصرف عن دليل التلاوة وظاهرها فكذلك آية الطهارة لأنها مثلها.

فإن قيل إن عطف الأرجل على الأيدي أولى من عطفها على الرءوس لأجل أن الأرجل محدودة كاليدين وعطف المحدود على المحدود أشبه بترتيب الكلام.

قلنا لو كان ذلك صحيحا لم يجز عطف الأيدي وهي محدودة على الوجوه وهي غير محدودة في وجود ذلك وصحة اتفاق الوجوه والأيدي في الحكم مع اختلافهما في التحديد دلالة على صحة عطف الأرجل على الرءوس واتفاقهما في الحكم وإن اختلفا في التحديد.

على أن هذا أشبه بترتيب الكلام مما ذكره الخصم لأن الله تعالى ذكر عضوا ممسوحا غير محدود وهو الرأس وعطفه عليه من الأرجل بمسوح محدود فتقابلت الجملتان من حيث عطف فيهما مغسول محدود على مغسول غير محدود وممسوح محدود على ممسوح غير محدود.

فأما من ذهب إلى التخيير وقال أنا مخير في أن أمسح الرجلين وأغسلهما لأن القراءتين تدل على الأمرين كليهما مثل الحسن البصري والجبائي ومحمد بن جرير الطبري ومن وافقهم ^(١) فيسقط قولهم بما قدمناه من أن القراءتين

(١) هذا الرأي تضمنه التساؤل السابق على الأخير .

لا يصح أن تدلا إلا على المسح وأنه لا حجة لمن ذهب إلى الغسل وإذا وجب المسح بطل التخيير.

وقد احتج الخصوم لمذهبهم من طريق القياس فقالوا إن الأرجل عضو يجب فيه الدية أمرنا بإيصال الماء إليه فوجب أن يكون مغسولا كاليدين.

وهذا احتجاج باطل وقياس فاسد لأن الرأس عضو يجب فيه الدية وقد أمرنا بإيصال الماء إليه وهو مع ذلك ممسوح.

ولو تركنا والقياس لكان لنا منه حجة هي أولى من حجتهم وهي أن الأرجل عضو من أعضاء الطهارة الصغرى يسقط حكمه في التيمم فوجب أن يكون فرضه المسح دليله القياس على الرأس.

فإن قالوا هذا ينتقض عليكم بالجانب لأن غسل جميع بدنه وأعضائه يسقط في التيمم وفرضه مع ذلك الغسل.

قلنا وقد احتزنا من هذا بقولنا إن الأرجل عضو من أعضاء الطهارة الصغرى فلا يلزمنا بالجانب نقض على هذا.

فإن قال قائل فما تصنعون في الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

أنه توضأ فغسل وجهه وذراعيه ثم مسح رأسه وغسل رجليه وقال هذا وضوء الأنبياء من قبلي هذا الذي لا تقبل الصلاة إلا به؟

قيل هذا الخبر الذي مختلط من وجهين رواهما أصحابك.

أحدهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم توضأ مرة مرة وقال هذا الذي لا يقبل الله صلاة إلا به ولم يأت في الخبر كيفية الوضوء.

والآخر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم غسل وجهه ثلاثا ويديه ثلاثا ومسح رأسه وغسل رجليه إلى الكعبين وقال هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي ولم يقل لم يقبل الله صلاة إلا به فخلطت في روايتك أحد الخبرين بالآخر لبعذك من معرفة الأثر.

وبعد فلو كانت الرواية على ما أوردته لم يكن لك فيها حجة لأن الخبر

إذا خالف ما دل عليه القرآن وجب إطرأحه والمصير إلى القرآن دونه.

ولو سلمنا لك باللفظ الذي تذكره بعينه كان لنا أن نقول إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسح رجليه في وضوئه ثم غسلهما بعد المسح لتنظيف أو تبريد أو نحو ذلك مما ليس هو داخلا في الوضوء فذكر الراوي الغسل ولم يذكر المسح الذي كان قبله إما لأنه لم يشعر به بعدم تأمله أو لنسيان اعترضه أو لظنه أن المسح لا حكم له وأن الحكم للغسل الذي بعده أو لغير ذلك من الأسباب وليس هذا بمحال.

فإن قال فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :

(ويل للأعقاب من النار)

فلو كان ترك غسل العقب في الوضوء جائزا لما تواعد على ترك غسله.

قلنا ليس في هذا الخبر ذكر مسح ولا غسل فيتعلق به ولا فيه أيضا ذكر وضوء فنورده لنحتج^(١) به وليس فيه أكثر من قوله ويل للأعقاب من النار.

فإن قال قد روي أنه رآها تلوح فقال ويل للأعقاب من النار.

قيل له وليس لك في هذا أيضا حجة ولا فيه ذكر لوضوء في طهارة.

بعد فيجوز أن يكون رأى قوما غسلوا أرجلهم في الوضوء عوضا عن مسحها ورأى أعقابهم يلوح عليها الماء فقال ويل للأعقاب من النار.

ويجوز أيضا أن يكون رأى قوما اغتسلوا من جنابة ولم يغمس الماء جميع أرجلهم ولاحت أعقابهم بغير ماء فقال ويل للأعقاب من النار.

ويمكن أيضا أن يكون ذلك في الوضوء لقوم من طعام العرب مخصوصين كانوا يمشون حفاة فتشقق أعقابهم فيداوونها بالبول على قديم عادتهم ثم

يتوضئون ولا يغسلون أرجلهم قبل الوضوء من آثار النجس فتوعدهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما قال وكل هذا في حيز الإمكان.

(١) في النسخة نحتج فأضفنا إليها اللام لتصحيح التعبير.

ثم يقال له وقد قابل ما رويت أخبار هي أصح وأثبت في النظر والمصير إليها أولى لموافقة ظاهرها لكتاب الله تعالى .
فمنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قام بحيث يراه أصحابه ثم توضأ فغسل وجهه وذراعيه ومسح برأسه ورجليه .
: ومنها أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام قال للناس في الرحبة ألا أدلكم على وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قالوا بلى فدعا بعقب فيه ماء فغسل وجهه وذراعيه ومسح على رأسه ورجليه وقال هذا وضوء من لم يحدث حدثاً .
فإن قال الخصم ما مراده بقوله :

وضوء من لم يحدث حدثاً وهل هذا إلا دليل على أنه قد كان على وضوء قبله؟
قيل له مراده بذلك أنه الوضوء الصحيح الذي كان يتوضأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليس هو وضوء من غير وأحدث في الشريعة ما ليس
منها .

ويدل على صحة هذا التأويل وفساد ما توهمه الخصم أنه قصد أن يريهم فرضاً يعولون عليه وتقيدون به فيه ولو كان على وضوء قبل ذلك لكان لم
يعلمهم الفرض الذي هم أحوج إليه .

: ومن ذلك ما روي عن أمير المؤمنين عليهم السلام من قوله :

ما نزل القرآن إلا بالمسح .

ولا يجوز أن يكون أراد بذلك إلا مسح الرجلين لأن مسح الرؤوس لا خلاف فيه .

ومنه قول ابن عباس رضي الله عنه

نزل القرآن بغسلين ومسحين

ومن ذلك إجماع آل محمد عليهم السلام على مسح الرجلين دون غسلهما وهم

الأئمة والقُدوة في الدين لا يفارقون كتاب الله عَزَّجَلَّ إلى يوم القيامة ^(١) وفيما أوردناه كفاية والحمد لله

سؤال

فإن قال قائل فلم ذهبتم في مسح الرأس والرجلين إلى التبويض؟

جواب

قيل له لما دل عليه من ذلك كتاب الله سبحانه وسنة نبيه ص.

أما دليل مسح بعض الرأس فقول الله تعالى ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ فأدخل الباء التي هي علامة التبويض وهي التي تدخل على الكلام مع استغنائه في إفادة المعنى عنها فتكون زائدة لأنه لو قال وامسحوا رءوسكم لكان الكلام صحيحا ووجب مسح جميع الرأس فلما دخلت الباء التي لم يفتقر الفعل في تعديته إليها أفادت التبويض.

وأما دليل مسح بعض الأرجل فعطفها على الرءوس والمعطوف يجب أن يشارك المعطوف عليه في حكمه.

وأما شاهد ذلك من السنة فما روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توضأ ومسح بनावيته ولم يمسح الكل.

ومن الحجة على وجوب التبويض في مسح الرءوس والأرجل إجماع أهل البيت عليهم السلام على ذلك وروايتهم إياه عن رسول الله جدهم صلى الله

عليه وآله وسلم وهم أخبر بمذهبه

سؤال

فإن قال قائل ما الكعبان عندكم اللذان تمسحون عليهما؟

(١) هو إشارة إلى الحديث المشهور المستفيض : «إني مخلف فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض ..». رواه مسلم والبيهقيّ والحاكم في المستدرک والنسائي في الخصائص وأحمد في المسند ، وابن سعد في الطبقات والهندي في كنز العمال ، وغيرها. انظر: (فضائل الخمسة ج ٢. صلى الله عليه وآله وسلم ٤٣ = ٥٢).

جواب

قيل له العظمان النابتان في ظهر القدمين عند عقد الشراك وقد وافقنا على ذلك محمد بن الحسن^(١) دون من سواه.

دليلنا : ما رواه أبان بن عثمان عن ميسر عن أبي جعفر عليهم السلام أنه قال :

ألا أحكي لك وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم انتهى إلى أن قال فمسح رأسه وقدميه ثم وضع يده على ظهر القدم^(٢)

* * *

ثم قال^(٣) وذكرت فأوجزت وقد علمت أنا لا نقبل إلا ما أدركناه بأبصارنا أو سمعناه بآذاننا أو ذقناه بأفواهنا أو شممناه بأنوفنا أو لمسناه ببشرتنا.

فقال الصادق عليهم السلام :

ذكرت الحواس الخمس وهي لا تنفع في الاستنباط إلا بدليل كما لا يقطع الظلمة إلا بمصباح^(٤).

قال شيخنا المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي رضي الله عنه :

(١) هو محمد بن الحسن بن واقد الشيباني مولى بني شيبان وصاحب أبي حنيفة ولد بواسط سنة ١ ٣٢ هـ ومات بالري سنة ١ ٨٩ هـ أخذ عن أبي حنيفة والثوري ومسعر بن كدام والأوزاعي ومالك.

(٢) اختصر المؤلف هذا الحديث ، ويبدو أنه قد سقط من النسخة طائفة كبيرة من بحث كيفية الوضوء.

(٣) قد سقط من النسخة أوائل الحديث الثاني المتعلق بحدوث العالم وإثبات الصانع.

(٤) أول الحديث هو أنه سأل أبو شاهر الديصاني الإمام الصادق فقال له : ما الدليل على حدوث العالم ، فقال (عليهم السلام) : نستدل عليه بأقرب الأشياء ، قال : وما هو؟ قال فدعا (عليهم السلام) بيضة فوضعها على راحته ، فقال : هذا حصن ملموم داخله غرقى رقيق لطيف ، به فضة سائلة وذهبة مائعة ، ثم تنغلق عن مثل الطاوس ، أدخلها بشيء؟ فقال : لا ، قال : فهذا الدليل على حدوث العالم.

قال : أخبرت فأوجزت وقلت فأحسننت ، وقد علمت ..» انظر : توحيد الصدوق صلى الله عليه وآله وسلم ٣٠٣.

إن الصادق عليهم السلام أراد أن الحواس بغير عقل لا توصل إلى معرفة الغائبات وإن الذي أراه من حدوث الصورة معقول بنا لوقوع العلم به على محسوس^(١).

واعلم أيديك الله تعالى أن الأجسام إذا لم تخل من الصور التي قد ثبت حدوثها فهي محدثة مثلها^(٢)

فصل في ذكر مولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصف شيء من فضله

روى نقلة الأخبار وحملة الآثار من الخاص والعام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :

أنا سيد ولد آدم وأنا سيد البشر

وقال أمير المؤمنين عليهم السلام ما برأ الله نسمة خيرا من محمد ص :

وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :

نقلت من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة نكاحا لا سفاحا.

وروي عن الصادق جعفر بن محمد عليهم السلام أنه قال :

نزل جبرئيل عليهم السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال :

يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول :

إني قد حرمت النار على صلب أنزلك وبطن حملك وثدي أرضعك.

وروي أن نوره صلى الله عليه وآله وسلم كان يلوح في جبهة آدم عليهم السلام وأن الله سبحانه أعلم بحاله وبين أمره وعهد إليه أن لا يقرب حواء إلا

وهما طاهران لأجل انتقال ذلك النور إلى ولده وأن عهدا باقيا في عقبه يأخذه كل أب منهم على

(١) في العبارة قلق يحول دون وضوح المعنى ولعلّ هنا سقوط جملة أو جمل من قلم الناسخ.

(٢) ذلك لأن الجسم أو الهيولى حيث وجدت تكون في صورة ما ، ولا يوجد بدون صورة ، والصورة متغيرة إذن الجسم متغير فهو محدث ، ولذلك قال الفلاسفة : إن شئئية الشيء بصورته لا بمادته.

ابنه ممن يظهر نور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وجهه بأنه لا يتزوج إلا بأطهر نساء أهل وقته حراسة لهذا النور ألا ينتقل إلا في درجات الشرف ومنازل الطهارة من الدنس فلم يزل نوره منتقلا فيهم ظاهرا بين أعينهم يدركه الناس بالمشاهدة ويرون خلو الوالد منه إذا انتقل إلى ولده وهو يزداد بالانتقال بيانا ويتضاعف بالموارثة برهانا إلى أن انتهى إلى عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف رضوان الله عليهم فعظم في وجهه وأضاء في غرته وعلمت حاله الأحبار وأخبرت بأمره الكهان وذاع خبره في البلاد.

حتى روي^(١) أن أحبار يهود الشام كانت عندهم جبة مغموسة في دم يحيى بن زكريا عليهم السلام وكانوا قد وجدوا في كتبهم أن إذا رأيتهم الجبة بيضاء والدم يقطر فاعلموا أن أبا النبي محمد المصطفى قد ولد فلما رأوا ذلك من حالها تحققوا ولادة عبد الله بن المطلب عمدوا بأجمعهم إلى الحرم ليغتالوه ويغتتموا الظفر به فيقتلوه فصرف الله سبحانه عنه كيدهم وردهم خائبين إلى بلادهم وكانوا إذا سألوا عنه قيل لهم تركناه نورا يتلأل في قريش تالئو القمر فيقول الأحبار ليس ذلك النور لعبد الله إنما هو لولده محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم ترجع في كفرها وعنادها فإذا تأملت الحال وأفاقت للاستدلال قالت هو هو ورب موسى.

وقيل إن الكهنة اجتمعت فقالت نحن نتخوف لتزايد نور عبد الله أن يغلب كهانتنا.

وروي أن نساء قريش افتتن به وكن يتعرضن به في طريقه حتى لقي منهن ما لقي يوسف عليهم السلام من امرأة العزيز وهو لا يلوي عليهن ويقول لهن ليس في سبيل إلى كلامكن^(٢).

حتى ورد في الحديث أن الجوار الأبكار كن يقفن في طريقه وإذا رمن

(١) تجد شطرا من هذه الرواية في مناقب آل أبي طالب ج ١ صلى الله عليه وآله وسلم ٢٧.

(٢) تجد شطرا من هذا الخبر في كتاب اثبات الوصية للمسعودي صلى الله عليه وآله وسلم ٨٨ = ٨٩.

كلامه تصورت الملائكة لهن في صورة مفزعة يصدونهن عنه فيرجعن مذعورات فزعات.

ثم إن وهب بن عبد مناف لما رأى عظم أمره وجلالة قدره اجتهد في تزويجه آمنة ابنته وراسل في ذلك عبد المطلب رضوان الله عليه فزوجه بها ونقل الله تعالى نور نبيه إليها فحملت به في ليلة الجمعة لتسع خلون من ذي الحجة ليلة عرفة وقيل بل في أيام التشريق ^(١) وذلك بمنى عند الجمرة الوسطى وكانت منزل عبد الله بن عبد المطلب.

فروي عنها من الآيات التي شاهدتها ليلة حملها به وعند ولادتها ما يطول ذكره.

فكان مما قالت إنه أتاني المخاض وأنا وحدي فلما وضعته صلى الله عليه وآله وسلم رأيته ساجدا قد رفع إصبعة إلى السماء كالمبتهل المتضرع ثم غشتني سحابة غيبته عن عيني وسمعت منها كلاما ثم أعيد إلي وهو مدرج في ثوب صوف أشد بياضا من الثلج وتحتة حريرة خضراء وولد صلى الله عليه وآله وسلم طاهرا مطهرا.

فكان من دلائل ولادته خمود نيران المجوس وتزعزع أسرة الملوك وكلام كثير من الدواب وسقوط الأوثان عن البيت الحرام.

وروي عن عبد المطلب أنه قال :

كنت في تلك الليلة في البيت الحرام أرم منه شيئا فلما انتصف الليل رأيته قد أهوى من جميع جوانبه مائلا كالساجد إلى ناحية المقام ثم استوى قائما وسمعت منه تكبيرا عجبا يقول الله أكبر رب محمد المصطفى الآن قد طهرني ربي من أنجاس المشركين وأرجاس الجاهلية فحرت من ذلك حتى ظننت أنني نائم.

ثم إن عبد المطلب أتى آمنة رضوان الله عليها فسألها عن حالها فأخبرته بولادتها والآيات التي رآها فقال لها أريني الولد فقالت لا سبيل لأحد إلى

(١) هي ثلاثة أيام بيتدئ أولها ثاني يوم النحر وآخرها اليوم الثالث عشر من ذي الحجة إلى العصر.

رؤيته حتى تمضي ثلاثة أيام فعند ذلك جرد سيفه ليقتل نفسه فقالت هو في ذلك البيت ادخل إن أحببت أن تراه فلما دخل عبد المطلب تراءى له رجل وقال إليك يا عبد المطلب لا سبيل لك إلى رؤيته حتى تنقطع عنه زيارة الملائكة.

وكانت ولادته صلى الله عليه وآله وسلم يوم الجمعة عند طلوع الفجر في اليوم السابع عشر ^(١) من ربيع الأول عام الفيل ^(٢) بمكة في شعب أبي طالب رضوان الله عليه.

وهذا اليوم الذي ولد فيه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم عظيم الشرف جليل القدر لم يزل آل محمد عليهم السلام يعظمونه ويرعون حرمة ويتطوعون بصيامه والصدقة فيه.

وروي أن من صامه كتب الله له صيام سنة.

ولما صار له صلى الله عليه وآله وسلم شهران توفي أبوه عبد الله بن عبد المطلب رضوان الله عليه عند أخواله بالمدينة.

وكذلك ماتت أمه رحمة الله عليها وهو طفل.

وروي أن الله تعالى أيتّم نبيه صلى الله عليه وآله وسلم لثلاث تجري عليه رئاسة لأحد من الناس.

وشرف الله تعالى حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية برضاعة وخصها بتربيته وكانت ذات عقل وفضل فروت من آياته ما يبهّر عقول السامعين وأغناها

الله ببركته في الدنيا والدين.

وكان لا يرضع إلا من ثديها اليمين.

قال ابن عباس رضي الله عنه ألهم العدل حتى في رضاعه لأنه علم أن له شريكا فناصره عدلا منه (ص).

(١) وهو المشهور بين الشيعة الإمامية ، وقيل في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول وهو المعروف بين الجمهور وبه قال أبو جعفر الكليني من الإمامية ، وقيل لثمان خلون من شهر ربيع الأول ، وقيل لعشر خلون منه.

(٢) وذلك بعد قدوم أصحاب الفيل مكة بخمسة وستين يوما ، وقيل أقل من ذلك وكان قدومهم مكة يوم الأحد لخمس ليال خلون من المحرم.

قالت حليلة فكان ثديي اليمين لرسول الله واليسار لولدي ضميرة وكان ولدي لا يشرب حتى يراه قد شرب.

قالت ولم أر قط ما يرى للأطفال طهارة ونظافة وإنما كان له وقت واحد ثم يعود إلى وقته من الغد.

وما كان شيء أبغض إليه من أن يرى جسده مكشوفاً فكنت إذا كشفتته يصيح حتى أستر عليه.

وروي عنها أنها قالت سمعته لما تمت له سنة يتكلم بكلام لم أسمع أحسن منه سمعته يقول قدوس قدوس نامت العيون والرحمن ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا

نَوْمٌ﴾.

ولقد ناولتني امرأة كف تمر من صدقة فناولته منه وهو ابن ثلاث سنين فردّه علي وقال يا أمه لا تأكلي الصدقة فقد عظمت نعمتك وكثر خيرك فإني

لا أكل الصدقة.

قالت فو الله ما قبلتها بعد ذلك من أحد من العالمين.

وكان بنو سعد يرون البركات بمقامه معهم وسكناه بينهم حتى أنهم كانوا إذا عرض لدواجم بؤس أتوا بها إليه ليمسها بيده فيزول ما بها وتعود إلى

أحسن حالها.

ولم يزل كذلك إلى أن ردتّه حليلة إلى أهله فاشتمل عليه جده عبد المطلب يحبوه التحف ويمنحه الطرف ويعد قريشا به ويخبرهم بما يكون من حاله

إلى أن دنت وفاته فوضعه في حجر أبي طالب وأوصاه به وأمره بحياطته ورعايته وعرفه ما يكون من أمره.

ثم توفي عبد المطلب رضوان الله عليه في شهر ربيع الأول وللنبي صلى الله عليه وآله وسلم ثماني سنين من عمره فكفله أبو طالب أحسن كفالة ولم

يكن له يومئذ ولد وكانت امرأته فاطمة بنت أسد بن هاشم المعروفة بسودة الفاضلة فتولت معه تربيته وأحسننا جميعاً حياطته ورعايته واتخذاه لأنفسهما ولداً

ولم يؤثر عليه في المحبة ولداً وقد شغفا بواضح دلالة وذهاً من ظاهر حجته

والكهان مع ذلك يخبرونه بشأنه ويتعجبون من جلي برهانه ويبيشرون أبا طالب بأمره وبأنه سيكفل ولدا له من ظهره.
ثم نشأ صلى الله عليه وآله وسلم نشوءا يحير أهل عصره يحضر مشاهد قريش كلها غير السجود للأصنام والعبادة^(١) لها وشرب الخمر ونظم الشعر
واقتيال الكذب والاشتغال باللعب إلى أن أظهر الله أمره وأعلى قدره ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾.

فصل في ذكر شيء من معجزات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وباهر آياته

فمن ذلك أنه دعا شجرة فجاءت تحذ الأرض ثم أشار إليها فرجعت.
ومن ذلك أنه مسح شطري ضرع العناق^(٢) وهما ملتصقان لا لبن فيهما فدر وحلب منه لبن كثير هذا في هجرته إلى المدينة وذلك مشتهر قد أتت
به الأخبار وقيل فيه الأشعار.

ومن ذلك رمي الحصى في وجوه الأعداء يوم بدر فنالهم في عيونهم ما نالهم وكانت في الحال عزيمتهم وأنزل الله سبحانه :
﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ الأنفال : ١٧.

وفعل مثل ذلك يوم حنين وقال :

شاهت الوجوه فانهزم المشركون بأسرهم.

ومن ذلك إخباره عن العير التي جاءت من الشام وحال القوم وأفعالهم وما معهم من متاعهم وكثير من كلامهم.

ومن ذلك كلام الذئب والضب أيضا معروف.

ومن ذلك الميضاة^(٣) التي وضع فيها يده وفيها شيء يسير من الماء فشرب منه خلق كثير وتوضؤوا منه.

(١) في النسخة كلمة غير واضحة

(٢) هي الأنثى من أولاد المعزى قبل استكمالها الحول.

(٣) هي المطهرة الكبيرة التي يتوضأ منها.

ومن ذلك أن ناقة ضلت من صاحبها في بعض أسفاره فقال المنافقون لو كان نبيا لعلم أين الناقة فبلغه ذلك فقال الغيب لا يعلمه إلا الله انطلق يا فلان لصاحب الناقة فإن ناقتك بمكان كذا قد تعلق زمامها بالشجرة فوجدها كما قال صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن ذلك أنه أقام عليهم السلام بنبوك فنفدت أزوادهم فأمرهم عليهم السلام فجمعوا ما بقي منها ثم أمر بأنطاع فبسطت وقال من كان عنده فضل زاد فليأتنا به فكان الرجل يأتي بالمد الدقيق والسويق والقليل من الخبز فيوضع كل صف على حدة فكان جميع ذلك قليلا ثم توضأ وصلى ودعا بالبركة فيه فكثر ذلك حتى فاض من الأنطاع ثم نادى الناس أن هلموا فأقبل الناس فحملوا من كل شيء حتى ملئوا كل جراب ومزود ومن ذلك أنه نزل بالحديبية فإذا ببئرها لا ماء فيها فشكا الناس ذلك إليه صلى الله عليه وآله وسلم فأخرج سهما من كنانته فدفعه إلى البراء بن عازب فنزل في البئر فأقبل الماء من عيون البئر حتى ملئوا كل ما معهم وسقوا ركائبهم. ^(١)

ومن ذلك أنه كان في سفر فاستيقظ من نومه فقال مع من وضوء فقال أبو قتادة معي في ميصاة فأتاه به فتوضأ وفضلت في الميصاة فضله فقال عليهم السلام احتفظ بها يا أبا قتادة فسيكون لها شأن فلما حمى النهار واشتد العطش بالناس فابتدروا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقولون الماء الماء فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقدحه ثم قال هلم الميصاة يا أبا قتادة فأخذها ودعا فيها وقال اسكب فسكب في القدح وابتدر الناس الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلكم يشرب إن شاء الله تعالى فكان أبو قتادة يسكب ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسقي حتى شرب الناس أجمعون ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي قتادة اشرب فقال لا بل اشرب أنت يا رسول الله فقال اشرب فإن ساقى القوم آخرهم يشرب فشرب أبو قتادة ثم شرب رسول الله وانتهى القوم رواء.

(١) تجد هذه المعجزة مفصلة في كتاب اعلام النبوة صلى الله عليه وآله وسلم ٦٨ .

ومن ذلك أنه أتى بشاة فأخذ بأذنها بين إصبعيه ثم خلاها فصار لها وسم^(١) وكانت تولد والأثر في أولادها.

ومن ذلك ما رواه جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال أصاب الناس يوم الخندق كدية^(٢) ضربوا فيها بمعاولهم حتى انكسرت فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدعا بماء فصبه عليها فصارت كتيبا^(٣).

ومن ذلك أن أعرابيا باع شيئا من أبي جهل فمطله فأتى قريشا فقال أعدوني على أبي الحكم فقد لوى بحقي فأشاروا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا أنت هذا الرجل فاستعد عليه وهم يهزءون بالأعرابي ويريدون أن يغروا أبا جهل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتى الأعرابي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا عبد الله أعدني على عمرو بن هشام فقد مطلني حقي قال نعم فمضى معه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضرب على أبي جهل بابه فخرج متغيرا فقال ما حاجتك فقال أعط هذا الرجل حقه قال نعم الساعة فأعطاه فجاء الرجل إلى قريش فقال جزاكم الله خيرا انطلق معي الرجل الذي دللتموني عليه فأخذ لي حقي وجاء أبو جهل فقالوا أعطيت الأعرابي حقه قال نعم قالوا إنما أردنا أن نغريك بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم قال ما هو إلا أن دق بابي وسمعت كلامه فما تمالككت أن خرجت إليه وخلفه مثل الفالج^(٤) فاتح فاه فكأنما يريدني فقال أعطه حقه فلو قلت لا لابتلع رأسي^(٥).

(١) أي علامة

(٢) الكدية هي الصخرة الصلدة.

(٣) تجد هذه المعجزة مفصلة في اعلام النبوة للماوردي صلى الله عليه وآله وسلم ٦٦ = ٦٧ نقلها عن البخاري عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه عن جابر.

(٤) الفالج : الجمل الضخم ذو السنامين ، وفي رواية ابن هشام : وإن فوق رأسه لفحلا.

(٥) رواه ابن هشام في السيرة ج ١ صلى الله عليه وآله وسلم ٤١ = ٦٤١ مع اختلاف يسير.

ومن ذلك أن أبا جهل جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه حجر يريد أن يرميه به إذا سجد فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رفع أبو جهل يده فبيست على الحجر فقالوا له أجبت قال لا ولكن رأيت بيني وبينه كهيفة الفحل يخطر بذهنه.
وهذا الحديث مشهور وفيه يقول أبو طالب رضوان الله عليه :

أفـيقـوا بـني غـالـب وانـتهـوا	عـن الغـي في بـعـض ذا المنـطـق
وإلا فـإني إذا خـائف	بواثـق في داركـم تـلتـقـم
تـكـون لـعـابـركـم عـبـرة	وربـ المـغـارب والمـشـرق
كـمـا ذاق مـن كـان مـن قـبـلكـم	ثـمـود وعـاد فـمـن ذا بـقـي
غـداة أـتـتـهم بـها صـرـر	و نـاقـة ذـي العـرـش إذ تـسـتـقي
فـحـل علـيـهم بـها سـخـطـة	مـن الله في ضـربة الأـزرق
غـداة يـعـض بعـرقوبـها	حـسـام مـن الهـنـد ذو رـونـق
وأعـجـب مـن ذاك في أمـركـم	عـجـائب في الحـجـر المـلـصـق
يـكـف الـذي قـام مـن جـنـه	إلى الصـابـر الصـادق المـتـقـي
فأيسـه الله في كـفـه	علـى رـغـم ذـي الخـائن الأحمـق

(١) في النسخة كلمة غير واضحة.

وهذا مما يستدل به على صحيح إيمان أبي طالب بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم لما تضمنه قوله من إقراره بالله سبحانه واعترافه بآياته وبالمعجز الذي بان لنبيه وإخباره عنه بأنه صابر صادق متقي.

ومن ذلك أن امرأة سلام بن مسكين أتت بشاة قد سمتها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما هذا فقالت أطفك بها وكان مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشر بن البراء بن المعرور فتناول النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الذراع وتناول بشر فأما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنه لاكها ثم لفظها وقال إن هذه الذراع تكلمني وتزعم أنها مسمومة وأما بشر فلاك البضعة ليبلعها فمات منها فأرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المرأة فأقرت فقال ما دعاك إلى هذا قالت قتلت زوجي وأشراف قومي فقلت إن كان ملكا قتلته وإن كان نبيا فسيطله الله على ذلك.^(١)

ومن ذلك أن صفوان بن أمية وعمرو بن وهب الجمحي قالا من لنا بمحمد فقال عمرو بن وهب لو لا دين علي لخرجت إلى محمد حتى أقتله فقال صفوان علي دينك ونفقة عيالك إن قتلته فخرج حتى قدم المدينة فدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أنعم صباحا أبيت اللعن فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أبدلنا الله بها خيرا منها قال إن عهدك بها حديث قال أجل ثم أكرمنا الله بالنبوة ثم قال يا عمرو ما جاء بك قال ابني أسير عندكم قال لا ولكنك جلست مع صفوان ثم قص عليه الذي قال فقال عمرو والله ما حضرنا أحد وما أتاك بهذا إلا الذي يأتيك بأخبار السماء وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله.^(٢)

ومن ذلك أن المدينة أجذبت فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرفع يديه إلى السماء وقال :

اللهم إني سألتك فأعطيني ودعوتك فأجبتني اللهم اسقنا غيثا مريا

(١) أشير إلى هذا في مناقب آل أبي طالب ج ١ صلى الله عليه وآله وسلم ٨١.

(٢) تجد هذا مختصرا في مناقب آل أبي طالب ج ١ صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٣.

مريعا عاجلا غير راثث نافعا غير بائث نافعا غير ضار فمطر الناس للوقت وسالت الأودية وامتلأ كل شيء فدامت جمعة.

فأتى رجل فقال غرقنا وتقطعت السبل في أسواقنا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حوالينا ولا علينا.

فانجاب السحاب عن المدينة وكان فيما حولها حتى حصلت السماء فوقها والسحاب ذلك. ^(١)

فقال كل واحد منهم في نفسه آمنت إذا مضيت أن يأتي أحد غيري فيشعر بي فاجتمعوا بأسرهم لاتفاق ما في نفوسهم ولما أزعجهم من التعجب

لاستماع ما حيرهم وأذهلهم فوقفوا إلى الصباح فلما انصرفوا اجتمعوا أيضا وافتضح بعضهم عند بعض وجددوا العهد بينهم ثم عادوا حتى فعلوا ذلك عدة

دفعات تطلعا إلى سماع القرآن مع ما هم عليه من الإصرار على العناد.

وأما تعجب الجن فقولها :

﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ سورة الجن : ١

فصل من البيان عن إعجاز القرآن

فمن ذلك عجز بلغاء العرب عن الإتيان بمثله في فصاحته ونظمه مع علمهم بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد جعله علما على صدقه وسماعهم

للتحدي فيه على أن يأتوا بسورة من مثله هذا مع اجتهدهم في دفع ما أتى به صلى الله عليه وآله وسلم وتوفر دواعيهم إلى إبطال أمره وفل جمعه واستفراغ

مقدورهم في أذيته وتعذيب أصحابه وطرد المؤمنين به.

ثم ما فعلوه بعد ذلك من بذل النفوس والأموال في حربه والحرص على إهلاكه مع علمهم بأن ذلك لا يشهد بكذبه ولا فيه إبطال الحجة ولا يقوم

مقام معارضته فيما جعله دلالة على صدقه وتحداهم على الإتيان بمثله.

(١) تجد هذا في مجالس المفيد صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٣٩ رواها بإسناده عن مسلم الغلابي مع زيادات.

وقد كانوا قوما فصحاء حكماء عقلاء خصماء لا يصبرون على التفریع ولا يتغاضون عن التعجيز وعاداتهم معروفة في التسرع إلى الافتخار وتحدي بعضهم لبعض بالخطب والأشعار وفي انصرافهم عن المعارضة دلالة على أنها كانت متعذرة عليهم وفي التجائهم إلى الحروب الشاقة دونها بيان أنها الأيسر عندهم.

وأي عاقل يطلب أمرا فيه هلاك حاله والتغريب بنفسه وهو يقدر على كلام يقوله يغنيه بذلك وينال به أمله ومراده فلا يفعله. هذا ما لا يتصور في العقل ولا يثبت في الوهم وفي عجزهم الذي ذكرناه حجة في بيان معجز القرآن وفي صحة نبوة نبينا ص. ومن ذلك ما يتضمنه من أخبار الدهور الماضية وأحوال القرون الخالية وأبناء الأمم الغابرة ووصف الديار الدائرة وقصص الأنبياء المتقدمين وشرح أحكام أهل الكتابين مما لا يقدر عليه إلا من اختص بهم وانقطع إلى الاطلاع بكتبهم وسافر في لقاء علمائهم وصحب رؤساءهم. ولما كان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم معلوم المولد والدار والمنشأ والقرار لا تخفى أحواله ولا تستتر أفعاله لم يلف قبل بعثته مدارس لكتاب ولا رئي مخالطا لأهل الكتاب ولم يزل معروفا بالانفراد عنهم غير مختص بأحد منهم ولا سافر لاتباع عالم سرا ولا جهرا ولا احتال في نيل ذلك أولا ولا آخرا علم أنه لم يأخذ ذلك إلا عن رب العالمين دون الخلائق أجمعين وثبت صدقه وحجته وإعجاز الوارد على يده وكان قول الله عَزَّوَجَلَّ :

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ سورة القصص : ٤٤

وقوله عَزَّوَجَلَّ :

(١) في النسخة الشرع

(٢) في النسخة (فيه بما)

(٣) في النسخة (المولود)

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ سورة القصص : ٤٦ .

يعضد ما ذكرناه ويشهد بصحة ما وصفناه.

ومن ذلك أيضا ما ثبت فيه من الإخبار بالكائنات قبل كونها وإعلام ما في القلوب وضماؤها كقوله سبحانه في اليهود من أهل خير :

﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثُرُهُمُ الْفَاسِقُونَ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُوكُمْ الْأَذْيَارُ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ . سورة

آل عمران : ١١١

وكان الأمر في هزيمتهم وخذلانهم كما قال سبحانه.

وقال في قصة بدر تشجيعا للمسلمين وإخبارا لهم عن عاقبة أمرهم وأمر المشركين :

﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ . سورة القمر : ٤٥

وكان ذلك يقينا كما قال سبحانه.

وقال فيهم :

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُتَفَقَّحُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُتَفَقَّحُوهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ . سورة الانفال : ٣٦

فكان الظفر قريبا كما قال سبحانه.

وقال عز اسمه :

﴿الْمُغْلِبَتِ الرُّومُ فِي أَذْنِ الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ

يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ سورة الروم : ٢ و ٣ .

فأخبر الله تعالى عن ظفرهم بغلبهم وغلبتهم له وحدد زمان ذلك وحصره فكان الأمر فيه حسب ما قال سبحانه.

وقال عَزَّجَلَّ :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

بِالظَّالِمِينَ﴾ سورة الجمعة : ٦ و ٧.

فقطع على بغيهم وأعلم أنهم لا يتمنون الموت فلم يقدر أحد منهم على دفعه ولا أظهر تمنيه كان الأمر في ذلك موافقا لما قال سبحانه.

وقال تعالى :

﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْ لَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ سورة المجادلة : ٨.

فأخبر عن ضمائرهم بما في سرائرهم قبل أن يبدو على ألسنتهم وكان الأمر كما قال سبحانه.

وقال في أبي لهب وهو حي متوقع منه الإيمان والبصيرة والإسلام :

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ﴾ سورة المسد : ١

فمات على كفره ولم يصبر إلى الإسلام.

وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم :

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ سورة الحجر : ٩٥.

وكلهم يومئذ حي عزيز في قومه فأهلكهم الله أجمعين وكفاه أمرهم على ما أخبر به.

وأمثال ذلك كثيرة يطول بها الكتاب وقد ذكرها أهل العلم وهذا طرف منها يدل على معجزة القرآن وصدق من أتى به عليهم السلام.

دليل على حدوث العالم

الذي يدلنا على ذلك أنا نرى أجساما لا تخلو من الأحداث المتعاقبة عليها

(١) تجد ذلك في أكثر المؤلفات الموضوعة في حياته ومعجزاته وكراماته واعجاز القرآن من الشيعة والسنة على السواء.

ولا يتصور في العقل أنها كانت خالية منها وهذا يوضح أنها محدثة مثلها لشهادة العقل بأن ما لم يوجد عاريا من المحدث فإنه يجب أن يكون مثله محدثا. وهذه الحوادث هي الاجتماع والافتراق والحركة والسكون والألوان والروائح والطعوم ونحو ذلك من صفات الأجسام التي تدل على أنها أشياء غير الجسم ما نراه من تعاقبها عليه وهو مع كل واحد منها وهذا يقين أيضا على حدوثها لأن الضدين المتعاقبين لا يجوز أن يكونا مجتمعين في الجسم ولا يتصور اجتماعهما في العقل وإنما وجد أحدهما وعدم الآخر فالذي طرأ ووجد هو المحدث لأنه كائن بعد أن لم يكن والذي انعدم أيضا محدث لأنه لو كان غير محدث لم يجز أن ينعدم ولأنه مثله أيضا قد تجدد وحدث.

والذي يشهد بأن الأجسام لم تخل من هذه الحوادث بداية ^(١) العقول وأوائل العلوم إذ كان لا يتصور فيها وجود الجسم مع هذه الأمور. ولو جاز أن يخلو الجسم منها فيما مضى لجاز أن يخلو منها الآن وفيما يستقبل من الزمان. والذي يدل على أن حكم الجسم كحكمها في الحدوث أن المحدث هو الذي لوجوده أول والقديم هو المتقدم على كل محدث وليس لوجوده أول فلو كان الجسم قديما لكان قبل الحوادث كلها خاليا منها. وفيما قدمناه من استحالة خلوه منها دلالة على أنه محدث مثلها والحمد لله.

(١) المراد به البداهة العقلية.

فصل

في الأشعار المأثورة عن أبي طالب بن عبد المطلب ره

التي يستدل بها على صحة إيمانه

من ذلك قوله في قصيدته اللامية

لعمري لقد كلفت وجدا بأحمد	وأحبته حبيب الحبيب الموصل
وجدت بنفسي دوني وحميته	ودارت عنده بالذرا والكلاك
فلا زال في الدنيا جمالا لأهله	وشئنا لمن عاداه زين المحافل
حليما رشيدا خازما غير طائش	يوالي إليه الخلق ليس بماحل
فأيده رب العباد بنصره	وأظهر ديننا حقه غير باطل
لقد علموا أن ابننا لا مكذب	لديننا ولا يعنى بقبل الأباطل ^(١)

ومن قطعة ميمية

ترجون أن نسحق بقتل محمد	ولم تختضب سحر العوالي من الدم
كذبتم وبيت الله حتى تغرؤوا	جماجم تلقى بالخطيم وزمزم

(١) هذه الأبيات من قصيدة طويلة أوردها ابن هشام في السيرة ج ١ صلى الله عليه وآله وسلم ٢٨٦ = ٢٩٨ مع اختلاف يسير.

وتقطّع أرحام وتنسى حليّة
وينهض قوم في الحديق إلّيك
على ما أتى من بغيكم وضلالكم
بظلم نبي جاء يدعو إلى الهدى
فلا تحسبونا مسلميه ومثله
وقوله أيضا :

أخلفت بأنا مسلمون محمدا
أصبنا حبيبا في البلاد مسووما
يرى الناس برهانا وهيبة
نبي أتاه الوحي من عند ربه
تطيف به جرثومة هاشمية
وقوله أيضا :

ألا أبلغا عني على ذات بينها

حليلا ويغشى محرما بعد محرم
يذودون عن أحسابهم كل مجرم
وغشيانكم في أمرنا كل مأتّم
وأمر أتى من عند ذي العرش مبرم
إذا كان في قوم فليس بمسلم

ولما نقاذف دونّه بالمراجم
بخساتم رب قاهر للجرائم
وما جاهل في فعله مثل عالم
فمن قال لا يفرج بها سن نادم
يذبون عنه كل باغ وظالم

لؤيا وخصا من لؤي بني كعب

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبيا كموسى خط في أول الكتب^(١)
وأن عليه في العباد محبة ولا سنن فليمن خصه الله بالحب

وقوله أيضا يحض أخاه حمزة بن عبد المطلب ره على اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونصرته :

فصبرا أبا يعلى على دين أحمد
وخط من أتى بالدين من عند ربه
فقد سرنى إذ قلت إنك مؤمن
وباد قريشا بالذي قد أتيت به
وكن مظهرا للدين وفقئت صابرا
بصدق وحق ولا تكن حمز كافرا
فكن لرسول الله في الله ناصرا
جهارا وقل ما كان أحمد ساحرا

وقوله لابنه جعفر وقد أمره بالصلاة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال يا بني صل جناح ابن عمك فلما أجابه قال :

إن عليا وجعفر را ثقتي
والله لا أخذل النجي ولا
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما
عند ملهم الزمان والكرب
يخذله من بني ذو حسب
أخي لأمي من بينهم وأبي

وقوله أيضا :

(١) في الفصول المختارة هكذا :

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً رسول أميين خط في سالف الكتب

زعمت قريش أن أحمد ساحر
 ما زلت أعرفه بصدق حديثه
 كذبوا ورب الراقصات إلى الحرم
 وهو الأمين على الخرائب والحرم
 ومضت مقالتهم تسير إلى الأمم
 وقال في الإقرار بالتوحيد :

ملك الناس ليس له شريك
 ومن فوق السماء له بحق
 هو الوهاب والمبدي المعيد
 ومن تحت السماء له عبيد
 وقال أيضا :

يا شاهد الله على فاشهد
 آمننت بالواحد رب أحمد

من ضل في الدين فإني مهتدي

وهذا كله دليل واضح على إيمانه رضوان الله عليه بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم.
 ومن الحديث الوارد بصحة إيمانه ما أخبرني به شيخي أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن علي المعروف بابن الواسطي رضي الله عنه.
 قال أخبرني أبو محمد هارون بن موسى التلعكبري قال أخبرني أبو علي بن همام قال حدثنا أبو الحسن علي بن محمد القمي الأشعري قال حدثني
 منجح الخادم مولى بعض الطاهرية بطوس قال حدثني أبان بن محمد قال كتبت إلى الإمام الرضا علي بن موسى عليه السلام :
 جعلت فداك قد شككت في إيمان أبي طالب.
 قال فكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم.

أما بعد فمن ﴿يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ إنك إن لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار.

وإسناده إلى أبان بن محمد بن يونس بن نباتة عن أبي عبد الله عليهم السلام أنه قال :

يا يونس ما يقول الناس في إيمان أبي طالب؟

قلت جعلت فداك يقولون هو في ضحضاح من نار يغلي منها أم رأسه فقال كذب أعداء الله إن أبا طالب من رفقاء ﴿النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ

وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾.

ومن ذلك ما حدثنا به الشيخ الفقيه أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن شاذان القمي رضي الله عنه قال حدثني القاضي أبو الحسين محمد بن عثمان بن عبد الله النصيبي في داره قال حدثنا جعفر بن محمد العلوي قال حدثنا عبيد الله بن أحمد قال حدثنا محمد بن زياد قال حدثنا مفضل بن عمر عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه عن أمير المؤمنين علي عليهم السلام أنه كان جالسا في الرحبة والناس حوله فقام إليه رجل فقال له يا أمير المؤمنين إنك بالمكان الذي أنزلك الله وأبوك معذب في النار فقال له :

مه فض الله فاك والذي بعث محمدا بالحق نبيا لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله أأبي معذب في النار وابنه قسيم الجنة والنار والذي بعث محمدا بالحق إن نور أبي طالب يوم القيامة ليطفئ أنوار الخلائق إلا خمسة أنوار نور محمد ونور فاطمة ونور الحسن والحسين ونور ولده من الأئمة ألا إن نوره من نورنا خلقه الله من قبل خلق آدم بألفي عام.

ومن ذلك ما حدثني به الحسن بن محمد بن علي الصيرفي البغدادي قراءة علي من طريق نقل العامة قال حدثني أبو القاسم منصور بن جعفر بن ملاعب قراءة علي قال حدثنا أبو عيسى محمد بن داود بن جندل الحلبي

قال أخبرنا علي بن حرب قال حدثنا زيد بن الجناح قال أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت بن إسحاق عن عبد الله العباس أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما ترجو لأبي طالب فقال كل خير أرجو من ربي عَجَّلَ .

وحدثني أبو الحسن طاهر بن موسى بن جعفر الحسيني قال حدثنا أبو القاسم ميمون بن حمزة الحسيني قال حدثنا مزاحم بن عبد الوارث البصري قال حدثنا أبو بكر أحمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أيوب الجوهري قال حدثنا العباس بن علي قال حدثنا علي بن عبد الله الجرشي قال حدثنا جعفر بن عبد الواحد بن جعفر قال قال لنا العباس بن الفضل عن إسحاق بن عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس قال سمعت أبي يقول سمعت المهاجر مولى نوفل اليماني يقول سمعت أبا رافع يقول سمعت أبا طالب يقول حدثني محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن ربه بعثه بصلة الرحم وأن يعبد الله وحده ولا يعبد معه غيره ومحمد عندي الصادق الأمين.

فصل من أخبار عبد المطلب رضي الله عنه

وأخبرني شيخني أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن علي الواسطي رضي الله عنه قال أخبرني أبو محمد هارون بن موسى التلعكبري قال أخبرني محمد بن همام وأحمد بن هوزة جميعا عن أبي محمد الحسن بن محمد بن جمهور القمي قال حدثنا أبي عن الحسن بن محبوب الزرادي عن عبد الرحمن بن الحجاج عن هارون بن خارجة عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه قال لما ظهرت الحبشة باليمن وجه يكسوم ملك الحبشة بقائدين من قواده يقال لأحدهما أبرهة والآخر أرباط في عشرة من الفيلة كل فيل في عشرة آلاف هدم بيت الله الحرام فلما صاروا ببعض الطريق وقع بأسهم بينهم واختلفوا فقتل أبرهة أرباط واستولى على الحبش.

فلما قارب مكة طرد أصحابه عيرا لعبد المطلب بن هاشم فصار عبد المطلب إلى أبرهة وكان ترجمان أبرهة والمستولي عليه ابن داية لعبد المطلب فقال الترجمان لأبرهة :

هذا سيد العرب وديانها فأجله وأعظمه ثم قال لكاتبه سله ما حاجته فسأله فقال إن أصحاب الملك طردوا لي نعماً فأمر بردها ثم أقبل على الترجمان فقال قل له عجباً لقوم سودوك ورأسوك عليهم حيث تسألني في غير لك وقد جئت لأهدم شرفك ومجداك ولو سألتني الرجوع عنه لفعلت. فقال أيها الملك إن هذه العير لي وأنا ربها فسألتك إطلاقها وإن لهذه البنية ربا يدفع عنها. قال فإني غاد لهدمها حتى أنظر ما ذا يفعل.

فلما انصرف عبد المطلب رحل أبرهة بجيشه فإذا هاتف يهتف في السحر الأكبر يا أهل مكة أتاكم أهل عكة بجحفل جرار يملأ الأندار ملء الجفار فعليهم لعنة الجبار ^(١) فأنشأ عبد المطلب يقول :

أيهــــا الــــداعي لــــقــــد أــــســــمــــعــــتــــنــــي	كــــلــــمــــا قــــلــــت وــــمــــا بــــي مــــن صــــمــــم
إن للبيــــت لــــرــــبــــا مــــانــــعــــا	مــــن يــــرــــده بآثــــام يــــصــــطــــلــــم
رــــامــــه تــــبــــع ^(٢) في أجــــنــــاد	حــــمــــير والــــحــــي مــــن آل إــــرم ^(٣)
هــــلــــكــــت بالــــبــــغــــي فــــيــــهــــم جــــرهم	بــــعــــد طــــســــم وــــجــــديــــس وــــجــــثم ^(٤)
وــــكــــذاك الأــــمــــر فــــيــــمــــن جــــاد	لــــيــــس أــــمــــر الله بالأــــمــــر الأــــمــــم ^(٥)

(١) جفار جمع جفرة وهي سعة في الأرض مستديرة.

(٢) هو من ملوك اليمن

(٣) أي من آل عاد وعليه قوله تعالى : أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ.

(٤) جرهم وطسم وجديس وجثم هي قبائل عربية بائدة.

(٥) الأمم بالتحريك اليسير.

نحن آل الله فيما قد خلا
نعرف الله وفيننا شريعة
لم يزل لله فينا حجة
ولنا في كل دور كورة
فإذا ما بلغ الدور إلى
بكتاب فصلت آياته

لم يزل ذاك على عهد إبراهيم^(١)
صلة الرحم ونوفي بالذمم
يدفع الله بهما عنها النقم^(٢)
نعرف السدين وطورا في العجم
منتهى الوقت أتى الطين^(٣) قدم
فيه تبيان أحاديث الأمم^(٤)

فلما أصبح عبد المطلب جمع بينه وأرسل الحرث ابنه الأكبر إلى أعلى جبل أبي قبيس فقال انظر ما ذا يأتيك من قبل البحر فرجع فلم ير شيئا فأرسل واحدا بعد آخر من ولده فلم يأت أحد منهم عن البحر بخبر فدعا ولده عبد الله وإنه لغلام حين أيفع وعليه ذؤابة تضرب إلى عجزه فقال له اذهب فذاك أبي وأمي فاعل أبا قبيس وانظر ما ذا ترى يجيء من البحر فنزل مسرعا فقال يا سيد النادي رأيت سحابة من قبل البحر مقبلا يسفل تارة ويرتفع أخرى إن قلت غيما قلته وإن قلت جهاما خلته يرتفع تارة وينحدر أخرى.

فنادى عبد المطلب يا معشر قريش ادخلوا منازلكم فقد أتاكم الله بالنصر من عنده.

(١) أي إبراهيم عليه السلام

(٢) روى هذه الأبيات المسعودي في المروج ج ٢ صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٢٩ باختلاف في بعضها.

(٣) الأحمر المشيع حمرة.

(٤) هذه الأبيات الثلاثة لم يذكرها المسعودي.

(٥) هو السحاب الذي لا ماء فيه.

فأقبلت الطير الأبايل في منقار كل طير حجر وفي رجليه حجران فكان الطائر الواحد يقتل ثلاثة من أصحاب أبرهة كان يلقي الحجر في قمة رأس الرجل فيخرج من دبره. ^(١)

وقد قص الله تبارك وتعالى نبأهم فقال سبحانه :

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ ^(٢)

السجيل الصلب من الحجارة والعصف ورق الزرع ومأكول يعني كأنه أخذ ما فيه من الحب فأكل وبقي لا حب فيه.

وقيل إن الحجارة كانت إذا وقعت على رؤوسهم وخرجت من أديبارهم بقيت أجوافهم فارغة خالية حتى يكون الجسم كقشر الخنطة.

وبإسناده عن ابن جمهور رحمته الله قال حدثني أبي قال حدثني علي بن حرب بن محمد بن علي بن حيان بن مازن الطائي قال حدثني عمر بن بكر عن

أحمد بن القاسم عن محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس قال :

لما ظفر سيف بن ذي يزن واسمه النعمان بن قيس بالحبشة وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسنتين أتنه وفود العرب وأشرافها

وشعراؤها تهنيه وتمدحه وتذكر ما كان من حسن بلائه وطلبه بثار قومته فأثاه فيمن أتااه وفد قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم وأميه بن عبد شمس وعبد

الله بن جدعان وخويلد بن أسد بن عبد العزى في أناس من وجوه قريش فقدموا عليه صنعاء ^(٣) فإذا هو في رأس غمدان ^(٤) وهو الذي ذكره أميه بن

(١) تجد هذه القصة مروية في مجالس الشيخ المفيد بإسناده إلى عبد الله بن سنان عن الصادق (عليهم السلام) مع اختلاف في أسلوبها صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٨٤ = ٦٨٦ .

(٢) سورة الفيل

(٣) هي إحدى عواصم اليمن القديمة نزلها الأحباش بعد استيلائهم على اليمن ، ولا تزال إلى اليوم عاصمة اليمن الكبيرة.

(٤) غمدان أحد القصور الشهيرة في اليمن ، وهو في صنعاء وقد بناه اليشجر بخضب ٣٥ = ٥١ ق. م. على رواية الهمداني وياقوت وظل باقيا إلى أيام عثمان بن عفان ، وكان مؤلفا من عشرين طبقة ، ومما قيل في وصفه.

الصلت ^(١) في قصيدته حيث يقول :

اشرب هنيئاً عليك التـاج مرتفعاً في رأس غمـدان داراً منك محـالاً ^(٢)
فدخل الأذن فأخبره بمكانهم فأذن لهم فدنا عبد المطلب فاستأذنه في الكلام فقال إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك فقال عبد
المطلب :

إن الله قد أحلك أيها الملك محلاً رفيعاً صعباً منيعاً شامخاً باذخاً ،

= يسـمو إلى كـبد السـماء مصـعداً عشـرين سـقفا سـمكهـا لا يقصـر
ومـن السـحاب معصـب بعمامـة ومـن الغـمام منطـق ومـؤزر
متلاحـكـا بالـفـطـر منـه صـخرة والجـزع بـين صـروحـه والمـرمـر

تاريخ العرب قبل الإسلام

(١) هو أبو الصلت عبد الله بن ربيعة بن عوف بن أمية ، والبيت هو له لا لابنه أمية على رواية ابن سلام الجمحي في طبقات الشعراء ورواية ابن قتيبة في الشعر والشعراء ، ولكن الأصبهاني في الأغاني نسبة إلى ابنه أمية ابن الصلت.

(٢) هو من أبيات أولها :

لا يطلـب السـب الـوتر إلّا كـابن ذى يـزن في البـحر لـجـج للأعـداء أحـوالا
أتى هـرقلا وقـد شـالت نعامتـه فلم يـجد عنـده القـول الـذي قـالا
ثم انتحى نـحو كـسرى بـعد تاسـعة مـن السـنين لقـد أبـعدت إيغـالا
حتى أتى بيـني الأحـرار يقـدمهم تخـالهم فـوق مـتن الأرض أجـالا
ومنها

مـن مثـل كـسرى وسـابور الجـنود لـه أو مثـل وهـرز يـوم الجـيش إذ صـالا
فاشرب هنيئاً عليك التـاج مرتفعاً في رأس غمـدان داراً منك محـالاً

أنبتك منبتا طابت أرومته وعزت جرثومته وثبت أصله وسبق فرعه أكرم موطن وأطيب معدن.
وأنت أبيت اللعن ملك العرب وربيعها الذي به نخصب ورأس العرب الذي إليه تنقاد وعمودها الذي عليه العماد ومقلها الذي يلجأ إليه العباد.
سلفك خير سلف وأنت لنا منهم خير خلف فلم يخمل من هم سلفه ولن يهلك من أنت خلفه.
نحن أيها الملك أهل حرم الله وسدنة بيته أشخصنا إليك الذي أبهجنا لكشف الكرب الذي فدحنا فنحن وفد التهئة لا وفد المرزئة.^(٢)
فقال سيف وأيهم أنت أيها المتكلم؟
قال أنا عبد المطلب بن هاشم قال ابن أختنا قال نعم قال ادن فدنا.
ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا نحلا يعني يعطي عطاء جزيلا قد سمع الملك مقالكم وعرف قرابتكم
وقبل وسيلتكم فأنتم أهل الليل والنهار ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء إذا ظعنتم.
ثم نهضوا إلى دار الضيافة والوفود وأقاموا بها شهرا لا يصلون إليه ولا يؤذن لهم في الانصراف.
ثم انتبه لهم انتباهة فأرسل إلى عبد المطلب أني مفض إليك من سر علمي ما لو يكون غيرك لم أبح به ولكني رأيتك معدنه فأطلعتك طلعة^(٣) فليكن
عندك مطويا حتى يأذن الله فيه ف ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالْعُمْرَةِ﴾.

(١) هكذا في النسخة ولعلّ الأصل سَمَق بمعنى ارتفع أو امتد أو الأصل بسق.

(٢) في النسخة (الترزية). والتصحيح عن الأغاني.

(٣) عن نهاية ابن الأثير : أطلعتك طلعة أي أعلمتك.

إني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي اخترناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة وللناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة.

فقال عبد المطلب مثلك أيها الملك سر وبر فما هو فذاك أهل الوبر زمرا بعد زمر.

قال إذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت له الإمامة ولكم به الدعامة إلى يوم القيامة.

قال عبد المطلب أبيت اللعن لقد أبت بخير ما آب به وافد لو لا هيبة الملك وإجلاله لسألته من بشارته إياي ما ازداد به سرورا.

قال ابن ذي يزن هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد اسمه محمد يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه قد ولدناه مرارا والله باعته جهارا وجاعل له منا أنصارا يعز بهم أوليائه ويذل بهم أعداءه يضرب بهم الناس عن عرض ويستبيح به كرائم الأرض يكسر الأوثان ويحمد النيران ويعبد الرحمن ويدحر الشيطان قوله فصل وحكمه عدل يأمر المعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله.

قال عبد المطلب أيها الملك عز جدك وعلا كعبك ودام ملكك وطال عمرك فهل الملك ساري بإفصاح فقد أوضح بعض الإيضاح؟

فقال ابن ذي يزن والبيت ذي الحجب والعلامات على النصب إنك يا عبد المطلب لجده غير الكذب.

فخر عبد المطلب ساجدا فقال ارفع رأسك وثلج صدرك وعلا أمرك فهل أحسست شيئا مما ذكرت لك؟

فقال أيها الملك كان لي ولد وكنت به معجبا وعليه شفيقا فزوجته

(١) في النسخة من سارة ، وصححناه عن اعلام النبوة للماوردي ، وفي رواية الأغاني : أن يزيدني من البشارة.

كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب بن عبد مناف فجاءت بغلام وسميته محمدا مات أبوه وأمه فكفلته أنا وعمه بين كتفيه شامة وكل ما ذكرت من علامة.

قال ابن ذي يزن إن الذي قلت لك لكما قلت فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود فإنهم أعداء له ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا واطو ما قلت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك فإنني لست آمن أن تدخلهم النفاسة من أن تكون لك الرئاسة فيطلبوا لك الغوائل وينصبوا لك الحبال وهم فاعلون لو أنبئهم ولو لا أني أعلم أن الموت محتاجي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى أصير يثرب دار ملكي فإنني أجد في الكتاب الناطق والعلم الباسق أن يثرب استحكام أمره وأهل نصره وموضع قبره ولو لا أني أقيه الآفات وأحذر عليه العاهات لأعلنت على حداثة سنه أمره ولأوطأت أسنان العرب عقبه لكنني صارف ذلك إليك عن غير تقصير لمن معك فعله مني التحية والسلام.

ثم أمر لكل واحد منهم بعشرة أعبد وعشر إماء ومائة من الإبل وخمس من البرود وخمسة أرطال من الذهب وعشرة أرطال فضة وكرش مملوء عنبرا.

وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال إذا حال الحول فأتني

فمات ابن ذي يزن قبل أن يحول الحول فكان عبد المطلب كثيرا ما يقول يا معشر قريش لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك وإن كثر فإنه إلى

نفاد ولكن ليغبطني بما يبقى لي ولعقبتي من بعدي ذكره وفخره وشرفه.

فإذا قيل له وما ذلك قال سيعلم ما أقول ولو بعد حين ^(١)

(١) وهكذا ذكر الماوردي في إعلام النبوة قصة وفود عبد المطلب على سيف رواها بإسناده عن أبي صالح عن ابن عباس وتحتها في الأغاني ج ١ ٦ صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٤٦ = ١ ٤٨ . ورواها الطبرسي في إعلام الوري صلى الله عليه وآله وسلم ٢٤ = ٢٦ وقال روى هذا الحديث أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في دلائل النبوة من طريقين.

وفي ذلك يقول أمية بن عبد شمس :

جلبننا النصح تحملته المطايا	على أكوار أجمال ونسوق
مغلغلة مراقعه تعلقا إلى	إلى صنعاء ممن فجع عميق
تؤم ^(١) بنا ابن ذي يزن ومعرى	ذوات بطونهم أأم الطريق
وترعى عن مخايله يروقها	مواصلة الوميض إلى بسروق
فلما وافقت صنعاء حلت	ببدار الملك والحسب العريق ^(٢)

وروي أنه قيل لأكثم بن صيفي وكان حكيماً العرب إنك لأعلم أهل زمانك وأحكمهم وأعقلهم وأحلمهم فقال :
وكيف لا أكون كذلك وقد جالست أبا طالب^(٣) بن عبد المطلب دهره وهاشما دهره وعبد مناف دهره وقصيا دهره وكل هؤلاء سادات أبناء
سادات فتخلقت بأخلاقهم وتعلمت من حلمهم واقتفيت سؤددهم واتبعت آثارهم وكان أكثم بن صيفي من المعمرين.^(٤)

(١) في النسخة (ترم) والتصحيح عن الأغاني

(٢) هذه الأبيات موجودة في الأغاني ج ١ ٦ صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٤٨ وتجد قصة دخول عبد المطلب على سيف ابن ذي يزن في أمالي الصدوق صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٧٤ =
١ ٧٨ وانظر : إعلام الوری صلى الله عليه وآله وسلم ٢٦ = ٢٧ .

(٣) قد يكون هنا سقط وهو قد جالست أبا طالب دهره وعبد المطلب دهره.

(٤) كما يأتي ذلك في بعض فصول هذا الكتاب.

خبر رؤيا ربيعة بن نصر اللخمي^(١) ملك اليمن

التي تأولها سطيح وشق

ذكر الرواة من أهل العلم أن ربيعة بن نصر رأى رؤيا هالته وفضع بها فلما رآها بعث في أهل مملكته فلم يدع كاهنا ولا ساحرا ولا قائضا ولا منجما إلا أحضره إليه فلما جمعهم قال لهم إني قد رأيت رؤيا هالتي وفضعت بها فأخبروني بتأويلها قالوا اقصصها علينا لنخبرك بتأويلها قال إنه لا يعرف تأويلها إلا من يعرفها قبل أن أخبره بها.

فلما قال لهم ذلك قال رجل من القوم إن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سطيح وشق فإنه ليس أحد أعلم منهما فهما يجبرانك بما سألت. فلما قيل له ذلك بعث إليهما فقدم عليه سطيح قبل شق ولم يكن مثلهما من الكهان فلما قدم عليه دعاه فقال له يا سطيح إني قد رأيت رؤيا هالتي وفضعت بها فأخبرني بها فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها قال أفعل :

رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمّة فأكلت منها كل ذات جمجمة.

قال له الملك ما أخطأت منها شيئا يا سطيح فما عندك في تأويلها؟

فقال أحلف بما بين الحرمين من خش ليهبطن أرضكم الحبش فلتملك ما بين أبين إلى جرش.

قال له الملك وأبيك يا سطيح إن هذا لنا لغائظ موجه فمتى هو كائن يا سطيح أي زمني أم بعده؟

قال لا بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين بمضين من السنين ثم يقبلون^(٢) بها أجمعون ويخرجون منها هاربين

(١) هو جد النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر.

(٢) في سيرة ابن هشام : ثم يقتلون.

قال الملك من ذا الذي يلي ذلك من قبلهم وإخراجهم؟

قال يليه إرم ابن ذي يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك منهم أحدا باليمن.

قال أفيدوم ذلك من سلطانه أو ينقطع؟

قال بل ينقطع.

قال ومن يقطعه قال نبي زكي يأتيه الوحي من قبل العلي.

قال ومن هذا النبي قال من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر.

قال وهل للدهر يا سطيح من آخر؟

قال نعم يوم يجمع فيه الأولون والآخرين ويسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون.

قال أحق ما تجربنا يا سطيح قال نعم والشفق والليل إذا اتسق إن ما أنبأتك به لحق.

فلما فرغ قدم عليه شق فقال له يا شق إني رأيت رؤيا هالتي وفضعت بها فأخبرني عنها فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها كما قال سطيح وقد كتبه

ما قال سطيح لينظر أيتفقان أم يختلفان.

قال نعم رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بين روضة وأكمة فأكلت منها كل ذات نسمة.

قال له الملك ما أخطأت منها فما عندك في تأويلها؟

قال أحلف بما بين الحرمين من إنسان لينزلن أرضكم الحبشان فليغلبن على كل طفلة البنان وليملكن ما بين أبين إلى نجران.

فقال له الملك وأبيك إن هذا لنا لغائظ موجه فمتى هو كائن أفي زماني أم بعده؟

قال بعده بزمان ثم يستنفذكم منهم عظيم الشأن ويذيقهم أشد الهوان

قال ومن هذا العظيم الشأن؟

قال غلام ليس بدني ولا مدن يخرج من بيت ذي وزن.

قال فهل يدوم سلطانه أو ينقطع؟

قال بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحق والعدل بين أهل الدين والفضل يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل.

قال وما يوم الفصل؟

قال يسمع منها الأحياء والأموات ويجمع فيه الناس للميقات يكون لمن اتقى الفوز والخيرات.

قال أحق ما تقول يا شق؟

قال إي ورب السماء والأرض وما بينهما من رفع وخفض إن ما أنبأتك لحق ما فيه أمض^(١).

دليل في تثبيت الصانع

حكى عن إبراهيم النظام قال :

الدليل على ذلك أنا رأينا أشياء متضادة من شأنها التناقض والتباين والتفاسد مجموعة وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة المجتمعة في كل حيوان وفي أكثر سائر الأجسام فعلمنا أن جامعها أقسرها على الاجتماع.

ولو لا ذلك لتباينت وتفاسدت.

قال ولو جاز أن تجتمع المتضادات المتنافرات وتتقاوم من غير جامع جمعها لجاز أن يجتمع الماء والنار ويتقاوما من ذاتهما بغير جامع مدبر مقيم

يقيمهما وهذا محال لا يتوهم

(١) قال ابن هشام : أمض يعني شكا ، وقال أبو عمرو أمض أي باطل وتجد قصة هذه الرؤيا في سيرة ابن هشام ج ١ صلى الله عليه وآله وسلم ١ ١ = ١ ٣ .

قال وفي اجتماعهما دليل على حدوثها لأنها لا يجوز عليها الانفراد فإذا كانت لا توجد إلا مجتمعة وبطل أن توجد كذلك إلا بجامع جمعها صح أنه قبلها وأنها لم توجد إلا حين ابتدئها مجتمعة ولو وجدت قبل ذلك لم توجد إلا على أحد وجهين إما أن يكون كل واحد منهما منفردا وهذا محال أو تكون مجتمعة لا جامع لها وهذا أيضا محال.

فقد صح أنها ابتدئت وأن الذي جمعها كان موجودا قبلها لم يزل.

مسألة على نفاة الحقائق^(١)

وهم الذين يقولون المذاهب باطلة كلها وإنه لا حق بشيء منها.

فيقال لهم أخبرونا عن مذهبكم هذا أحق هو أم باطل.

(١) هم من فرق الفلسفة السوفسطائية «الحكمة المجهوه» ويقولون إنه لا حقائق واقعا ، لأن الطريق إلى إدراكها هي الحواس الظاهرة الخمسة ، وقد تخطئ ، ومع احتمال خطئها فلا يمكن الجزم بشيء مما تؤديه ، فالجهاز البصري قد نرى به ما ليس بواقع واقعا ، والحاسة الذوقية قد نخدعنا أحيانا ، فالمريض بالحمى يجد الحلو مرا ، والحاسة السمعية قد نخدعنا أيضا فتسمعنا أصواتا غير واقعية ، وحاسة الشم قد تخطئ أيضا عند اختلالها ، وتعطينا رائحة غير واقعية ، وأنه يكفي للشك فيما تؤديه هذه الحواس ولو مرة واحدة.

وتقول هذه الفلسفة إنه لا حقائق للأشياء ، وإنما هي أوهام عارضة ، لأن ما نشاهده يجوز أن يكون على ما نشاهده أو تسمعه أو نبصره أو نشمه ، كما يجوز أن لا يكون كذلك.

ومن مذاهب هذه الفلسفة ، المذهب اللأدري ، القائم على نفي العلم بالحقائق ، وهم يثبتون الحقائق في نفس الواقع ولكنهم ينفون العلم بها ، ويقولون لا ندري.

ومذهب آخر منها يسمى المذهب العندي ، ويقوم على نفي حقائق للأشياء في واقعها ، وإنما واقعها عند معتقديها فقط ، فليس لها حقيقة واحدة في نفس الأمر ، بل حقيقتها عند

كل قوم على حسب اعتقادهم.

ويبدو أن هذا المذهب هو الأساس للفلسفة المثالية التي نادى بها (بركلي) القائلة بأنه لا واقع خارج الذهن والوعي ، وأن الحقائق ليست إلا انعكاسات لوعي الإنسان ، وليست

أشياء مستقلة خارجة عن هذا الوعي.

فإن قالوا هو حق قيل لهم فقد ناقضتم وأوجبتم أن في المذاهب حقا من حيث نفيتم ذلك وإن قالوا ليس مذهبنا حقا وهو باطل قيل لهم فإذا بطل قولكم أنه لا حق في شيء من المذاهب فقد صح أن فيها حقا.

مسألة على مبطلي النظر وحجج العقل

يقال لهم أبنظر أفسدتم النظر أم بالحواس أم بالخبر وبعقل أفسدتم حجة العقل أم بغير عقل؟
فإن قلتم أفسدنا النظر بنظر فقد ناقضتم ورجعتم إلى ما أعبتم وصححتهم النظر من حيث رمتهم إفساده.
وإن قلتم بالحواس قلنا حواسنا كحواسنا وعلوم الحواس لا تختلف فيها فما بالنا لا نعلم من ذلك ما علمتم؟
وإن قلتم بخبر فبأي شيء فصلتم بين هذا الخبر وبين ضده من الأخبار إلا بالعقل والنظر.
فإن قلتم السؤال فقالوا أبنظر صححتهم النظر أم بحس أم بخبر وبعقل أوجبتم حجة العقل أم بغير عقل أو قلتم بالحواس علمنا ذلك؟
قلنا لكم حواسنا كحواسكم وعلوم الحواس ليس فيها اختلاف فما بالنا لا نعلم من صحة أمر النظر والعقل ما علمتم؟
وإن قلتم بالخبر فقد جعلتم الخبر عيارا^(١) على العقل وليس هذا قولكم.
وإن قلتم عرفنا صحة النظر والعقل بالعقل بالنظر والعقل جاز لنا أن نزعم أننا عرفنا صحة الخبر بالخبر.
فالجواب أن يقال لهم إنا عرفنا صحة النظر والعقل بالنظر والعقل وليس يصح لكم مثل ذلك في الخبر لأنكم إن كنتم عرفتم صحة الخبر

(١) أي معيار يقاس به.

بنفسه فيجب أن يكون كل من طرقه الخبر علم صحته حتى لا يوجد الخلف فيه ولسنا نجد ذلك ^(١) وإن قلتم علمنا صحة الخبر بخبر آخر فهذا يؤديكم إلى ما لا يتناهى ^(٢)

فإن قالوا فأنتم إذا عرفتم صحة النظر والعقل بنظر وعقل فقد وجب أن يؤديكم هذا أيضا إلى ما لا يتناهى.

قيل لهم إنا لا نزعم أننا عرفنا صحة النظر والعقل بنظر وعقل غيرهما بل نعرف صحتهما بها.

وذلك أننا نعرف بهما أن كل نظر لزم صاحبه السنن والترتيب ولم يمل به هواه ولا إلفه وعصبيته فهو صحيح وكل علم بني على ما في بداية العقول فغير فاسد فيكون هذا النظر نفسه داخلا فيما شهد بصحته إن كان حكمه ذلك.

فصل ما جاء في الحديث في العقل

أخبرني شيخني أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن علي المعروف بابن الواسطي رضي الله عنه قال أخبرني أبو محمد هارون بن موسى التلعكبري قال أخبرني أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن النوفلي عن السكوني عن الإمام الصادق أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) وخلاصة ذلك أن العلم بصحة الخبر من لوازم ذات الخبر نفسه فينبغي أن لا يختلف اثنان في صحته ، وهو خلاف الواقع على أن هذا من الدور الباطل لتوقف الشيء على نفسه.

(٢) الأولى في الجواب أن يقال أن العلم أو النظر لا بد لإثبات صحته من سبب صحيح معلوم ، ولا يمكن أن يكون بديها دائما وإلا لما جهل ولما وقع الخلاف فيه ، ولا يكون كسبيا نظريا دائما لأنه هو نفسه محتاج إلى سبب صحيح مثبت له أيضا فإن استند إلى كسبي مثله وذهب إلى ما لا نهاية لزم التسلسل وإن رجع لزم الدور ، بل لا بد أن يستند إلى ما هو بديهي بنفسه ومن هنا قيل إن ما بالعرض لا بد أن ينتهي إلى ما بالذات.

إذا بلغكم عن رجل حسن حال فانظروا إلى حسن عقله فإنما يجازى بعقله.
وبإسناده عن الكليني عن أحمد بن محمد عن بعض من رفعه إلى أبي عبد الله عليهم السلام أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
إذا رأيتم الرجل كثير الصلاة كثير الصيام فلا تباهوا به حتى تنظروا عقله.
وبإسناده عن الكليني عن علي بن محمد عن سهل بن زياد عن إسماعيل بن مهران عن بعض رجاله عن أبي عبد الله عليهم السلام أنه قال :
العقل دليل المؤمن.

فصل من كلام أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم في العقل

لا عدة أنفع من العقل ولا عدو أضر من الجهل.

زينة الرجل عقله.

من صحب جاهلا نقص من عقله.

التثبت رأس العقل والحدة رأس الحمق.

غضب الجاهل في قوله وغضب العاقل في فعله.

الأدب صورة العقل فحسن عقلك كيف شئت.

العقول مواهب والآداب مكاسب.

فساد الأخلاق معاشر السفهاء وصلاح الأخلاق معاشر العقلاء.

قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل والعاقل من وعظته التجارب.

رسولك ترجمان عقلك.

لا تأوي من لا عقل له فيكثر ضررك.

ظن الرجل قطعة من عقله.

من ترك الاستماع من ذوي العقول مات عقله.

من جانب هواه صح عقله.

من أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل ومن تكبر على الناس ذل.

إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله.

من لم يكن أكثر ما فيه عقله كان بأكثر ما فيه قتله.

لا جمال أزين من العقل.

عجبا للعاقل كيف ينظر إلى شهوة يعقبه النظر إليها حسرة.

همة العاقل ترك الذنوب وإصلاح العيوب.

الجمال في اللسان والكمال في العقل.

لا يزال العقل والحمق يتغالبان على الرجل إلى ثماني عشرة سنة فإذا بلغها غلب عليه أكثرهما فيه.

ليس على العاقل اعتراض المقادير إنما عليه وضع الشيء في حقه.

العقول أئمة الأفكار والأفكار أئمة القلوب والقلوب أئمة الحواس والحواس أئمة الأعضاء.

فصل من الاستدلال على صحة نبوة رسول الله ص

اعلم أيديك الله أن المتمحلين من الكفار في إبطال نبوة نبينا عليهم السلام قد أداهم الحرص في الإنكار إلى وجوب الإذعان والإقرار وساقهم الخير والقضاء إلى لزوم التسليم والرضا فلا خلاص لهم من ثبوت الحجة عليهم وهم راغمون ولا محيص لهم من وجوب تصديقه وهم صاغرون. وذلك أنهم لم يجدوا طريقا يسلكونها في إنكار حقه من النبوة والدفع لما أتى به من الرسالة إلا بأن أقروا له ببلوغه من كل درجة في الفضل منيفة ومرتبة في الكمال والعقل شريفة ما قد قصر عنه جميع خلق الله وبدون ذلك تجب له الرئاسة والتقدم على الكافة ولا يجوز أن يتوجه إليه ساقط الظنة من قبل التهمة لمنافاتها لما أقروا به في موجب العقل والحكم.

(١) في النسخة (العقل)

وبيان ذلك أنهم إذا سمعوا القرآن الوارد على يده الذي قد جعله علما على صدقه ورأوا قصور العرب عن معارضته وعجزهم عن الإتيان بمثله قالوا إنه كان قد فاق بجميع البلغاء في البلاغة وزاد على سائر الفصحاء في الفصاحة قصر عن مساواته في ذلك الناس كافة ففضلوه بهذا على الخلق أجمعين وقدموه على العالمين.

فإذا تأملوا ما في القرآن من أخبار الماضين والذاكرين وأعاجيب السالفين وذكر شرائع الأنبياء المتقدمين قالوا قد كان أعرف عباد الله بأخبار الناس وأعلمهم بجميع ما حدث وكان في سالف الأزمان قد أحاط بنبي الغابرين وحفظ جميع علوم الماضين ففضلوه بهذه الرتبة على الخلق أجمعين وأوجبوا له التقدم على العالمين.

فإذا رأوا ما تضمنه القرآن من عجيب الفقه والدين وبدائع عبادات المكلفين وترتيب الفرائض وانتظامها وحدود الشريعة وأحكامها قالوا قد كان أحكم أهل زمانه وأفضلهم وأبصرهم بأنواع الحكم وأعلمهم ولم يكن خلق في ذلك يساويه ولا بشر يدانيه ففضلوه بذلك أيضا على الخلق أجمعين وأوجبوا له التقدم على العالمين.

فإذا علموا ما في القرآن من الإخبار بالغائبات وتقديم الإعلام بمستقبل الكائنات وسمعوا ما تواترت به الأخبار من إنبائه لكثير من الناس بما في نفوسهم وإظهاره في الأوقات لمغيب مستورهم قالوا قد كان أعرف الناس بأحكام النجوم وأبصرهم بما تدل عليه في مستأنف الأمور وإن لم يظهر معرفته بها لأمته ونهاهم عن الاطلاع فيها لينتظم له حال نبوته وأنه كان معولا عليها مستندا في أموره إليها قوله لا يجرم وإخباره بالشيء لا يختلف يعلم الحوادث والضمائر ويطلع على الخبايا والسرائر ولا يخفى عليه أوقات المساعد ... ^(١) ولم يكن أحد يعثره ^(٢) في ذلك ففضلوه بهذا أيضا على الخلق أجمعين وأوجبوا له التقدم على العالمين.

(١) هنا كلمة غير واضحة.

(٢) هكذا في النسخة وهي غير واضحة المعنى.

فإذا قيل لهم فما تقولون في المأثور من معجزاته والمنقول من جرائحه ^(١) وآياته الخارقة للعادة التي أقام بها الحجة قال المسلمون منهم لذلك المتعاطون لإخراج معناه كان أعرف الناس بخواص الموجودات وأسرار طبائع الحيوان والحوادث فيظهر من ذلك للناس ما يتحير له من رآه لقصوره عن إدراك سببه ومعناه ففضلوه بهذا أيضا على الخلق أجمعين وأوجبوا له التقدم على العالمين.

وقد سمعنا في بعض الأحاديث أن أحد السحرة قال لموسى عليهم السلام إن هذه العصا من طبيعتها أن تسعى إذا ألقيت وتشكل حيوانا إذا رميت وخاصية لها بسبب فيها.

فقال له موسى على نبينا وﷺ فخذها أنت وارمها قالوا فأخذها الساحر ورمها فما تغيرت عن حالها فأخذها موسى ورمها فصارت حية تسعى.

فقال الساحر ليس السر في العصا وإنما السر فيما ألقاها آمنت بإله موسى.

أفترى لو أخذ أحد المشركين الحصى الذي سبح في كف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتركه في يده أكان يسبح أيضا فيها أم ترى أحدهم لو أشار بيده إلى الشجرة التي أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأنت لكنت تأتية أيضا إذا أومأ إليها وأن هذه الأشياء تفعل بالطبع كما يفعل حجر المغناطيس في الحديد الجذب كلا والحمد لله ما يتصور هذا عاقل فإذا نظروا حسن تمام النظر أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانتظام مراده الذي قصده وأنه نشأ بين قوم يتجاذبون العز والمنعة ويتنافسون في التقدم والرفعة ويأنفون من العار والشنعة ولا يعطون لأحد إمرة ولا طاعة فلم يزل بهم حتى قادهم إلى أمره وساقهم إلى طاعته واستعبدتهم ^(٢) بما لم يكونوا عرفوه وأمرهم بهجران ما ألفوه إلى أن

(١) كذا في النسخة.

(٢) أي تعبدهم.

صاروا يبذلون أنفسهم دون نفسه ويسلمون لقوله ويأتمون لأمره من غير أن كان له ملك خافوه ولا مال أملوه تفتح له البلاد وأذعن له ملوك العباد ونفذ أمره في الأنفس والأموال والحلائل والأولاد.

قالوا إنما تم له ذلك لأنه فاق العالمين بكمال عقله وحسن تدبيره ورأيه ولم يكن ذلك في أحد غيره ففضلوه بهذا أيضا على الخلق أجمعين وأوجبوا له التقدم على العالمين.

فإذا سمعوا المشتهر من عدله ونصفته وحسن سيرته في أمته ورعيته وأنه كان لا يكلف أحدا شيئا في ماله وإذا حصلت المغنم فرقتها في أمته وقنع في عيشه بدون كفايته هذا مع سخاوته وكرمه وإيثاره على نفسه ووفائه بوعده وصدق لهجته واشتهاره منذ كان بأمانته وشريف طريقته وحسن عفوه ومسامحته وجميل صبره وحلمه قالوا كان أزهّد الناس وأعلاهم قدرا في العدل والإنصاف ولا طريق إلى إنكار إحاطته بالفضائل الكرام والمناقب العظام ففضلوه في جميع هذه الأمور على الخلق أجمعين وأوجبوا له التقدم على العالمين.

فإذا قيل لهم فهذه العلوم العظيمة متى أدركها وفي أي زمان جمعها وتلقطها وأي قلب يعيها ويحفظها وهل رأى بشر قط من يحيط بجميع الفضائل ويتقدم العالمين كافة في جميع المناقب ويكون أوحّد الخلق في كمال العقل والتمييز وثاقب الرأي والتدبير مع نزاهة النفس وصفائها ^(١) وجلالها وشرفها وزهدها وفضلها وجودها وبذلها.

قالوا كانت له سعادات فلكية وعطايا نجمية فاق بها على جميع البرية.

قيل لهم فمن يكون بهذا الوصف العظيم والمحلّ الجليل كيف يستجيز عاقل مخالفته أو يسوغ له مباينته وبمن يقتدى أفضل منه ومتى يكون مصيبا في الانصراف عنه.

(١) في النسخة وصلفها.

بل كيف لا يرضى بعقل أعقل الناس ويؤخذ العلم من أعلم الناس ويقتبس الحكمة من أحكم الناس؟ وما الفرق بينكم في قولكم إن هذه العطايا التي حصلت له إنما كانت فلكية ونجمية وبيننا إذا قلنا إلهية ربانية؟ وبعد فكيف يستجيز من يكون بهذا العقل الكامل والفضل الشامل والورع الظاهر والزهد الباهر والشرف العريق واللسان الصدوق أن يكذب على خالق السماوات والأرضين فيقول للناس أنا رسول رب العالمين ويدعي هذا المقام الجليل ويكون بخلاف ما يقول؟ وكيف تلائم صفاته التي سلمتموها لهذه الحال التي ادعيتموها فدعوا المناقضة والمكابرة وأثبتوا على ما أقررتم به في المناظرة فكلامكم لازم لكم وقولكم حجة لكم عليكم قد أقررتم بالحق وأنتم راغمون والتجأتم إلى ما هربتم منه وأنتم صاغرون. واعلموا أن من باين المسعود كان منحوسا ومن خالف العاقل العالم كان جاهلا غيبا ومن كذب الصادق كان هو في الحقيقة كاذبا والحمد لله مقيم الحجة على من أنكرها وموضح الحجة لمن آثرها.

فصل مما في التوراة يتضمن البشارة بنبينا صلى الله عليه وآله وسلم وبأمته المؤمنين

في التوراة مكتوب إذا جاءت الأمة الأخيرة تتبع راكب البعير يسبحون الرب تسييحا جديدا في الكنائس الجدد فليفرح بنو إسرائيل ويسيروا إلى صهيون ولتطمئن قلوبهم لأن الله اصطفى منهم في الأيام الأخيرة أمما جديدة يسبحون الله بأصوات عالية بأيديهم ذات شفرتين فينتقمون لله من الأمم الكافرة في جميع أقطار الأرض.

فمن ترى راكب البعير غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن الأمم الأخيرة المسيحة تسييحا جديدا غير أمته؟

ومن الذين أتوا وفي أيديهم السيوف غير ناصريه والمتبعين لدعوته؟

وفي التوراة أيضا مكتوب في السفر الخامس :

الرب ظهر فتجلى على سنين وأشرف على جبل ساعير وأشرف من جبل فاران وأتى من ربوات القدس من يمينه نار شريعة لهم. ^(١)
وجبال فاران جبال مكة وظهور الرب أنما هو ظهور أمره.

فصل في الإنجيل

وفي الإنجيل اليوم مكتوب :

ابن البشر ذاهب والفارقليط أتى من بعده وهو الذي يجلي لكم الأسرار ويعيش لكم كل شيء وهو يشهد لي كما شهدت له فياني أنا جئتكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل.

ومن قول شعيا النبي عليهم السلام :

قال لي إله إسرائيل أقم على المنطرة فانظر ما ذا ترى فإذا رأيت راكبين يسيران أضاءت لهما الأرض أحدهما على حمار والآخر على جمل فقال ويل لبابل كل صنم بها يكسر ويضرب به الأرض.

ومن قول يوشع النبي عليهم السلام :

رأيت راكبين يسيران أضاءت لهما الأرض أحدهما على حمار والآخر على جمل.

فراكب الحمار عيسى عليهم السلام وراكب الجمل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن قول دانيال النبي عليهم السلام :

جاء الله بالبيان من جبل فاران وامتألت السماوات والأرض من تسبيح محمد وأمته

(١) سفر التثنية ٣٣ : ١ = ٣ باختلاف في بعض ألفاظه حسب الترجمة انظر : إظهار الحق للهندي هامش المعلق صلى الله عليه وآله وسلم ٥١ ٧.

وقال أيضا :

يأتينا كتاب جديد بعد خراب بيت المقدس فما الكتاب الجديد إلا القرآن.

ومن قول داود عليهم السلام :

اللهم ابعث إلينا مقيم السنة بعد الفترة

فمن أقامها غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

ومن ذلك تأويل دانيال لرؤيا بخت نصر ملك بابل حيث قال :

رأيت في المنام صنما رأسه من ذهب وصدرة وذراعه من فضة بطنه وفخذه من نحاس وركبته وساقاه من حديد وفيه خلط قليل من فخار.

ثم رأيت بعد ذلك حجرا انقطع من جبل عظيم بغير يد إنسان فضرب ذلك الصنم الذي فيه الصور الكثيرة فكسره ثم جعله مثل الرماد في يوم ريح

ثم عظم الحجر بعد ذلك حتى رأيت الأرض قد امتلأت منه.

فقال له دانيال :

أما الصنم الذي فيه الصور الكثيرة فهم الملوك الذين مضوا في سائر الأحقاب والذين يكونون على مر الأيام.

وأما الحجر الذي يجيء في آخر الزمان خاتم الأنبياء وأما امتلاء الأرض منه فهم الذين يتبعونه ويؤمنون به. ^(١)

فصل من أخبار الوافدين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للإسلام وما رأوه قبل قدومهم من الأعلام وما شاهدوه من أحوال

الأصنام

فمن ذلك خبر أهبان بن أنس الأسلمي.

روي أن ذئبا شد على غنم لأهبان بن أنس فأخذ منها شاة فصاح به

(١) انظر : إظهار الحق صلى الله عليه وآله وسلم ٥٣٠ البشارة الحادية عشرة في الإصحاح الثاني من سفر دانيال مع اختلاف حسب الترجمة.

فخلّاهما ثم نطق الذئب فقال أهبان سبحان الله ذئب يتكلم فقال الذئب أعجب من كلامي أن محمدا يدعو الناس إلى التوحيد بيثرب ولا يجاب.

فساق أهبان غنمه وأتى المدينة فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما رآه فقال خذ هذه غنمي طعمة لأصحابك.

فقال أمسك عليك غنمك فقال لا والله لا أسرحها أبدا بعد يومي هذا.

فقال اللهم بارك عليه وبارك له في طعمته فأخذها أهل المدينة فلم يبق في المدينة بيت إلا أناله منها. ^(١)

وخبّر ذباب

ذكروا أنه كان لسعد العشيرة صنم يقال له فراص وكانوا يعظمونه وكان سادنه رجل من بني أنس الله بن سعد العشيرة يقال له ابن وقشة فحدث رجل من بني أنس الله يقال له ذباب بن الحرث بن عمرو قال كان لابن وقشة ربيء من الجن يخبر بما يكون فأتاه ذات يوم فأخبره قال فنظر إلي وقال يا ذباب أسمع العجب العجيب بعث أحمد بالكتاب يدعو بمكة لا يجاب.

قال فقلت ما هذا الذي تقول؟

قال ما أدري هكذا قيل لي.

قال فلم يكن إلا قليل حتى سمعنا بخروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقام ذباب إلى الصنم فحطمه ثم أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأسلم

على يده وقال بعد إسلامه

تبعــــــــــــــــت رــــــــــــــــســــــــــــــــول الله إذ جــــــــــــــــاء بالهــــــــــــــــدى وخلفــــــــــــــــت فراصــــــــــــــــا بأرض هــــــــــــــــوان

(١) ذكر قصة أهبان أبو الحسن الماوردي في أعلام النبوة صلى الله عليه وآله وسلم ٩٤ ، مختلفة في أسلوها ببعض الاختلاف وفيها بدل المدينة مكة وليس فيها قوله سبحان الله وذكر قصة أخرى مماثلة وقعت مع عمير الطائي رواها عن أبي سعيد الخدري.

شددت عليه شدة فتركته
ولما رأيت الله أظهر دينه
فمن مبلغ سعد العشيرة أني
كأن لم يكن والدمر ذو حدثن
أجبت رسول الله حين دعاني
شريت الذي يبقى بأخر فان

وخبر زمل بن عمرو العدوي

روي أنه كان لبني عذرة صنم يقال له حمام وكانوا يعظمونه وكان في بني هند بن حزام وكان سادنه رجل منهم يقال له طارق وكان يعقرون عنده العقائر.

قال زمل بن عمرو العدوي فلما ظهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمعنا منه صوتا وهو يقول يا بني هند بن حزام ظهر الحق وأودى حمام ودفع الشرك بالإسلام.

قال ففزعنا لذلك وهالنا فمكثنا أياما ثم سمعنا صوتا آخر وهو يقول :
يا طارق بعث النبي الصادق بوحى ناطق صدع بأرض تامة لناصريه السلامة ولخاذليه الندامة هذا الوداع إلى يوم القيامة ثم وقع الصنم لوجهه. ^(١)

قال زمل فخرجت حتى أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعى نفر من قومي فأخبرناه بما سمعناه فقال ذلك كلام مؤمن من الجن.
ثم قال يا معشر العرب إني رسول الله إلى الأنام كافة أدعوكم إلى عبادة الله وحده وإني رسوله وعبدته وأن تحجوا البيت وتصوموا شهرا من اثني عشر شهرا وهو شهر رمضان فمن أجابني فله الجنة نزلا وثوابا ومن عصاني كانت له النار منقلبا وعقابا.

(١) ورد هذا الخبر مختصرا في مناقب آل أبي طالب ج ١ صلى الله عليه وآله وسلم ٧٧.

قال فأسلمنا وعقد لي لواء وكتب لي كتابا فقال زمل عند ذلك :

إليك رسول الله أعلمت نصيها	أكلفها حزننا وفوزنا من الرمل
لأنصر خير الناس نصرا مؤزرا	وأعقد حبلنا من حبالك في حبلني
وأشهد أن الله لا ششي غييره	أدين له ما أثقلت قدمي نعلي

خبر عمرو بن مرة الجهني :

ذكروا أن عمرو بن مرة كان يحدث فيقول :

خرجت حاجا في الجاهلية في جماعة من قومي فرأيت في منامي وأنا في الطريق كان نورا قد سطع من الكعبة حتى أضاء إلى نخل يثرب وجبلي جهينة الأشعر والأجرد وسمعت في النوم قائلا يقول :

تفشعت الظلماء وسطع الضياء وبعث خاتم الأنبياء.

ثم أضاء إضاءة أخرى حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن وسمعتة يقول :

أقبل حق فسطع ودفع باطل فانقمع.

فانتبهت فرعا وقلت لأصحابي والله ليحدثن بمكة في هذا الحي من قريش حدث.

وكان لنا صنم فكنت أنا الذي أسدنه فشددت عليه فكسرتة وخرجت حتى قدمت عليه مكة فأخبرته فقال :

يا عمرو بن مرة أنا النبي المرسل إلى العباد كافة أدعوهم إلى الإسلام وأمرهم بحفظ الدماء وصلة الأرحام وعبادة الرحمن ورفض الأوثان وحج البيت

وصوم شهر رمضان فمن أصاب فله الجنة ومن عصى فله النار فأمن بالله يا عمرو بن مرة تأمن يوم القيامة من النار.

فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله آمنت بما جئت به من حلال وحرام وأن أرغم ذلك كثيرا من الأقوام وأنشأت أقول

ش_____هدت بأن الله ح_____ق وإن_____ني لآله_____ة الأحج_____ار أول تارك
وشم_____رت ع_____ن س_____اقي الإزار مه_____اجرا إليك أجوب الوعث بعـد الدكادك
لأص_____حب خير الناس نفسا ووالدا رسول مليك الناس فوق الحباءك
ثم قلت يا رسول الله ابعتني إلى قومي لعل الله تبارك وتعالى يمن عليهم كما من علي بك فبعثني فقال عليك بالرفق والقول السديد ولا تك فظا ولا غليظا ولا مستكبرا ولا حسودا.

فأتيت قومي فقلت يا بني رفاعة بل يا جهينة إني رسول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليكم أدعوكم إلى الجنة وأحذركم النار يا معشر جهينة إن الله وله الحمد قد جعلكم خيار من أنتم منه وبغض إليكم في جاهليتكم ما حبيت إلى غيركم من العرب الذين كانوا يجمعون بين الأختين ويخلف الرجل منهم على امرأة أبيه وأغارت في الشهر الحرام فأجيبوا هذا الذي من لؤي أتانا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة وسارعوا في أمره يكن بذلك لكم عنده فضيلة.
قال فأجابوني إلا رجل منهم فإنه قام فقال يا عمرو بن مرة أمر الله عيشك أتأمرنا برفض آلهتنا وتفريق جماعتنا ومخالفة دين آبائنا ومن مضى من أوائلنا إلى ما يدعوك إليه هذا المضري من أهل تهامة لا ولا حبا ولا كرامة ثم أنشأ يقول :

إن اب_____ن م_____رة ق_____د أت_____ى بمقال_____ة ليست مقال_____ة م_____ن يري_____د ص_____لاحا
إني لأحسب قول_____ه وفعال_____ه يوما وإن ط_____ال الزم_____ان ذبا_____حا^(١)

(١) يريد به الهلاك.

أتسلفه الأشـيـاخ مـن قـد مـضى مـن رـام ذلـك لا أصـاب فـلاحـا
فقال له عمرو الكذاب مني أو منك أمر الله عيشه وأبكم لسانه وأكمه إنسانه قال عمرو فو الله لقد عمي وما مات حتى سقط فوه وكان لا يقدر
على الكلام ولا يبصر شيئا وافتقر واحتاج.

وخبر ركانة وما فيه من الآية

كان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف أشد قريش وأقواهم فخلا يوما برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شعاب مكة
فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا ركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه فقال له ركانة إني لو أعلم الذي تقول حقًا لاتبعتك قال فقال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم أفرأيت أن صرعتك أتعلم أن ما أقول حق قال نعم قال فقم حتى أصارحك فقام ركانة إليه فلما بطش به رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم أضجعه لا يملك من نفسه شيئا فقال ركانة وقد عجب من ذلك عد يا محمد فعاد فصرعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دفعة أخرى
فاستعظم ذلك وقال يا محمد ذا العجب فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعجب من ذلك إن شئت أريكه إن اتقيت الله واتبعته أمري قال ما
هو قال أدعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأتينني قال فادعها فدعاها فأقبلت حتى وقفت.

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال لها ارجعي إلى مكانك فرجعت حتى وقفت فذهب ركانة إلى قومه فقال يا بني عبد مناف
ساحروا بصاحبكم أهل الأرض فو الله ما رأيت أسحر منه قط.

ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع. ^(١)

وخبر أبي تيممة الهجيمي.

(١) قصته موجودة في سيرة ابن هشام ج ١ صلى الله عليه وآله وسلم ٤١ ٨.

قال أبو تيمية :

وفدت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوجدته قاعدا في حلقة فقلت أيكم رسول الله فلا أدري أشار إلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أنا رسول الله أو أشار إلي بعض القوم فقالوا هذا رسول الله وإذا عليه بردة حمراء تتناثر هديها على قدميه فقلت إلى ما تدعو يا رسول الله قال أدعوك إلى الذي إذا كنت بأرض فلاة فأضللت راحلتك فدعوته أجابك وأدعوك إلى الذي إذا استنت أرضك أو أجذبت فدعوته أجابك.

قال فقلت وأبيك لنعم الرب هذا فأسلمت وقلت يا رسول الله علمني مما علمك الله تبارك وتعالى فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

اتق الله لا تحقرن شيئا من المعروف ولو أن تلقى أخاك ووجهك مبسوط إليه وإياك وإسبال الإزار من المخابلة قال الله تبارك وتعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ سورة القمان : ١٨

ولا تسبن أحدا وإن سبك بأمر لا يعلم فيك فلا تسبه بأمر تعلمه فيه فيكون لك الأجر وعليه الوزر.

وخبر أهيـب بن سماع :

وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يوما جالسا في نفر من أصحابه وقد صلى الغداة فإذا أقبل أعرابي على ناقه له حتى وقف بباب المسجد فأناخها ثم عقلها ودخل المسجد يتخطى الناس والناس يوسعون له وإذا هو رجل مديد القامة عظيم الهامة معتجر بعمامة فلما مثل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسفر عن لثامه ثم هم أن يتكلم فارتج حتى اعترضه ذلك ثلاث مرات.

فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد ركب الزمعه لها عنه بالحديث ليذهب عنه

(١) أي قحطت.

(٢) في النسخة : ووجهك مبسوطة إليك

(٣) أي أخذه الدهش.

بعض الذي أصابه وقد كسا الله نبيه جلاله وهيبه فلما أنس وفرخ روعه ^(١) قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم قل لله أنت ما أنت قائل.
فأنشأ يقول :

رب يوم يعي الألد المـداري	شـره حاضـر يـروع الرـجـالا
قمتـه فـانجلى ولـو قـام فـيـه	مـسـجل الجـن مـا أـطـاق المـقـالا
جئت بالافتـدار في ذات نفسـي	إنـني أفـهـر ^(٢) الرـفـاء والكـالا
فأنثـت حـدي وفـلت شـبـاتي	والهـدى يقـهـر العـمـى والضـالا
لم أضـق بالكـلام ذرعـا ولكـن	شـدة البـغـي يـسـتـجـير الحـبالا ^(٣)

قال فاستوى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالسا وكان متكئا فقال أنت أهيب بن سماع ولم يره قط قبل وقته ذاك فقال أنا أهيب بن سماع
الأبي الدفاع القوي المناع.

قال أنت الذي ذهب جل قومك بالغارات ولم ينفضوا رءوسهم من الهفوات إلا منذ أشهر وسنوات؟
قال أنا ذاك قال أفتذكر الأزمة التي أصابت قومك احرنجم لها الذبح وأخلف نوء المرنج وأمشعت السماء وانقطعت الأنواء واحتترقت الغمة وخفت
البرية حتى أن الضيف لينزل بقومك وما في الغنم عرق ولا غرر فترصدون الضب المكنون فتصيدونه.

(١) أي ذهب فزعه.

(٢) هكذا في النسخة ولعل كلمة الرفا تصحيف العنا أو الفلا.

(٣) هكذا في النسخة.

وكأنك في طريقك إلي لتسألني عن جل ذلك وعن حرجه ألا ولا حرج على مضطر ومن كرم الأخلاق بر الضيف.

قال فقال لا والله لا أطلب أثرا بعد عين لكأنك كنت معي في طريقي أو شريكي في أمري أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك محمد رسول الله ثم قال يا رسول الله زدني شرحا وبيانا أزدد بك إيمانا.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتذكر إذ أتيت صنمك في الظهيرة فمرت له العشرة؟

قال نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله إن الحرث بن أبي ضرار المصطلقى جمع لك جموعا ليدهمك بالمدينة واستعان بي على حربك وكان لي صنم يقال له راقب فرقت خلوته وقممت ساحتة^(١) ثم نفضت التراب عن رأسه ثم عترت له عتيرة فإني لأستخيره في أمري وأستشيره في حربك إذ سمعت منه صوتا هائلا فوليت عنه هاربا وهو يقول كلاما في معنى كلامه الأول قال فلما كان من غد ركبت ناقتي ولبست لامتي وتكبدت الطريق حتى أتيتك فأمر لي سراجك وأوضح لي منهاجك.

قال قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإني محمد عبده ورسوله فقلها غير مستتكف وأسلم وحسن إسلامه ووقر حب الإسلام في قلبه.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام خذ بيده فعلمه القرآن فأقام عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما حذق شيئا من القرآن قال يا نبي الله أن الحرث بن أبي ضرار المصطلقى قد جمع لك جموعا ليدهمك بالمدينة فلو وجهت معي قوما بسرية نشن عليهم الغارة فوجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم معه أمير المؤمنين عليهم السلام وجماعة من المسلمين فظفروا بهم واستاقوا إبلهم وماشييتهم.

وأهيب الذي يقول في إسلامه :

(١) أي كنس قمامة ساحتة وهي الكناسة ، فيقال قم البيت كما أي كنسه.

(٢) هي الذبيحة التي تقدم للأصنام ويصب دمها على رأسها.

جبت الفلاة على حرف ^(١) مبادرة
لا تشـتـكي للـذي جابت جوانبـه
خطـر فـنـها والثـريا الـنـجم واقـفة
أو كالجـمـان زهـاني صـدر جاريـة
سـارت ثـلاثـا فوافـت بـعد ثـالثـة
فـيـها النـبي الـذي لـاحـت حـقائـقـه
حلـو الشـمائل مـيمـون نـقيـبـه
لا يـنـثـني وسـعـير الحـرب مـضـرمة
والحـرب حـامـية والهـمـام راسـية

خطـارة تصـل إلـى الإرقـال بالخبـب ^(٢)
ومـا تأتـي لأـيـن ^(٣) السـير والتعـب
كأنـها قـطـف مـلاح مـن العـنب
مـطـورة بنـظـام الـسـدر والـذهب
ذات المـناهل أرض النـخل والكـرب ^(٤)
في معـشـر بسـقوا في ذررة الحـسـب
محـض الضـرائب حـيـاد عـن الكـذب
تحـش ^(٥) بالنـبـل والأرـمـاح والقـضـب
والـمـوت يـخـتـطف الأرواح مـن كـثـب

(١) هي الناقة الضامرة.

(٢) الإرقال والخبب نوعان من السير.

(٣) الأين : الإعياء.

(٤) في النسخة ممطرة ومعها لا يستقيم الوزن.

(٥) هي أصول سعف النخل.

(٦) أي توقد.

هناك تخبـو إذا ما راس^(١) أخمصه سماحه لعظم الهـول والرهـب
داخت^(٢) رقاب الـورى من هـول رؤيته إذا بدا لهم في الموكب اللجب

فصل من كلام سيدنا رسول الله ص

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وأوثق العرى كلمة التقوى وخير الملل ملة إبراهيم وخير السنن سنة محمد وأشرف الحديث ذكر الله وأحسن القصص هذا القرآن وخير الأمور عوامها وشر الأمور محدثاتها وأهدى الهدى هدى الأنبياء وأشرف الموت قتل الشهداء وأعمى العمى ضلالة بعد الهدى وخير العمل ما نفع وخير الهدى ما اتبع واليد العليا خير من اليد السفلى وما قل وكفى خير مما كثر وألهى وشر المعذرة عند حضرة الموت وشر الندامة ندامة يوم القيامة.

ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا نزرا ولا يذكر الله إلا هجرا.

ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب وخير الغنى غنى النفس وخير ﴿الزَّادِ التَّقْوَى﴾ ورأس الحكمة مخافة الله وخير ما ألقى في القلب اليقين.

والارتياح من الكفر والنياحة من عمل الجاهلية والغلول^(٤) من جمر جهنم والسكر من النار والشعر من إبليس والخمر جماعة الإثم والنساء حبائل الشيطان والشباب شعبة من الجنون وشر الكسب كسب الربا وشر المال أكل مال اليتيم والسعيد من وعظ بغيره والشقي شقي في بطن أمه.

(١) و (٢) هكذا في النسخة.

(٣) أي ذلت.

(٤) هو السرقة والخيانة في شيء.

وإنما يصير أحدكم موضع ذراع والأمر إلى آخره وملاك الأمر خواتمه وشر الروايات روايات الكذب وكل ما هو آت قريب وسباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وأكل لحمه من معصية الله وحرمة ماله كحرمة دمه ومن يتأل على الله يكذبه ومن يستغفر الله يغفر له ومن يتبع المستمع يستمع الله به ومن يعف الله عنه ومن يكظم الغيظ يؤجره الله ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ومن يصم يضاعف الله أجره ومن يعص الله يعذبه.

ومن كلامه صلى الله عليه وآله وسلم قوله :

إنكم في زمان من ترك عشر ما أمر به هلك وسيأتي على الناس زمان من عمل بعشر ما أمر به نجا.

ومن كلامه عليهم السلام قوله استحيوا من الله حق الحياء.

قيل له يا رسول الله إنا لنستحيي فقال ليس كذلك من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى وليذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا فممن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء.

وقال عليهم السلام :

حب الدنيا رأس كل خطيئة.

وقال :

إنكم لا تنالون ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون ولا تبلغون ما تأملون إلا بترك ما تشتهون.

فصل من البيان والسؤال

إن سأل سائل عن أول ما فرض الله عليك.

فقل النظر المؤدي إلى معرفته.

فإن قال لم زعمت ذلك؟

فقل لأنه سبحانه قد أوجب معرفته ولا سبيل إلى معرفته إلا بالنظر في الأدلة المؤدية إليها.
فإن قال فإذا كانت المعرفة بالله عَزَّوَجَلَّ لا تدرك إلا بالنظر فقد أصبح المقلد غير عارف بالله.
فقل هو ذاك.

فإن قال فيجب أن يكون جميع المقلدين في النار.

فقل إن العاقل المستطيع إذا أهمل النظر والاعتبار واقتصر على تقليد الناس فقد خالف الله تعالى وانصرف عن أمره ومراده ولم يكفه تقليده في أداء فرضه واستحق العقاب على مخالفته وتفريطه غير أنا نرجو العفو عمن قلد الحق والتفضل عليه ولا نرجوه لمن قلد المبطل ولا نعتقده فيه.
وكل مكلف يلزمه من النظر بحسب طاقته ونهاية إدراكه وفطنته.

فأما المقصر الضعيف الذي ليس له استنباط صحيح فإنه يجزيه التمسك في الجملة بظاهر ما عليه المسلمون.

فإن قال كيف يكون التقليد قبيحا من العقلاء المميزين وقد قلد الناس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخبر به عن رب العالمين ورضي بذلك عنهم ولم يكلفهم ما تدعون.

فقل معاذ الله أن نقول ذلك أو نذهب إليه ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يرض من الناس التقليد دون الاعتبار وما دعاهم إلا إلى الاستدلال ونبههم عليه بآيات القرآن من قوله سبحانه وتعالى :

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾. الاعراف : ١٨٥

وقوله :

(١) في النسخة (والفضل).

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ آل عمران : ١٩٠ .

وقوله :

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ . الذاريات : ٢٠ . ٢١ .

وقوله :

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ . الغاشية : ١٩ ٣٢

ونحن نعلم أنه ما أراد بذلك إلا نظر الاعتبار فلو كان عليهم السلام إنما دعا الناس إلى التقليد ولم يرد منهم الاستدلال لم يكن معنى لنزول هذه الآيات .

ولو أراد أن يصدقوه ويقبلوا قوله تقليدا بغير تأمل واعتبار لم يحتج إلى أن يكون على ما ظهر من الآيات والمعجزات .

فأما قبول قوله صلى الله عليه وآله وسلم بعد قيام الدلالة على صدقه فهو تسليم وليس بتقليد .

وكذلك قبولنا لما أتت به أئمتنا عليهم السلام ورجوعنا إلى فتاويهم في شريعة الإسلام .

فإن قال فابن لنا ما التقليد في الحقيقة وما التسليم ليقع الفرق والبيان .

فقل التقليد هو قبول قول من لم يثبت صدقه وهذا معنى التقليد لا يكون إلا عن بينة وحجة .^(١)

فصل من كلام جعفر بن محمد الصادق عليهم السلام مما حفظ عنه في وجوب المعرفة بالله ﷻ وبدينه

قوله وجدت علم الناس في أربع :

(١) ومن جوابه هذا يظهر معنى التسليم وهو الأخذ بقول من ثبت صدقه وأصبح حجة بذاته .

أحدها أن تعرف ربك.

والثاني أن تعرف ما صنع بك.

والثالث أن تعرف ما أراد منك.

والرابع أن تعرف ما يخرجك عن دينك ^(١).

قال شيخنا المفيد رحمته الله

هذه أقسام تحيط بالمفروض من المعارف لأنه أول ما يجب على العبد معرفة ربه جل جلاله فإذا علم أن له إلها وجب أن يعرف صنعه وإذا عرف صنعه عرف به نعمته فإذا عرف نعمته وجب عليه شكره فإذا أراد تأدية شكره وجب عليه معرفة مراده ليطيعه بفعله وإذا وجب عليه طاعته وجب عليه معرفة ما يخرج به عن دينه ليتجنبه فتخلص له به طاعة ربه وشكر إنعامه.

أنشدني بعض أهل هذا العصر لنفسه

والزم من الدين ما قام الدليل به	فإن أكثر دين الناس تقليد
فكلما وافق التقليد مختلف	زور وإن كثرت فيهم الأسانيد
وكل ما نقل الأحاد من خبر	مخالف لكتاب الله مردود

فصل آخر من السؤال والبيان

إن سأل سائل فقال

ما نعمة الله تعالى عليك؟

فقل خلقه إياي حيا لينفعني.

فإن قال ولم زعمت أن خلقه إياك حيا أول النعم؟

(١) تجد هذا الحديث مرويا في إرشاد المفيد صلى الله عليه وآله وسلم ٢٥٩.

فقل لأنه خلقتني لنفعي ولا طريق لنيل النفع إلا بالحياة التي يصح معها الإدراك.

فإن قال ما النعمة؟

فقل هي المنفعة إذا كان فاعلها قاصدا لها.

فإن قال ما المنفعة؟

فقل هي اللذة الحسنة أو ما يؤدي إليها.

فإن قال لم شرطت أن تكون اللذة حسنة؟

فقل لأن من اللذات ما لا يكون حسنا.

فإن قال لم قلت أو ما يؤدي إليها؟

فقل لأن كثيرا من المنافع لا يتوصل إليها إلا بالمشاق كشرب الدواء الكريه والفصد ونحو ذلك من الأمور المؤدية إلى السلامة واللذات فتكون هذه

المشاق منافع لما يؤدي إليه في عاقبة الحال.

ولذلك قلنا إن التكليف نعمة حسنة لأنه به ينال مستحق النعيم الدائم واللذات.

فإن قال فما كمال نعم الله تعالى؟

فقل إن نعمة تتجدد علينا في كل حال ولا يستطاع لها الإحصاء.

فإن قال فما تقولون في شكر المنعم؟

فقل هو واجب.

فإن قال فمن أين عرفت وجوبه؟

فقل من العقل وشهادته وواضح حجته ودلالته.

ووجوب شكر المنعم على نعمته مما تتفق العقول عليه ولا تختلف فيه.

فإن قال فهل أحد من الخلق يكافئ نعم الله تعالى بشكر أو يوفي حقها بعمل؟

فقل لا يستطيع أحد من العباد من قبل أن الشيء إنما يكون كفوا لغيره

إذا سد مسده وناب منابه وقابله في قدره ومائله في وزنه.

وقد علمنا أنه ليس شيء من أفعال الخلق تسد مسد نعم الله عليهم لاستحالة الوصف لله تعالى بالانتفاع أو تعلق الحوائج به إلى المجازاة وفساد مقال من زعم أن الخلق يحيطون علما بغاية الإنعام من الله تعالى عليه والإفضال فيتمكنون من مقابلتها بالشكر على الاستيفاء للواجب والإتمام. فيعلم بهذا تقصير العباد من مكافأة نعم الله تعالى عليهم ولو بذلوا في الشكر والطاعات غاية المستطاع وحصل ثوابهم في الآخرة تفضلا من الله تعالى عليهم وإحسانا إليهم.

وإنما سميناه استحقاقا في بعض الكلام لأنه وعد به على الطاعات وهو الموجب له على نفسه بصادق وعده وإن لم يتناول شرط الاستحقاق على الأعمال.

وهذا خلاف ما ذهب إليه المعتزلة إلا أبا القاسم البلخي^(١) فإنه يوافق في هذا المقال وقد تناصرت به مع قيام الأدلة العقلية عليه الأخبار.^(٢) أخبرني شيخنا المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي رضوان الله عليه إجازة قال أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه عن محمد بن يعقوب الكليني عن عدة من أصحابه عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن محبوب عن داود بن كثير عن أبي عبيدة الحذاء عن أبي جعفر عليهم السلام قال قال رسول الله (ص) :

(١) في النسخة إلا أبو الصحيح أبا لأنه استثناء من موجب

(٢) اتفق أهل العدل على أن المؤمن الذي عمل عملا صالحا يدخل الجنة خالدا فيها ، واختلفوا في أن هذا الثواب هل هو على جهة الاستحقاق والمعاوضة بينه وبين العمل أم تفضل من المولى تعالى قال أكثر المعتزلة بالأول اعتمادا على قبح الثواب مع عدم الاستحقاق ولأن التكليف حينئذ لغو ، وذهب البلخي والمعتزلة والمفيد وجماعة من الإمامة إلى الثاني عملا بطبيعة المولى والعبد إذ لا يجب على المولى بإزاء العبد بشيء إذا أطاعه ، ولأنه يكفى في صحة التكليف وحسنه عقلا سبق المنعم على المكلف المستتبعه لوجوب شكر المنعم بالطاعة ، وللإخبار المؤيدة لحكم العقل ، التي ذكر المؤلف بعضها منها.

قال الله تعالى لا يتكل ^(١) العاملون على أعمالهم التي يعملونها لثوابي فإنهم لو أجمعوا وأتعبوا أنفسهم وأعمارهم في عبادتي كانوا مقصرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون من كرامتي والنعيم في جنائي ورفيع الدرجات العلى في جوارى ولكن برحمتي فليثقوا وفضلتي فليرجوا وإلى حسن الظن بي فليطمئنوا فإن رحمتي عند ذلك تدركهم وبمني أبلغهم رضواني ومغفرتي وألبسهم عفوي فيني الله الرحمن الرحيم بذلك تسميت.

أخبرني شيخنا المفيد رحمته الله قال أخبرني أبو الحسن أحمد بن الحسن بن الوليد عن أبيه عن محمد بن الحسن الصفار عن علي بن محمد القاشاني عن القاسم بن محمد الأصبهاني عن سليمان بن خالد المنقري عن سفيان بن عيينة عن حميد بن زياد عن عطاء بن يسار عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام قال :

يوقف العبد بين يدي الله تعالى فيقول قيسوا بين نعمي وبين عمله فتغرق النعم العمل فيقول هبوا له النعم وقيسوا بين الخير والشر منه فإن استوى العملان أذهب الله الشر بالخير وأدخل الجنة وإن كان له فضل أعطاه الله بفضله وإن كان عليه فضل وهو من أهل التقوى لم يشرك بالله تعالى واتقي الشرك به فهو من أهل المغفرة يغفر الله له برحمته ويتفضل عليه بعفوه.

وأخبرني أيضا شيخنا المفيد رحمته الله قال أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد عن محمد بن محمد بن يعقوب عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن محبوب عن سعد بن خلف عن أبي الحسن عليهم السلام أنه قال :

عليك بالجد ولا تخرج نفسك من حد التقصير في عبادة الله وطاعته فإن الله تعالى لا يعبد حق عبادته.

(١) في النسخة (لا يتكلوا).

شبهة للبراهمة في النبوة^(١)

اعتلت البراهمة في إبطال الرسالة بأن قالت :

ليس يخلو أمر الرسول من حالين :

إما أن يأتي ما يدل عليه العقل أو بخلافه فإن أتى بما في العقل كان من كمل عقله غنيا عنه لأن الذي يأتيه مستقر عنده موجود في عقله.
وإن أتى بخلاف ما في العقل فالواجب رد ما يأتيه به لأن الله تعالى إنما خلق العقول للعباد ليستحسنوا بها ما استحسننت ويقرؤا بما أقرت وينكروا ما أنكرت.

نقض يقال لهم إن الرسول لا يأتي أبدا بما يخالف العقل غير أن الأمور في العقول على ثلاثة أقسام واجب وممتنع وجائز.

فالواجب في العقل يأتي السمع بإيجابه تأكيدا له عند من علمه وتنبيهها عليه لمن لم يعلمه.

والجائز هو الذي يمكن في العقل حسنه تارة وقبحه تارة كانتفاع الإنسان بما يتملكه غيره فإنه يجوز أن يكون حسنا إذا أذن له فيه مالكة وقبيحا إذا

لم يأذن له وكل واحد من القسمين جائز في العقل لا طريق إلى القطع على أحدهما إلا بالسمع.

ومن الأمور التي لا يصل العقل إليها أيضا فيها إلى القطع على العلم بأدوية الأعلال ومواضعها وطبائعها وخواصها ومقاديرها التي يحتاج إليه منها

وأوزانها.

فهذا مما لا سبيل للعقل فيه إلى حقيقة العلم وليس يمكن امتحان كل ما في البر والبحر ولا تحسن التجربة والسير لما فيها من الخطر المستقبح.

فعلم أن هذا مما لا غناء فيه عن طارق السمع.

(١) هم أكثر الهندوس في الهند ينتسبون إلى برهام وهم أهل نخل عديدة ولهم شبهات على إرسال الرسل وإبطال النبوات وتجد شرح مذاهبيهم في الملل والنحل.

وبعد فإن شكر المنعم عندنا وعند البراهمة مما هو واجب في العقل وليس في وجوبه ووجوب تعظيم مبدأ النعمة خلاف وشكر الله تعالى وتعظيمه أوجب ما يلزمنا لعظيم أياديه لدينا وإحسانه إلينا.

ولسنا نعلم بمبلغ عقولنا أي نوع يريده من تعظيمنا له وشكرنا هذا مع الممكن من لطف يكون ^(١) في نوع من ذلك لنا لا يعلمه إلا خالقنا. ثم يقال للبراهمة أيضا :

لو لم يكن في العقل القسم الجائر الذي ذكرناه وكانت الأشياء لا تخلو من واجب وممتنع دون ما بيناه لم يستغن مع هذا التسليم عن المرسلين لأنهم ينبهون على طريق الاستدلال المسترشدين ويحركون الخواطر بالتذكير إلى سنن التأمل والاعتبار.

وهذا أمر يدل عليه ما نشاهده من أحوال العقلاء واقتقارهم إلى من يفتح لهم باب الاستدلال أولا.

وفي بعض ما أوردناه بيان عن غلط البراهمة فيما اعتدت ونقض لشبهتها التي ذكرت والحمد لله.

مختصر من الكلام على اليهود في إنكارهم جواز النسخ في الشرع

اعلم أن اليهود طائفتان إحداهما تدعي أن نسخ الشرع لا يجوز في العقل والأخرى تجيز ذلك عقلا وتزعم أن المنع منه ورد به السمع.

فأما المدعون على العقل الشهادة بقبح النسخ فإنهم زعموا أن النسخ هو البداء.

(١) في العبارة قلق تركيبي وإن كان المراد واضحا.

قالوا والبداء لا يجوز على الله تعالى.

فيقال لهم لم زعمتم أن النسخ هو البداء؟

فإن قالوا للمتعارف بين العقلاء أن الأمر بالشيء إذا نهي عنه بعد أمره فقد بدا له فيه.

وكذا إذا نهي عن الشيء ثم أمر به من بعد نهي.

قيل لهم ما تنكرون من أن يكون على هذا قسمين :

أحدهما أن يأمر الأمر بالشيء في وقت وإذا فعل وجاز وقت فعله نهي عنه من بعد فيكون في الحقيقة إنما نهي عن مثله وهذا هو النسخ بعينه وكذلك القول في الأمر بالشيء بعد النهي عنه.

والقسم الآخر أن يأمر بفعل الشيء في وقت فإذا أتى ذلك الوقت نهي عنه فيه بعينه قبل أن يفعل ويكون هذا البداء دون القسم الأول محصل

الفرق بين البداء والنسخ ويتضح أن دعواكم فيهما أنهما واحد لم تصح.

فإن قالوا إن العبادة إذا تعلق على المكلف بأمر أو نهي فالحكمة اقتضتها فمتى تغيرت العبادة دلت على تغيير الحكمة والحكمة لا يجوز تغييرها

قيل لهم فألا قلتم إن العبادة إذا ألزمت المكلف فالحكمة اقتضتها لمصلحة من مصالح المكلف أوجبها فإذا تغيرت العبادة دلت على أن الحكمة اقتضت ذلك لتغير المصلحة والمصلحة يجوز تغييرها.

فإن قالوا إنا لا نعلم في العقل تغيير المصالح.

قيل لهم وكذلك لا تعرفون بالعقل المصالح.

ثم يقال لهم ما السبب في نقل الله تعالى الإنسان من كونه شابا إلى أن صيره شيخا وأفقره ثم أغناه وأماته بعد أن أحياه وكيف أصبحه ثم أسقمه

وأوجده ثم أعدمه فكيف تغيرت الحكمة في جميع ما عددنا وما أنكرتم أن يكون هذا كله بداء أي اختلاف في المصالح يكون أوضح من هذا؟

وأما المدعون من اليهود أن إبطال النسخ علم بالسمع دون العقل فإنهم ادعوا في ذلك على موسى عليهم السلام أنه قال :
إن شريعته دائمة لا تنسخ.

والذي يدل على بطلان دعواهم هذه ظهور المعجزات على من أتى بالنسخ ولو كان خبرهم حقا لم يصح إتيان ذي معجز بنسخ.
وهذه المعجزات يعلم أنها قد كانت بمثل ما تعلم له اليهود معجزات موسى عليهم السلام من غير فرق.

فصل في ذكر البداء

اعلم أيديك الله تعالى أن أصحابنا دون المتكلمين يقولون بالبداء ولهم في نصره القول به كلام ومعهم فيه آثار.
وقد استشنع ذلك منهم مخالفوهم وشنع عليهم به مناظروهم.
وإنما استشنعوه لظنهم أنه يؤدي إلى القول بأن الله تعالى علم في البداء ما لم يكن يعلم فإذا قدر الناصر للبداء على الاحتراز من هذا الموضع فقد أحسن ولم يبق عليه أكثر من إطلاق اللفظ وقد قلنا إن ذلك قد ورد به السمع.
وقد اتفق لي فيه كلام مع أحد المعتزلة بمصر أنا أحكيه لتقف عليه.

حكاية مجلس في البداء

كنت سألت معتزليا حضرت معه مجلسا فيه قوم من أهل العلم فقلت له لم أنكرت القول بالبداء وزعمت أنه لا يجوز على الله تعالى.
فقال لأنه يقتضي ظهور أمر لله سبحانه كان عنه مستورا وفي هذا أنه قد تجدد له العلم بما لم يكن به عالما.

فقلت له أبن لنا من أين علمت أنه يوجب ذلك وتقتضيه ليسع الكلام معك فيه؟
فقال هذا هو معنى البداء والتعارف يقضي بيننا ولسنا نشك أن البداء هو الظهور ولا يبدو للأمر إلا لظهور شيء تجدد من علم أو ظن لم يكن معه من قبل.

وبيان ذلك أن طبيبا لو وصف لعليل أن يشرب في وقته شراب الورد حتى إذا أخذ العليل القدح بيده ليشرب ما أمره به قال له الطبيب في الحال صبه ولا تشربه وعليك بشرب النيلوفر بدله فلسنا نشك في أن الطبيب قد استدرك الأمر وظهر له من حال العليل ما لم يكن عالما به من قبل فغير عليه الأمر لما تجدد له من العلم ولو لا ذلك لم يكن معنى لهذا الخلاف.

فقلت له هذا مما في الشاهد وهو من البداء فيجوز عندك أن يكون في البداء قسم غير هذا فقال لا أعلم في الشاهد غير هذا القسم ولا أرى أنه يجوز في البداء قسم غيره ولا يعلم.

فقلت له ما تقول في رجل له عبد أراد أن يختبر حاله وطاعته من معصيته ونشاطه من كسله فقال له في يوم شديد البرد سر لوقتك هذا إلى مدينة كذا لتقبض مالا لي بها فأحسن العبد لسيدته الطاعة وقدم المبادرة ولم يحتج بحجة فلما رأى سيده مسارعته وعرف شهامته ونهضته شكره على ذلك وقال له أقم على حالك فقد عرفت أنك موضع للصنيعة وأهل للتعويل عليك في الأمور العظيمة أيجوز عندك هذا وإن جاز فهل هذا داخل في البداء أم لا؟
فقال هذا مستعمل ورأينا في الشاهد وقد بدا فيه للسيد وليس هو قسما ثانيا بل هو بعينه الأول هو الذي لا يجوز على الله عَزَّوَجَلَّ .

فقلت له لم جعلت الجمع بينهما من حيث ذكرت أولى من التفرقة بينهما من حيث كان أحدهما مريدا لإتمام قبل أن يبدو له فيه فينهي عنه وهو

الطبيب والآخر غير مريد لإتمامه على كل وجه وهو سيد العبد بل كيف لم تفرق بينهما من حيث إن الطبيب لم يجز قط أن يقع منه اختلاف الأمر إلا لتجدد علم له لم يكن وسيد العبد يجوز أن يقع منه النهي بعد الأمر من غير أن يتجدد له علم ويكون عالما بنهضته في الحالين ومسارعتة إلى ما أحب وإنما أمره بذلك ليعلم الحاضرون حسن طاعته ومبادرته إلى أمره وأنه ممن يجب اصطفاؤه والإحسان إليه والتعويل في الأمور عليه.

قال فإذا سلمت لك الفرق بينهما فما تنكر أن يكون دالا على أن مثالك الذي أتيت به غير داخل في البداء؟

قلت أنكرت ذلك من قبل أن البداء عندنا جميعا نهي الأمر عما أمر به قبل وقوعه في وقته وإذا كان هذا هو الحد المراعى فهو موجود في مثالنا وقد أجمع العقلاء أيضا على أن السيد فيه قد بدا له فيما أمر به عبده.

قال فإذا دخل القسمان في البداء فما الذي تجيز على الله تعالى منهما؟

فقلت أقربهما إلى قصة إبراهيم الخليل عليهم السلام وأشبههما لما أمر الله تعالى في المنام بذبح ولده إسماعيل عليهم السلام فلما سارع إلى المأمور راضيا بالمقدور وأسلما جميعا صابرين وتله للجبين نواه الله عن الذبح بعد متقدم الأمر وأحسن الثناء عليهما وضاعف لهما الأجر.

وهذا نظير ما مثلت من أمر السيد وعبده وهو النهي عن المأمور به قبل وقوع فعله.

قال فمن سلم لك أن إبراهيم عليهم السلام مأمور بذلك من قبل الله سبحانه؟

قلت سلمه لي من يقر بأن منامات الأنبياء عليهم السلام صادقة ويعترف بأنها وحي الله في الحقيقة وسلمه لي من يؤمن بالقرآن ويصدق ما فيه من الأخبار.

وقد تضمن الخبر عن إسماعيل أنه قال لأبيه ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ وقول الله تعالى لإبراهيم ﴿قَدْ صَدَّقْتَ

الرُّؤْيَا ^(١) وثناؤه عليه حيث قال ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ وليس بمحسن من امتثل غير أمر الله تعالى في ذبح ولده وهذا واضح لمن أنصف من نفسه.

قال فإني لا أسمى هذا بداء

فقلت له ما المانع لك من ذلك أتوجه الحجة عليك به أم مخالفته للمثال المتقدم ذكره؟

فقال بمنعني من أن أسمى البداء أن البداء لا يكشف إلا عن متجدد علم لمن بدا له وظهوره له بعد ستره وليس في قصة إبراهيم وإسماعيل عليهم

السلام ما يكشف عن تجدد علم الله سبحانه ولا يجوز ذلك عليه فلماذا قلت إنه ليس ببداء.

فقلت له هذا خلاف ما سلمته لنا من قبل وأقررت به من أن سيد العبد يجوز أن يأمره بما ذكرناه ثم يمنعه مما أمره به وينهاه مع علمه بأنه يطيعه في

الحالين لغرضه في كشف أمره للحاضرين.

ثم يقال لك ما تنكر من إطلاق اللفظ بالبداء في قصة إبراهيم وإسماعيل عليهم السلام لأنها كشفت لهما عن علم متجدد ظهر لهما كان ظنهما

سواء وهو إزالة هذا التكليف بعد تعلقه والنهي عن الذبح بعد الأمر به.

قال أفتقول إن الله تعالى أراد الذبح لما أمر به أم لم يردده؟

واعلم أنك إن قلت إنه لم يردده دخلت في مذاهب المجبرة لقولك إن الله تعالى أمر بما لا يريده.

وكذلك إن قلت إنه أرادته دخلت في مذهبهم أيضا من حيث إنه نهي عما أرادته فما خلاصك من هذا؟

فقلت له هذه شبهة يقرب أمرها والجواب عنها لازم لنا جميعا لتصديقنا بالقصة وإقرارنا بها.

وجوابي فيها أن الذبح في الحقيقة هو تفرقة الأجزاء ثم قد تسمى الأفعال

(١) الصافات : ١٠٥ .

التي في مقدمات الذبح مثل القصد والإضجاع وأخذ الشفرة ووضعها على الحلق ونحو ذلك ذبحا مجازا واتساعا. ونظير ذلك أن الحاج في الحقيقة هو زائر بيت الله تعالى على منهاج ما قررتة الشريعة من الإحرام والطواف والسعي. وقد يقال لمن شرع في حوائجه لسفره في حجه من قبل أن يتوجه إليه إنه حاج اتساعا ومجازا. فأقول إن مراد الله تعالى فيما أمر به لخليله إبراهيم عليهم السلام من ذبح ولده إنما كان مقدمات الذبح من الاعتقاد أولا والقصد ثم الاضطجاع للذبح ترك الشفرة على الحلق وهذه الأفعال الشاقة التي ليس بعدها غير الإتمام بتفرقة أجزاء الحلق. وعبر عن ذلك بلفظ الذبح ليصح من إبراهيم عليهم السلام الاعتقاد له والصبر على المضض فيه الذي يستحق جزيل الثواب عليه. ولو فسر له في الأمر المراد على التعيين لما صح منه الاعتقاد للذبح ولا كان ما أمر به شاقا يستحق عليه الثناء والمدح وعظيم الأجر. والذي نهي الله تعالى عنه هو الذبح في الحقيقة وهو الذي لم يبق غيره ولم تتعلق الإرادة قط به فقد صح بهذا أن الله تعالى لم يأمر بما لا يريد ولا نهي عما أراد والحمد لله.

قال الخصم فقد انتهى قولك إلى أن الذي أمر به غير الذي نهي عنه وليس هذا هو البداء. فقلت له أما في ابتداء الأمر فما ظن إبراهيم عليهم السلام إلا أن المراد هو الحقيقة. وكذلك كان ظن ولده إسماعيل عليهم السلام فلما انكشف بالنهاي لهما ما علماه مما كان ظنهما سواه كان ظاهره بداء لمشابحته لحال من يأمر بالشيء وينهى عنه بعينه في وقته وليستسلمه على ظاهر الأمر دون باطنه فلم يرد على ما ذكرت شيئا.

وهذا الذي اتفق لي من الكلام في البداء.

مسألة :

فإن قال قائل ما تقولون في الذبيح ومن كان من ولدي إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم أكان إسماعيل أم إسحاق عليهم السلام؟

قلنا الذبيح عندنا هو إسماعيل وبهذا يشهد ظاهر القرآن والخبر المأثور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

أما القرآن فإن الله تعالى قال حكاية عن إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم :

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الصافات : ١٠٠

فأخبر عن سؤاله في الولد قال الله تعالى :

﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ الصافات : ١٠١

ثم أخبر عن حال هذا الغلام فقال :

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾. الصافات : ١٠٢

فوصف قصة الذبيح المختصة بهذا الغلام إلى قوله :

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. الصافات : ١٠٥

ثم قال بعد ذلك :

﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الصافات : ١١٢

فأعلمنا أن إسحاق إنما أتاه بعد الولد الأول الذي أجيبت فيه دعوته ورأى في المنام أنه يذبحه.

وهذا يدل على أنه غير إسحاق وليس غيره ممن ينسب هذا إليه إلا إسماعيل عليهم السلام.

وأما الخبر المأثور فقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا ابن الذبيحين^(١)

(١) انظر أعلام النبوة للماوردي صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٤٣

يعني إسماعيل وعبد الله بن عبد المطلب ولو كان الذبيح إسحاق لما صح هذا الخبر على ظاهره لأنه ليس هو ابنه وهو ابن إسماعيل عليهم السلام.

فصل

جاء في الحديث أن الله تعالى بعث إلى عبد المطلب في منامه ملكا فقال له يا عبد المطلب احفر زمزم قال وما زمزم قال تراث أبيك آدم عليهم السلام وجدك الأقدم عند الفرث والدم عند الغراب الأعصم.

وأن عبد المطلب رأى ذلك في منامه ثلاث ليال متواليات وأصبح اليوم الرابع فقعد عند البيت الحرام فبينما هو قاعد إذا بقرة قد أفلتت من بعض الجزارين في أعلى الأبطح من وثاقها حتى جاءت إلى موضع زمزم فوقف هناك فجزرت مكانها وسقط غراب أعصم على الفرث والدم.

والأعصم هو الذي إحدى رجله بيضاء.

فقال عبد المطلب هذا تأويل رؤيائي فحفرها في موضعها فصعب عليه الحفر فقال اللهم إن لك على نذرا أن أتقرب ببعض ولدي إن أنبطت لي الماء.

فلما نبع الماء عزم على أن يقرب بعض ولده فجاء بنو مخزوم وسائر قريش فقالوا له أقرع بين ولدك فخرجت القرعة على عبد الله فقال بنو مخزوم له اقد ولدك بمالك فأقرع بينه وبين عشرة من الإبل فخرجت القرعة على عبد الله فجعلها عشرين وقرع بينه وبينها فخرجت القرعة على عبد الله فما زال كذلك حتى صارت الإبل مائة.

وفي حديث آخر أنها بلغت ألفا وهي دية الملوك فعند ذلك وقعت القرعة على الإبل فقرحها فجعلها هديا.

أخبرني شيخني أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله رضي الله عنه قال أخبرني أبو محمد هارون بن موسى قال أخبرني محمد بن همام عن أبي محمد

الحسن بن

جمهور قال حدثني أبي قال حدثني الحسن بن محبوب عن علي بن رباب عن مالك بن عطية قال :
لما حفر عبد المطلب بن هاشم زمزم وأنبط منها الماء أخرج منها غزالين من ذهب وسيوفا وأدراعا فجعل الغزالين زينة للكعبة وأخذ السيوف والدروع
وقال هذه ودیعة كان أودعها مضاض الجرهمي بن الحرث بن عمرو بن مضاض.
والحارث هو الذي يقول ^(٢) :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا	أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا	صروف الليالي والجود العواثر ^(٣)
ويمنعنا من كل فج نريد	أقرب كسرحان الإباء ضامر ^(٤)
وكل لجوج في الجراء طمرة	كعجزاء فتحاء الجناحين كاسر

والقصيدة طويلة ^(٥)

فحسدته قريش بذلك فقالوا نحن شركاؤك فيها فقال هذه فضيلة نبئت بها دونكم في منامي ثلاث ليال تباعا

(١) يكنى بأبي الحسن ، وهو من رواة الشيعة الكوفيين الثقات روى عن الصادق والكاظم. وله عدة كتب توفي (سنة ٢٢٤ هـ).
(٢) في السيرة لابن هشام أن القائل هو عمرو بن الحرث بن عمرو بن مضاض وليس بمضاض الأكبر.
(٣) ذكر البيتين مع أبيات غيرها لم يذكرهما المؤلف ، في مروج الذهب ج ٢ صلى الله عليه وآله وسلم ٤٩ .
(٤) الأبناء أجمة القصب.
(٥) تجد القسم الكبير من هذه القصيدة في سيرة ابن هشام ج ١ صلى الله عليه وآله وسلم ٢٦ ١ = ٢٨ ١ وهي متضمنة لبعض الأبيات التي ذكرها المؤلف.

فقالوا حاكمنا إلى من شئت من حكام العرب فخرجوا إلى الشام يريدون أحد كهاتها وعلمائها فأصابهم عطش شديد فأوصى بعضهم إلى بعض فبينما هم على ذلك إذ بركت ناقة عبد المطلب فنبع الماء من بين أخفافها فشربوا وتزودوا وقالوا لعبد المطلب إن الذي سقاك في هذه الأودية القفر هو الذي سقاك بمكة فرجعوا وسلموا له هذه المأثرة. ^(١)

بيان عن قول النصارى ومسألة عليهم لا جواب لهم عنها

اعلم أنهم يزعمون أن المسيح عليهم السلام مجموع من شيئين لاهوت وناسوت يعنون باللاهوت الله سبحانه وتعالى عما يقولون وبالناسوت الإنسان وهو جسم المسيح أن هذين اتحدا فصارا مسيحا.

ومعنى قولهم اتحدا أي صارا شيئا واحدا في الحقيقة وهو المسيح.

فيقال لهم أنتم مجموعون معنا على أن الإله قديم وأن الجسم محدث وقد زعمتم أنهما صارا واحدا.

فما حال هذا الواحد أقديم أم محدث؟

فإن قالوا هو قديم

قيل لهم فقد صار المحدث قديما لأنه من مجموع شيئين أحدهما محدث.

وإن قالوا هو محدث

قيل لهم فقد صار القديم محدثا لأنه من مجموع شيئين أحدهما قديم.

وهذا ما لا حيلة لهم فيه وليس يتسع لهم أن يقولوا بعضه قديم وبعضه محدث لأن هذا ليس باتحاد في الحقيقة ولا أن يقولوا هو قديم محدث لتناقض

ذلك واستحالته ولا أن يقولوا ليس هو قديم ولا محدث فظاهر فساد ذلك أيضا وبطلانه.

(١) تجد قصة حفر زمزم ومنازعة قريش لعبد المطلب مروية في سيرة ابن هشام ج (١) صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٥٤ = ١ ٥٨ بروايته عن علي عليه السلام مختلفة في أسلوبها عن رواية الكراجكي ومتفقة معها في المضمون.

وهذا كاف في إبطال الاتحاد ^(١) الذي ادعوه.

وقد سألهم بعض المتكلمين فقال :

إذا كنتم تعبدون المسيح والمسيح إله وإنسان فقد عبدتم الإنسان وعبادة الإنسان كفر بغير اختلاف.

مسألة أخرى عليهم

قال لهم إذا كان المسيح عندكم من مجموع شيئين إله وإنسان فأخبرونا عن القتل والصلب على ما ذا وقع أتقولون إنه وقع بهما أم بأحدهما فإن قالوا بهما قيل لهم ففي هذا أن الإله ضرب وصلب وقتل ودفن وهي فضيحة لا ينتهي إليها ذو عقل.

وإن قالوا بل وقع ذلك على أحدهما وهو الناسوت لأن اللاهوت لا يجوز عليه هذا.

قيل لهم فإذا قد صح مذهب المسلمين في أنهم ما قتلوا المسيح ولا صلبوه لأن المسيح عندكم ليس هو الناسوت بانفراده وإنما هو مجموع شيئين لم يظفر اليهود إلا بأحدهما الذي ليس هو المسيح.

مسألة أخرى عليهم

يقال لهم أيجوز أن يكون جسم متحرك وشخص آكل شارب تحله الأعراض الحادثات وتناله الآلام والآفات قديما؟

فإن قالوا يجوز ذلك لم يأمنوا أن يكون ناسوتا قديما.

وإن قالوا لا يجوز ذلك

قيل لهم فالمسيح عليهم السلام كانت فيه هذه الصفات معلومات مرثيات.

فإن أنكروا ذلك كابروا وقبح ^(٢) معهم الكلام.

(١) في النسخة : الإلحاد

(٢) في النسخة (وأقبح).

وإن أقروا به وقالوا ^(١) قد كان على هذه الصفات.

قيل لهم فقد صح حدوثه وبطل قدمه وحصلتم عابدين لبشر مخلوق مربوب.

فإن قالوا إنما رأينا ناسوته المحدث ولم نر لاهوته القديم.

قيل لهم أوليس من مذهبكم أنهما اتحدا وصارا شيئاً واحداً؟

فإذا قالوا نعم.

قيل لهم فيجب أن يكون من رأى أحدهما فقد رآهما وإن لم يكن الأمر كذلك فما اتحدا.

فصل آخر من قولهم وكلام عليهم

هم يذهبون إلى أن إلههم من ثلاثة أقانيم والأقنوم عندهم هو الجوهر يعنون الأصل فالثلاثة الجواهر عندهم إله واحد ويسمون هذه الثلاثة الأب

والابن والروح.

فيقال لهم إذا جاز أن يكون عندكم ثلاثة أقانيم إلهها واحدا فلم لا يجوز أن يكون ثلاثة آلهة أقنوما واحدا ويكون ثلاثة فاعلين جوهرها واحدا فما

أبطلوا به هذا بطل به قولهم سواء.

فصل من قولهم

وقد احتجوا فقالوا وجدنا من له ابن أشرف وأفضل ممن لا ابن له ومن لا ابن له ناقص.

قالوا وكذلك وجدنا من لا حياة له ميت والروح هي الحياة فوجب أن تصف إلهنا بالشرف والكمال ووجود الحياة.

فيقال لهم فقولوا إن له بنين عدة فإن ذلك أكثر لشرفه وأسنى لمنزلته

(١) في النسخة (وقال)

بل قولوا إن له نسلا وإن له جدا لأن من له ابن ابن أجل ممن ليس له إلا ابن فقط.
وإذا أوجبتم الروح التي زعمتم أنها الحياة لئلا يكون ميتا فأوجبوا له علما لئلا يكون جاهلا وقدرة لئلا يكون عاجزا قولوا أيضا إن له عينين ليكون ناظرا أو جميع الحواس ليكون مدركا.
فإن قالوا إن كان له ما ذكرتم لما اتحد بالناسوت فصار مسيحا.
قيل لهم بل يجب أن يكون له فيما لم يزل وإلا كان ناقصا.

فصل من الألفاظ التي يقرون أن المسيح عليهم السلام قالها وهي دالة على بطلان مذهبهم فيه

قوله عليهم السلام في الإنجيل
لا يكون الرسول أعظم ممن أرسله.
وقوله
من آمن بي وآمن بالذي أرسلني.
وقوله :
يا إلهي قد علموا أنك أنت الله وحدك لا شريك لك وأنت أنت الله الخالق وأنت أنت أرسلت المسيح عيسى ليبلغ رسالتك وأن نعبدك وحدك لا شريك لك.

وقال له الحواريون أين تذهب وتدعنا فقال :

أذهب إلى إلهي وإلهمكم فأسأله أن يبعث إليكم البرقليط ^(١) فإنه الذي

(١) وردت كلمة (فارقليط) و (بارقليط) في إنجيل يوحنا في ثلاث آيات.

١ . يوحنا ١ : ٤ : ٦

«وأنا أسأل الأب (الخالق) فيعطيكُم فارقليطًا آخر ، ليقم معكم إلى الأبد».

٢ . يوحنا ١ : ٥ : ٢٦

ومتى جاء بارقليط سأرسله أنا إليكم من عند الأب (الخالق) روح الحق الذي من عند الخالق ينبثق ، فهو يشهد لي ، وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معي من الابتداء.» =

يذكركم الحق ولا يتكلم إلا بأمره وإذا جاءكم فهو يشهد لي ويبين لكم أمري.

وزعموا أن الشيطان جرب المسيح وأراه ملكوت الأرض وقال له هذا كله لي فاسجد لي سجدة واحدة أعطكه وأسلطك عليه فقال له :

اعزب عني فإن الله أمرني أن لا أسجد لغيره.

وقال الحواريون الآن علمنا أن الله بعثك فرفع عينه إلى السماء فقال :

رب قد بلغت رسالتك وإنما جنة الخلد لمن علم أنك وحدك أرسلت المسيح من عندك وقد أمرتهم يا إلهي بالذي أمرتني به علموا أنك أرسلتني فكيف

أبتغي لك من الناس ولا أبتغي للناس منك.

فصل

فإن قالوا هذا كله إنما قاله المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته.

قيل لهم وما يديكم ذلك وبعد فهل هو صادق فيما قال أم كاذب.

فإن قالوا كاذب فقد أعظموا الغربة.

وقيل لهم وما يؤمنكم أن يكون جميع ما قاله لكم كذب أو كيف يتحد الإله الصادق بالإنسان الكاذب؟

وإن قالوا إنه لم يقل إلا حقا.

قيل لهم فأأي حجة بقيت في أيديكم مع ما أقررتم بأن المسيح قاله وصدق فيه؟

= ٣ . يوحنا ٦١ : ٧

«لكني أقول لكم الحق أنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم بارقليطا ولكن إن ذهبت أرسله لكم».

وكلمة فارقليط وبارقليطا ، تعنيان من له حمد كثير كمحمد وأحمد. وتجد البحث ضافيا على هذه الكلمة في كتاب إظهار الحق للهندي. انظر البشارة الثامنة عشر صلى الله عليه وآله

وسلم ٥٣٨ وما بعدها ، وتجد بحثا عنها في كتاب : رسول الإسلام في الكتب السماوية للدكتور محمد الصادقي من ١٤٦ وما بعدها.

وهل هو إلا دال على ما يقول المسلمون.

وقد احتجوا بأن في الإنجيل :

أمضي إلى أبي.

فيقال لهم في هذا إنه شارككم بهذا اللفظ في النبوة فإن وجب أن يكون ابنه فالجميع أبناءؤه.

على أنه لفظه يحتمل التأويل ويكون معناه ربي وربكم وإلهي وإلهكم.

وفي هذا المختصر من الكلام عليهم كفاية والحمد لله.

رسالة كتبتها إلى أحد الإخوان وسميتها بالبيان عن جمل اعتقاد أهل الإيمان

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

سألت يا أخي أسعدك الله بالطافه وأيدك بإحسانه وإسعافه أن أثبت لك جملاً من اعتقادات الشيعة المؤمنين وفصولاً في المذهب يكون عليها بناء

المسترشدين لتذاكر نفسك بها وتجعلها عدة لطالبها وأنا أختصر لك القول وأجمله وأقرب الذكر وأسهله وأورده على سنن الفتيا في المقالة من غير حجة ولا

دلالة ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾.

اعلم أن الواجب على المكلف

أن يعتقد حدوث العالم بأسره وأنه لم يكن شيئاً قبل وجوده.

ويعتقد أن الله تعالى هو محدث جميعه من أجسامه وأعراضه إلا أفعال العباد الواقعة منهم فإنهم محدثوها دونه سبحانه.

ويعتقد أن الله تعالى قديم وحده لا قديم سواه وأنه موجود لم يزل وبق لا يزال وأنه شيء لا كالأشياء لا يشبه الموجودات ولا يجوز عليه ما يجوز على

المحدثات.

وأن له صفات يستحقها لنفسه لا لمعان غيره وهي كونه حيا عالما قديما باقيا لا يجوز خروجه عن هذه الصفات إلى ضدها يعلم الكائنات قبل كونها ولا يخفى عليه شيء منها.

وأن له صفات أفعال ^(١) لا يصح إضافتها إليه في الحقيقة إلا بعد فعله وهي ما وصف به نفسه من أنه خالق ورازق ومعط وراحم ومالك ومتكلم ونحو ذلك.

وأن له صفات مجازات وهي ما وصف به نفسه من أنه يريد ويكره ويرضى ويغضب.

فإرادته لفعل هي الفعل المراد بعينه وإرادته لفعل غيره هي الأمر بذلك الفعل.

وليس تسميتها بالإرادة حقيقة وإنما هو على مجاز اللغة.

وغضبه هو وجود عقابه ورضاه هو وجود ثوابه.

وأنه لا يفتقر إلى مكان ولا يدرك بشيء من الحواس.

وأنه منزّه من القبائح لا يظلم الناس وإن كان قادرا على الظلم ^(٢) لأنه عالم بقبحه غني عن فعله قوله صدق ووعدده حق لا يكلف خلقه ما لا يستطيع ولا يجرمهم صلاحا لهم فيه الانتفاع ولا يأمر بما لا يريد ولا ينهى عما يريد وأنه خلق الخلق لمصلحتهم وكلفهم لأجل منازل منفعتهم وأزاح في التكليف عنهم وفعل أصلح الأشياء بهم.

وأنه أقدرهم قبل التكليف وأوجد لهم ^(٣) العقل والتمييز.

(١) وخلاصة القول في الصفات أن منها ما هو صفات الذات كالحياة والعلم وسواهما وهي ليست بزائدة على الذات ، ومنها ما هو صفة له باعتبار الفعل كالرازق والخالق وما إليهما ، ومنها ما هو صفة له على نحو المجاز كالغضب والرضا وغيرهما كما أشار إلى ذلك المؤلف ، مما يدلّ على الانفعال الممتنع في حقه تعالى.

(٢) إشارة إلى الرد على النظام أحد زعماء المعتزلة الذي ذهب إلى أن الله لا يفعل الشر لأنه لا يقدر عليه ، أما الإماميّة فذهبوا إلى أنّه لا يفعله مع قدرته عليه ، لأنه قبيح.

(٣) في النسخة (وأوجدهم)

وأن القدرة تصلح أن يفعل بها وضده بدلا منه.

وأن الحق الذي تجب معرفته تدرك بشيئين وهما العقل والسمع.

وأن التكليف العقلي لا ينفك عن التكليف السمعي ^(١).

وأن الله تعالى قد أوجد للناس في كل زمان مسمعا لهم من أنبيائه وحججه بينه وبين الخلق ينبههم على طريق الاستدلال في العقليات ويفقههم على ما لا يعلمونه إلا به من السمعيات.

وأن جميع حجج الله تعالى محيطون علما بجميع ما يفتقر إليهم فيه العباد.

وأنهم معصومون من الخطأ والزلل عصمة اختيار ^(٢).

وأن الله فضلهم على خلقه وجعلهم خلفاء القائمين بحقه.

وأنه أظهر على أيديهم المعجزات تصديقا لهم فيما ادعوه من الأنباء والأخبار. وأنهم مع ذلك بأجمعهم عباد مخلوقون وبشر مكلفون يأكلون ويشربون ويتناسلون ويحيون بإحيائه ويموتون بإماتته تجوز عليهم الآلام المعترضات فمنهم من قتل ومنهم من مات لا يقدر على خلق ولا رزق ولا يعلمون الغيب إلا ما أعلمهم إله الخلق.

وأن أقوالهم صدق وجميع ما أتوا به حق.

وأن أفضل الأنبياء أولو العزم وهم خمسة :

نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وعليهم.

(١) إن القول بالملزمة بين حكم العقل وحكم الشرع مبني على القول بمسألة عقلية معروفة وهي مسألة الحسن والقبح العقليين ، أما من لم يقل بهذه المسألة فلا تلازم بين حكم العقل والشرع ، ومعنى القول بالتلازم هو أن العقل إذا أدرك حسن شيء أو قبحه وقطع به فإنه حتما يكون حكم الشرع على طبقه.

(٢) على نحو أن تكون هذه العصمة غير ملجئة له إلى فعل الطاعة ، بل هو قادر معها على فعل الشر كما هو قادر على فعل الخير لم يرتفع معها شيء من الاختيار والقدرة ، وإلا لما استحق شيئا من الثواب والعقاب ولما صح تكليفه.

وأن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الأنبياء أجمعين وخير الأولين والآخرين.
وأنه خاتم النبيين وأن آباءه من آدم عليهم السلام إلى عبد الله بن عبد المطلب رضوان الله عليهم كانوا جميعاً مؤمنين موحدين لله تعالى عارفين وكذلك أبو طالب رضوان الله عليه.

ويعتقد أن الله سبحانه شرف نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بياهر الآيات وقاهر المعجزات فسيح في كفه الحصى ونبع من بين أصابعه الماء وغير ذلك مما قد تضمنته الأنبياء وأجمع على صحته العلماء وأتى بالقرآن المبين الذي بمر به السامعين وعجز عن الإتيان بمثله سائر الملحددين.

وأن القرآن كلام رب العالمين وأنه محدث ليس بتقديم.^(١)

ويجب أن يعتقد أن جميع ما فيه من الآيات الذي يتضمن ظاهرها تشبيه الله تعالى بخلقه وأنه يجبرهم على طاعته أو معصيته أو يضل بعضهم عن طريق هدايته فإن ذلك كله لا يجوز حمله على ظاهرها وأن له تأويلاً يلائم ما تشهد العقول به مما قدمنا ذكره في صفات الله تعالى وصفات أنبيائه.

(١) هذا إشارة إلى الفتنة التي حدثت بين فرق المسلمين في القرآن هل هو مخلوق أم أزلي ، بعد اتفاقهم على أنه تعالى يتصف بالكلام وأنه متكلم كما هو صريح قوله تعالى :﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ وأن القرآن كلام الله ، ولكنهم اختلفوا في معنى كلامه فعند المعتزلة والشيعة أنه حادث وأنه تعالى أوجده بعد أن لم يكن موجوداً في أجسام دالة على المراد ، كما أوجد الكلام في شجرة الطور لموسى (عليهم السلام). وعند الأشاعرة أن الكلام صفة من الصفات اللاحقة له تعالى كغيره من الصفات الأخرى ، من العلم والقدرة والحياة وغيرها وإن معنى كونه تعالى متكلماً أن هناك صفة قائمة بذاته كالعلم والإرادة ، وهذه الصفة القائمة تعبر عنها وتحكيها الكلمات والألفاظ. وهذا المعنى القائم بذاته أمر واحد عندهم ليس بنهي ولا أمر ولا خير ولا إنشاء ولا غيرها من أساليب الكلام ، ويعبرون عنه بالكلام النفسي ، وما يحكيه من الألفاظ والعبارات بالكلام اللفظي.

وقد نشبت هذه الفتنة في عصر المأمون العباسي الذي تبنى القول بخلق القرآن ، واشتد على من يقول بقدمه. وقد كتبنا حول هذه المسألة في كتابنا : هشام بن الحكم صلى الله عليه

وآله وسلم ١٤٤ = ١٤٦.

فإن عرف المكلف تأويل هذه الآيات فحسن وإلا أجزأه أن يعتقد في الجملة أنها متشابهات وأن لها تأويلا ملائما تشهد بما تشهد به العقول والآيات المحكمات وفي القرآن المحكم والمتشابه والحقيقة والمجاز والناسخ والمنسوخ والخاص والعام.

ويجب عليه أن يقر بملائكة الله أجمعين وأن منهم جبرئيل وميكائيل وأنهما من الملائكة الكرام كالأنبياء بين الأنام وأن جبرئيل هو الروح الأمين الذي نزل بالقرآن على قلب محمد خاتم النبيين وهو الذي كان يأتيه بالوحي من رب العالمين.

ويجب الإقرار بأن شريعة الإسلام التي أتى بها محمد عليهم السلام ناسخة لما خالفها من شرائع الأنبياء المتقدمين.

وأنه يجب التمسك بها والعمل بما تضمنته من فرائضها وأن ذلك دين الله الثابت الباقي إلى أن يرث الله **﴿الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾** لا حلال إلا ما أحلت ولا حرام إلا ما حرمت ولا فرض إلا ما فرضت ولا عبادة إلا ما أوجبت.

وأن من انصرف عن الإسلام وتمسك بغيره كافر ضال مخذل في النار ولو بذل من الاجتهاد في العبادة غاية المستطاع.

وأن من أظهر الإقرار بالشهادتين كان مسلما ومن صدق بقلبه ولم يشك في فرض أتى به محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان مؤمنا.

ومن الشرائط الواجبة للإيمان العمل بالفرائض اللازمة فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمن.

وقوله تعالى :

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ ^(١)

إنما أراد به الإسلام الصحيح التام الذي يكون المسلم فيه عارفا مؤمنا عالما بالواجبات طائعا.

(١) آل عمران : ٩١

ويجب أن يعتقد أن حجج الله تعالى بعد رسوله الذين هم خلفاؤه وحفظة شرعه وأئمة أمته اثنا عشر أهل بيته أولهم أخوه وابن عمه وصهره بعل فاطمة الزهراء ابنته ووصيه على أمته علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ثم الحسن بن علي الزكي ثم الحسين بن علي الشهيد ثم علي بن الحسين زين العابدين ثم محمد بن علي باقر العلوم ثم جعفر بن محمد الصادق ثم موسى بن جعفر الكاظم ثم علي بن موسى الرضا ثم محمد بن علي التقي ثم علي بن محمد المنتجب ثم الحسن بن علي الهادي ثم الخلف الصالح بن الحسن المهدي صلوات الله عليهم أجمعين.

لا إمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا لهم عليهم السلام ولا يجوز الاقتداء في الدين إلا بهم ولا أخذ معالم الدين إلا عنهم.

وأثم في كمال العلم والعصمة من الآثام نظير الأنبياء عليهم السلام.

وأثم أفضل الخلق بعد رسول الله عليهم السلام.

وأن إمامتهم منصوب عليهم من قبل الله على اليقين والبيان.

وأنه سبحانه أظهر على أيديهم الآيات وأعلمهم كثيرا من الغائبات والأمور المستقبلات ولم يعطهم من ذلك إلا ما قارن وجهها بعمله من اللطف والصلاح.

وليسوا عارفين بجميع الضمائر والغائبات على الدوام ولا يحيطون بالعلم بكل ما علمه الله تعالى.

والآيات التي تظهر على أيديهم هي فعل الله دونهم أكرمهم بها ولا صنع لهم فيها.

وأثم بشر محدثون وعباد مصنوعون لا يخلقون ولا يرزقون ويأكلون ويشربون وتكون لهم الأزواج وتناولهم الآلام والأعلال ويستضامون ويخافون فيتقون

وأن منهم من قتل ومنهم من قبض.

وأن إمام هذا الزمان هو المهدي بن الحسن الهادي وأنه الحجة على العالمين وخاتم الأئمة الطاهرين لا إمامة لأحد بعد إمامته ولا دولة بعد

دولته وأنه غائب عن رعيته غيبة اضطرار وخوف من أهل الضلال وللمعلوم عند الله تعالى في ذلك الصلاح. ويجوز أن يعرف نفسه في زمن الغيبة لبعض الناس وأن الله عَزَّوَجَلَّ سيظهره وقت مشيئته ويجعل له الأعوان والأصحاب فيمهد الدين به [و] يظهر الأرض على يديه ويهلك أهل الضلال ويقيم عمود الإسلام ويصير ﴿الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾. وأن الله عَزَّوَجَلَّ يظهر على يديه عند ظهوره الأعلام وتأتيه المعجزات بخرق العادات ويحيي له بعض الأموات فإذا [أ] قام في الناس المدة المعلومه عند الله سبحانه قبضه إليه ثم لا يمتد بعده الزمان ولا تتصل الأيام حتى تكون شرائط الساعة وإماتة من بقي من الناس ثم يكون المعاد بعد ذلك. ويعتقد أن أفضل الأئمة عليهم السلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأنه لا يجوز أن يسمى بأمر المؤمنين أحد سواه. وأن بقية الأئمة صلى الله عليه وآله وسلم يقال لهم الأئمة والخلفاء والأوصياء والحجج وإن ^(١) كانوا في الحقيقة أمراء المؤمنين فإنهم لم يمنعوا من هذا الاسم لأجل معناه لأنه حاصل لهم على الاستحقاق وإنما منعوا من لفظه حشمة لأمر المؤمنين ع. وأن أفضل الأئمة بعد أمير المؤمنين ولده الحسن ثم الحسين وأفضل الباقيين بعد الحسين إمام الزمان المهدي صلى الله عليه وآله وسلم ثم بقية الأئمة بعده على ما جاء به الأثر وثبت في النظر.

وأن المهدي عليهم السلام هو الذي قال فيه رسول الله (ص) :

لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله تعالى ذلك اليوم حتى

(١) في النسخة (وإنهم).

يظهر فيه رجل من ولدي يواطئ اسمه اسمي يملؤها عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا^(١).

فاسمه يواطئ اسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكنيته تواطئ كنيته غير أن النهي قد ورد عن اللفظ فلا يجوز أن يتجاوز في القول إنه المهدي المنتظر والقائم بالحق والخلف الصالح وإمام الزمان وحجة الله على الخلق.

(١) روى هذا الحديث وأمثاله ابن خلدون في المقدمة في الفصل الثاني والخمسين عن الترمذي وأبي داود باختلاف في بعض ألفاظه ، وروى حوالي اثنين وثلاثين حديثا ، وقال في صلى الله عليه وآله وسلم ٣١ ١ من المقدمة:

«إن جماعة من الأئمة خرّجوا أحاديث المهديّ ، منهم : الترمذي ، وأبو داود ، والبزاز ، وابن ماجه ، والحاكم ، والطبراني ، وأبو يعلى الموصلي ، وأسندوها إلى جماعة من الصحابة مثل علي ، وابن عبّاس ، وابن عمر ، وطلحة ، وابن مسعود ، وأبي هريرة ، وأنس ، وأبي سعيد الخدري ، وأم حبيبة ، وأم سلمة ، وثوبان ، وفرة بن إياس ، وعلي الهلالي ، وعبد الله بن الحارث بن جزء».

وقد ناقش في سندها تارة ، وفي متنها تارة أخرى على طريقتيه الخاصّة. وهي إسقاط كل رواية تأتي عن طريق الشيعة ، أو عن طريق من يميل إلى أهل البيت ، أو عن طريق من يتهم بالشيعة وإن لم يكن شيعيا ، أو عن طريق من يروي شيئا من فضائل أهل البيت ، أو شيئا من معاتب أعدائهم الأمويين.

ولكن برغم مناقشات ابن خلدون وغيره ، فإن هناك حقيقة ثابتة ، وهي أن الأحاديث في هذا الموضوع قد بلغت من الكثرة حدّ التواتر المعنوي ، لا يمكن التشكيك في مضمونها ، أو دعوى أنّها موضوعة ، إذ لم يحظ موضوع من المواضيع الإسلامية كموضوع قضية المهديّ المنتظر ، وليس له شبيه من حيث عدد الأرقام الهائلة من الأحاديث في هذا الموضوع ، فقد أحصيت الأحاديث الواردة فيها من طريق أهل السنة وفي مسانيدها ومؤلفاتها ما يربو على أربعمائة حديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله ، وأحصى مجموع الأخبار الواردة من طرق الشيعة والسنة ، فبلغت أكثر من ستة آلاف حديث ، وهو رقم هائل لم يتوافر في أي قضية إسلامية أخرى ، حتى في تلك القضايا الإسلامية الضرورية ، وهو يتحدّى كل شك وإنكار. وقد وضعت عدة مؤلّفات في هذا الموضوع ، ومن أحسنها ، كتاب منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر للشيخ لطف الله محمّد جواد الصافي.

ويجب أن يعتقد أن الله فرض معرفة الأئمة عليهم السلام بأجمعهم وطاعتهم وموالاتهم والافتداء بهم والبراءة من أعدائهم وظالمهم وأنه لا يتم الإيمان إلا بموالات أولياء الله ومعاداة أعدائه وأن أعداء الأئمة عليهم السلام كفار ملحدون في النار وإن أظهروا الإسلام فمن عرف الله ورسوله والأئمة الاثني عشر وتولاهم وتبرأ من أعدائهم فهو مؤمن ومن أنكرهم أو تولى أعداءهم فهو ضال هالك لا ينفعه عمل ولا اجتهد ولا تقبل له طاعة ولا يصح له حسنات ^(١). ويعتقد أن الله يزيد وينقص إذا أشاء في الأرزاق والآجال.

وأنه لم يرزق العبد إلا ما كان حلالاً طيباً.

ويعتقد أن باب التوبة مفتوح لمن طلبها وهي الندم على ما مضى من المعصية والعزم على ترك المعاودة إلى مثلها.

وأن التوبة ماحية لما قبلها من المعصية التي تاب العبد منها.

وتجوز التوبة من زلة إذا كان التائب منها مقيماً على زلة غيرها لا تشبهها ويكون له الأجر على التوبة وعليه وزر ما هو مقيم عليه من الزلة.

وأن الله يقبل التوبة بفضله وكرمه وليس ذلك لوجوب قبولها في العقل قبل الوعد وإنما علم بالسمع دون غيره.

ويجب أن يعتقد أن الله سبحانه يميئ العباد ويحييهم بعد الممات ليوم المعاد.

وأن المحاسبة حق والقصاص وكذلك الجنة والنار والعقاب.

وأن مرتكبي المعاصي من العارفين بالله ورسوله والأئمة الطاهرين

(١) مكان النقاط كلمات غير واضحة.

المعتقدين لتحریمها مع ارتكابها المسوفين التوبة منها عصاة فساق وأن ذلك لا يسلبهم اسم الإيمان كما لم يسلبهم اسم الإسلام^(١).
وأهم يستحقون العقاب على معاصيهم والثواب على معرفتهم بالله تعالى ورسوله والأئمة من بعده صلى الله عليه وآله وسلم.
وما بعد ذلك من طاعتهم وأمرهم مردود إلى خالقهم وإن عفا عنهم فبفضله ورحمته وإن عاقبهم فبعده وحكمته قال الله سبحانه :
﴿وَأَخْرُؤْنَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ التوبة : ١٠٦ .

وأن عقوبة هؤلاء العصاة إذا شاءها الله تعالى لا تكون مؤبدة ولها آخر يكون بعده دخولهم الجنة وليسوا من جملة من توجه إليهم الوعيد بالتخليد والعفو من الله تعالى يرجى للعصاة المؤمنين.

وقد غلطت المعتزلة فسمت من يرجو العفو مرجئا وإنما يجب أن يسمى راجيا.

ولا طريق إلى القطع على العفو وإنما هو الرجاء والتجويز فقط.

ويعتقد أن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة من بعده عليهم السلام شفاعة مقبولة يوم القيامة ترجى للمؤمنين من مرتكبي الآثام.

ولا يجوز أن يقطع الإنسان على أنه مشفوع فيه على كل حال ولا سبيل له إلى العلم بحقيقة هذه الحال وإنما يجب أن يكون المؤمن واقفا بين الخوف والرجاء.

ويعتقد أن المؤمنين الذين مضوا من الدنيا وهم غير عاصين يؤمر بهم يوم القيامة إلى الجنة بغير حساب.

(١) صرح بهذا المفيد أستاذ المؤلف في كتابه أوائل المقالات صلى الله عليه وآله وسلم ٤٨ ونسبه إلى اتفاق الإمامية أما الخوارج فتسمي مرتكب الكبيرة مشركا وكافرا ، والحسن البصري أستاذ وأصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ، فيسمهم منافقين ، وأما أصل بن عطاء فوضعهم في منزلة بين منزلتين ، وقال أنهم فساق ليسوا بمؤمنين ، ولا كفار ، ولا منافقين. انظر هشام بن الحكم للمعلق صلى الله عليه وآله وسلم ٢٧ .

وأن جميع الكفار والمشركين ومن لم تصح له الأصول من المؤمنين يؤمر بهم يوم القيامة إلى الجحيم بغير حساب وإنما يحاسب من خلط ﴿عَمَلًا صَالِحًا﴾
وَأَخْرَجَ سَيِّئًا﴾ وهم العارفون العصاة.

وأن أنبياء الله تعالى وحججه عليهم السلام هم في القيامة المسئولون للحساب بإذن الله تعالى وأن حجة أهل كل زمان يتولى أمر رعيته الذين كانوا في وقته.

وأن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الاثني عشر من بعده عليهم السلام هم أصحاب الأعراف الذين لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه.

وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحاسب أهل وقته وعصره وكذلك كل إمام بعده.

وأن المهدي عليهم السلام هو الموافق لأهل زمانه والمسائل للذين في وقته.

وأن الموازين التي توضع في القيامة هي إقامة العدل في الحساب والإنصاف في الحكم والمجازاة وليست في الحقيقة موازين بكفات وخيوط كما يظن العوام.

وأن الصراط المستقيم في الدنيا دين محمد وآل محمد عليهم السلام وهو في الآخرة طريق الجنان.

وأن الأطفال والمجانين والبله من الناس يتفضل عليهم في القيامة بأن تكمل عقولهم ويدخلون الجنان^(١).

(١) وهو المعروف من رأي الإمامية ، وأول من صرح به منهم هشام بن الحكم على ما يظهر ، وتدل عليه بالإضافة إلى حكم العقل بعض النصوص عن أهل البيت (عليهم السلام) وخالف الأشاعرة عدا أبا الحسن الأشعري الذين قالوا بأن الله تعالى يأمرهم بدخول نار يؤججها يوم القيامة فمن أطاع أدخل الجنة ومن عصى أدخل النار ، وجوز أبو الحسن الأشعري تعذيب الأطفال في القيامة لغيظ آبائهم ، وذهب الخوارج إلى أن حكمهم حكم آبائهم في الدنيا والآخرة من الحكم بكفرهم أو إيمانهم ، ومن نعيمهم أو عذابهم. انظر هشام بن الحكم للمعلق صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٨٧ = ١ ٩٠ .

وأن نعيم أهل الجنة متصل أبدا بغير نفاذ وأن عذاب المشركين والكفار متصل في النار بغير نفاذ. ويجب أن تؤخذ معالم الدين في الغيبة من أدلة العقل وكتاب الله ﷻ والأخبار المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن الأئمة عليهم السلام^(١) وما أجمعت عليه الطائفة الإمامية وإجماعها حجة.

فأما عند ظهور الإمام عليهم السلام فإنه المفزع عند المشكلات وهو المنبه على العقليات والمعرف بالسمعيات كما كان النبي ص. ولا يجوز استخراج الأحكام في السمعيات بقياس ولا اجتهد^(٢).

فأما العقليات فيدخلها القياس والاجتهاد ويجب على العاقل مع هذا كله ألا يقنع بالتقليد في الاعتقاد وأن يسلك طريق التأمل والاعتبار ولا يكون نظره لنفسه في دينه أقل من نظره لنفسه في دنياه فإنه في أمور الدنيا يحتاط ويحترز ويفكر ويتأمل ويعتبر بذهنه ويستدل بعقله فيجب أن يكون في أمر دينه على أضعاف هذه الحال فالغرر في أمر الدين أعظم من الغرر في أمر الدنيا. فيجب أن لا يعتقد في العقليات إلا ما صح عنده حقه ولا يسلم في السمعيات إلا لمن ثبت له صدقه.

(١) ما ذكره المؤلف هو رأي جماعة من علماء الإمامية ، كالشريف المرتضى ، وابن زهرة ، وابن البراج ، والطبرسي ، وابن إدريس وغيرهم ، فقد ذهب هؤلاء إلى عدم اعتبار الخبر الواحد إذا لم يكن مقطوع الصدور عن المعصوم ، وخصوصا اعتباره بما إذا كان قطعي الصدور ، سواء أكان محتفا بقرينة عقلية أو نقلية أخرى ، فالمهم لدى هؤلاء في اعتبار الخبر أن يفضي إلى العلم ، ولو كان ذلك لإجماع أو شاهد عقلي ، بل صرح المفيد في أوائل المقالات بأنه لا يجب العمل بخبر الواحد.

أما المشهور بين الإمامية بل المجمع عليه بين المتأخرين منهم فاعتبار الخبر الواحد لقيام الدليل على حجتيه ، ولكل من الفريقين أدلة على دعواه مذكورة في كتب الأصول.

(٢) المراد بالاجتهاد هنا ليس هو استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية ، وإنما المراد به الاعتماد على الرأي والاستحسان والقياس ، من دون الرجوع إلى القواعد والأصول التي ثبتت حجيتها شرعا

نسأل الله حسن التوفيق برحمته وإلا يحرمنا ثواب المجتهدين في طاعته.

قد أثبت لك يا أخي أيديك الله ما سألت واقتصرت وما أطلت.

والذي ذكرت أصل لما تركت والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم.

فصل في ذكر مولد أمير المؤمنين ص

روى المحدثون وسطر المصنفون أن أبا طالب بن عبد المطلب بن هاشم وامرأته فاطمة بنت أسد بن هاشم رضوان الله عليهما لما كفلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استبشرا بغرته واستبعدا بطلعه واتخذاه ولدا لأنهما لم يكونا رزقا من الولد أحدا.

ثم نشأ عليهم السلام أشرف نشوء وأحسنه وأفضله وأيمنه فرأى فاطمة ورغبتها في طلب الولد وقربانها وقتا بعد وقت فقال لها يا أمه اجعلي قربانك لوجه الله تعالى خالصا ولا تشركي معه أحدا فإنه يرضاه منك ويتقبله ويعطيك طلبتك ويعجله.

فامتثلت فاطمة أمره وقبلت قوله وقربت قربانا مضاعفا وجعلته لله تعالى خالصا وسألته أن يرزقها ولدا صالحا ذكرا.

فأجاب الله عَزَّجَلْ دعاها وبلغها منها ورزقها من الأولاد خمسة عقيلا ثم طالبا ثم جعفرًا ثم عليا ثم أختهم فاختة المعروفة بأم هاني.

فمما جاء في حديثها ^(١) قبل أن ترزق أولادها أنها كانت جلست يوما تتحدث مع عجائز العرب والفواطم من قريش منهن فاطمة ابنة عمرو بن

عائد بن عمران بن مخزوم جدة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبيه فاطمة ابنة زائدة بن الأصم وهي أم خديجة بنت خويلد وفاطمة ابنة عبد الله رزام

وفاطمة

(١) تجد هذا الحديث في كتاب إثبات الوصية للمسعودي صلى الله عليه وآله وسلم ١ ١ ٤ ، وفي بحار الأنوار ج ٣٥ صلى الله عليه وآله وسلم ٤٠ نقله عن الكراجكي في الكنز.

ابنة الحارث بن عكرمة وتما الفواطم التي انتمى إليهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة أم قصي وهي ابنة نضر.
فإنهن جلوس إذ أقبل رسول الله بنوره الباهر وسعده الظاهر وقد تبعه بعض الكهان ينظر إليه ويطيل فراسته فيه إلى أن أتى إليهن فسألن عنه فقلن
هذا محمد ذو الشرف الباذخ والفضل الشامخ فأخبرهن الكاهن بما يعلمه من رفيع قدره وبشرهن بما سيكون من مستقبل أمره وأنه سيبعث نبيا وينال منالا
عليا وقال إن التي تكفله منكن في صغره سيكفل لها ولدا يكون عنصره من عنصره يختصه بسره وبصحبه ويحبوه بمصادقته وإخوته.
فقالت له فاطمة ابنة أسد رضوان الله عليها :

أنا التي كفله وأنا زوج عمه الذي يرجوه ويؤمله.
فقال إن كنت صادقة فستلدين غلاما علاما مطوعا لربه هماما اسمه على ثلاثة أحرف يلي هذا النبي في جميع أموره وينصره في قليله وكثيره حتى
يكون سيفه على أعدائه وبابه لأوليائه يفرج عن وجهه الكربات ويجلو عنه حندس الظلمات تهاب صولته أطفال المهاد وترتعد من خيفته من ^(١) الجلال له
فضائل شريفة ومناقب معروفة وصلة منيعة ومنزلة رفيعة يهاجر إلى النبي في طاعته ويجاهد بنفسه في نصرته وهو وصيه الدافن له في حجرته.
قالت له أم علي عليهم السلام جعلت أفكر في قول الكاهن فلما كان الليل رأيت في منامي كان جبال الشام قد أقبلت تدب وعليها جلايب
الحديد وهي تصبح من صدورها بصوت مهول فأسرعت نحوها جبال مكة وأجابتها بمثل صياحها وأهول وهي كالشرد ^(٢) المحمر وأبو قبيس ينتفض كالفرس

(١) في النسخة (عن) ، وفي اثبات الوصية صلى الله عليه وآله وسلم ١ ١ ٦ : وترتعد من خيفته الفرائض ويوم الجلال.
(٢) هي الناقة التي تعسرت ولادتها فلا يخرج حتى تموت ، كذا في هامش النسخة ، وفي اثبات الوصية صلى الله عليه وآله وسلم ١ ١ ٧ : وهي كالشرر المحمر . والشرد جمع شارد وهو البعير
النافر والمحمر على وزن مكرم الناقة يلتوي في بطنها ولدها.

ونصال تسقط عن يمينه وشماله والناس يلتقطون ذلك فلقطت معهم أربعة أسياف وبيضة حديد مذهبة فأول ما دخلت مكة سقط منها سيف في ماء فغمر وطار الثاني في الجو واستمر وسقط الثالث إلى الأرض فانكسر وبقي الرابع في يدي مسلولا فبينما أنا به أصول إذ صار السيف شبلا فتبينته فصار ليثا مهولا فخرج عن يدي ومر نحو الجبال يجوب بلاطحها ويحرق صلاوحها والناس منه مشفقون ومن خوفه حذرون إذ أتى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقبض على رقبته فانقاد له كالظبية الألوف فانتبهت وقد راعني الزمع والفرع فالتمست المفسرين فطلبت القائفين والمخبرين فوجد كاهنا زجر لي بحالي وأخبرني منامي وقال لي أنت تلدين أربعة أولاد وبنتا بعدهم وإن أحد البنين يغرق والآخر يقتل في الحرب والآخر يموت ويبقى له عقب والرابع يكون إماما للخلق صاحب سيف وحق ذا فضل وبراعة يطيع النبي المبعوث أحسن طاعة.

فقال فاطمة فلم أزل مفكرة في ذلك ورزقت بني الثلاثة عقيلا وطالبا وجعفرًا.

ثم حملت بعلي عليهم السلام في عشر ذي الحجة فلما كان الشهر الذي ولدت فيه وكان شهر رمضان رأيت في منامي كان عمود حديد قد انتزع من أم رأسي ثم سطع في الهواء حتى بلغ السماء ثم رد إلي فقلت ما هذا ف قيل لي هذا قاتل أهل الكفر وصاحب ميثاق النصر بأسه شديد يفرع من خيفته وهو معونة الله لنبيه وتأييده على عدوه.

قالت فولدت عليا عليهم السلام.

وجاء في الحديث.

(١) في البحار : سقطت منها سيف في ماء فغير.

(٢) في إثبات الوصية : فانتثر ، ولعله تصحيف (فانتثر).

(٣) في إثبات الوصية : مستأسدا.

(٤) جمع بلطح وهو المكان الواسع.

(٥) في البحار : صلاطحها وهو بمعنى بلاطم.

(٦) الرمع بالتحريك شبه الرعدة تأخذ الإنسان.

أنها دخلت الكعبة على ما جرت به عادتها فصادف دخولها وقت ولادتها فولدت أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم داخلها وكان ذلك في النصف من شهر رمضان ^(١) ولرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثون سنة على الكمال فتضاعف ابتهاجه به وتمام مسرته وأمرها أن تجعل مهده جانب فراشه.

وكان يلي أكثر تربيته ويراعيه في نومه ويقظته ويحمّله على صدره وكتفه ويحبوه بالطفافه وتحفه ويقول هذا أخي وسيفي وناصري ووصيي. ^(٢) فلما تزوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم خديجة عليهم السلام أخبرها بوجوده بعلي ومحبه فكانت تستزيه فتزيه وتحليه وتلبسه وترسله مع ولاتها ويحمّله خدمها فيقول الناس هذا أخو محمد وأحب الخلق إليه وقرّة عين خديجة ومن اشتملت السعادة عليه.

وكانت ألطاف ^(٣) خديجة تطرق منزل أبي طالب ليلا ونهارا وصباحا ومساء. ثم إن قريشا أصابتها أزمة مهلكة وسنة مجدية منهكة وكان أبو طالب رضي الله عنه ذا مال يسير وعيال كثير فأصابه ما أصاب قريشا من العدم والإضاقة والجهد والفاقة.

فعند ذلك دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمه العباس فقال له يا أبا الفضل إن أخاك أبا طالب كثير العيال مختل الحال ضعيف النهضة والغرمة وقد ناله ما نزل بالناس من هذه الأزمة وذوو الأرحام أحق بالرفد وأولى من حمل الكل ^(٤) في ساعة الجهد فانطلق بنا إليه لنعينه على ما هو عليه فلنحمل عنه بعض أثقاله ونخفف عنه من عياله يأخذ كل واحد منا واحدا من بنيه يسهل عليه بذلك بعض ما هو فيه.

(١) انظر إثبات الوصية للمسعودي صلى الله عليه وآله وسلم ١ ١ ٤.

(٢) المصدر صلى الله عليه وآله وسلم ٧ ١ ١.

(٣) أي هدايا تبه بها.

(٤) الكل : الثقل.

فقال له العباس نعم ما رأيت والصواب فيما أتيت هذا والله الفضل الكريم والوصل الرحيم.

فلقيا أبا طالب فصبوا له ولفضل آباءه ذكره وقالوا له إنا نريد أن نحمل عنك بعض العيال فادفع إلينا من أولادك من يخف عنك به الأثقال.

قال أبو طالب إذا تركتما لي عقيلاً وطالبا فافعلما ما شئتما.

فأخذ العباس جعفراً وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليهما السلام فانتجبه لنفسه واصطفاه لمهم أمره وعول عليه في سره وجهه وهو مسارع لمرضاته موفق السداد في جميع حالاته. ^(٢)

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ابتداء طروق الوحي إليه كلما هتف به هاتف أو سمع من حوله رجفة راجف أو رأى رؤيا أو سمع كلاماً يخبر بذلك خديجة وعلياً عليهما السلام ويستسرهما هذه الحال.

فكانت خديجة تثبته وتصبره وكان علي يهنيه ويشره ويقول له والله يا ابن عم ما كذب عبد المطلب فيك ولقد صدقت الكهان فيما نسبته إليك ولم يزل كذلك إلى أن أمر صلى الله عليه وآله وسلم بالتبليغ فكان أول من آمن به من النساء خديجة ومن الذكور أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعمره يومئذ عشر سنين ^(٣)

(١) في مقاتل الطالبين صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٧ أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ علياً ، وحمزة أخذ جعفراً ، والعباس أخذ طالباً.

(٢) تجد قصة ولادة أمير المؤمنين (عليهم السلام) في اثبات الوصية صلى الله عليه وآله وسلم ١ ١ = ٥ ١ ٢٠ مع اختلاف وزيادة.

(٣) وقال الأصبهاني : وكانت سنة يوم أسلم إحدى عشرة على أصح ما ورد من الأخبار في إسلامه (مقاتل الطالبين صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٧) وتنوع في سنة يوم أسلم ، فقال فرقة كانت سنة يومئذ خمس عشرة سنة ، وقال آخرون ثلاث عشرة ، وقيل إحدى عشر ، وقيل تسع ، وقيل ثمان ، وقيل سبع ، وقيل ست وقيل : خمس (التنبيه والإشراف صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٩٨).

ومما عملته لبعض الإخوان كتاب الإعلام بحقيقة إسلام أمير المؤمنين عليهم السلام وبه نستعين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الجود والإكرام الهادي إلى شريعة الإسلام وصلاته على خيرته من جميع الأنام سيدنا محمد رسوله وأهل بيته المطهرة من الآثام وسلام الله على أول السابقين إسلاما وإيماناً وأخلص المصدقين إقراراً وإذعاناً وأنصح الناصرين سرا وإعلاناً وأوضح العالمين حجة وبرهاناً الذي كان سبقه إلى الدخول في الإسلام وكونه بعد الرسول الحجة على الأنام مشابهاً لخلق آدم صلى الله عليه وآله وسلم في وجود الخليفة قبل المستخلف عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام ذي الفضائل والمناقب ولعنة الله على باغضيه ومنكري فضله وحاسديه.

هذا مختصر جمعت لإخواني فيه من الكلام في إسلام أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم ما يجب الانتهاء إليه والاعتماد في المسألة عليه

فصل يجب أن يقدم القول بأن أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم أسلم

اعلموا أيكم الله أن المخالفين لشدة عداوتهم لأمير المؤمنين ألقوا شبهة موهوا بها على المستضعفين وجعلوا لها طريقاً يسلكها من يروم نفي الإسلام عن أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم.

وذلك أنهم قالوا إنما يصح الإسلام ممن كان كافراً فأما من لم يك قط ذا كفر ولا ضلال فلا يجوز أن يقال إنه أسلم.

وإذا كان علي بن أبي طالب عليهم السلام لم يكفر قط فلا يصح القول بأنه أسلم وهذا ملعنة من النصاب لا تخفى على أولي الأبواب يتشبثون بها إلى القدح في أمير المؤمنين عليهم السلام والراحة من أن يسمعو القول بأنه أسلم قبل سائر الناس.

وقد تعدت هذه الشبهة فصارت في مستضعفي الشيعة ومن لا خبرة له

بالنظر والأدلة حتى أني رأيت جماعة منهم يقولون هذه المقال ويستعظمون القول بأن أمير المؤمنين عليهم السلام أسلم أتم استعظام.
وقد نبهتهم على أن هذه الشبهة مدسوسة عليهم وأن أعداءهم ألقوها بينهم فمنهم من قبل ما أقول ومنهم من أصر على ما يقول.
وقد كنت اجتمعت بأحد الناصرين لهذه الشبهة من الشيعة فقلت له أنقول إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام مسلم؟
فقال لا يسعني غير ذلك.

فقلت له أفتقول إنه يكون مسلما من لم يسلم فقال إن قلت بأنه أسلم لزمني الإقرار بأنه قبل إسلامه لم يكن مسلما.
ولكني أقول إنه ولد مسلما مؤمنا فقلت هذا كقولك إنه ولد حيا قادرا وهو يؤدبك إلى أن الله تعالى خلق فيه الإسلام والإيمان كما خلق فيه القدرة والحياة ويدخل بك في مذهب أهل الجبر ويبطل عليك القول بفضيلة أمير المؤمنين عليهم السلام في الإسلام وما يستحق عليه من الأجر.
فاختر لنفسك إما القول بأن إسلامه وإيمانه فعل الله سبحانه وأنه ولد مسلما ومؤمنا وإن ساقك إلى ما ذكرناه.^(١)
وإما القول بأن الله تعالى أوجده حيا قادرا ثم آتاه عقلا وكلفه بعد هذا فأطاع وفعل ما أمر به مما يستحق جزيل الأجر على فعله في إسلامه وإيمانه من أفعاله الواقعة بحسب قصده وإيثاره وإن أذاك في وجوده قبل فعله إلى ما وصفناه.

فحيره هذا الكلام ولم يجد فيه حيلة من جواب.

ومما يجب أن يكلم به في هذه المسألة أهل الخلاف أن يقال لهم :

لما زعمتم أنه لم يسلم إلا من كان كافرا؟

(١) وهو عدم استحقاقه (عليهم السلام) الأجر على إسلامه لأنه مجبور عليه من فعل الله.

فإن قالوا لأن من صح منه وقوع الإسلام فهو قبله عار منه وإذا عرى منه كان على ضده وضده الكفر. ^(١)
 قيل لهم لم زعمتم أنه إذا عرى منه كان على ضده وما أنكرتم من أن يخلو منهما فلا يكون على أحدهما؟
 فإن قالوا إن ترك الدخول في الإسلام هو ضده لأنه لا يصح اجتماع الترك والدخول فمتى كان تاركاً كان كافراً لأن معه الضد.
 قيل لهم إنما يلزم ما ذكرتم متى وجدت شريعة الإسلام ولزم العمل بها وعلم العبد وجوبها عليه بعد وجودها.
 فأما إذا لم يكن نزل به الوحي ولا لزم المكلف منها أمر ولا نهي فالزامكم الكفر جهل وغي.
 فإن قالوا قد سمعناكم تقولون إن الوحي لما نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتبليغ الإسلام دعا إليه أمير المؤمنين عليهم السلام فلم يجبه عند الدعاء وقال له أجلني الليلة وتعدون هذا له فضيلة وفيه أنه قد ترك الدخول في الإسلام بعد وجوده.
 قلنا هو كذلك لكنه قبل علمه بوجوبه وهذه المدة التي سأل فيها الإنظار هي زمان مهلة النظر التي أباحها الله تعالى للمستدل ولو مات قبل اعتقاد الحق لم يكن على غلط وهكذا رأيناكم تفسرون قول إبراهيم عليهم السلام لما ﴿رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ إلى تمام قصته ع.

(١) هذه الدعوى مبنية على القول بأن التقابل بين الإيمان والكفر تقابل نقیضین أو السلب والإيجاب ، أو تقابل ضدين لا ثالث لهما.
 أما إذا كان التقابل بينهما تقابل عدم وملكة ، أو تقابل ضدين لهما ثالث فلا تصح هذه الدعوى. ويبدو أن طبيعة الجواب مبنية على أن التقابل بينهما تقابل ضدين لهما ثالث ، الذي لا يلزم من نفي أحدهما إثبات الآخر.

وقوله ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. الأنعام : ٧٨ . ٧٩ .

وتقولون إن هذا منه كان استدلالا وهي في زمان مهلة النظر التي وقع عقبيها العلم بالحق.

فإن قالوا فما تقولون في أمير المؤمنين عليهم السلام قبل الإسلام وهل كان على شيء من الاعتقادات؟

قيل لهم الذي نقول فيه إنه كان في صغره عاقلا مميزا وكان في الاعتقاد على مثل ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل الإسلام من استعماله عقله والمعرفة بالله تعالى وحده وإن ذلك حصل من تنبيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتحريك خاطره إليه وحصل للرسول من أُلطاف الله تعالى التي حركت خواطره إلى الإسلام والاعتبار ولم يكن منهما من سجد لوثن ولا دان بشرع متقدم.

فأما الأمور الشرعية فلم تكن حاصلة لهما فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لزم أمير المؤمنين عليهم السلام الإقرار به والتصديق له وأخذ الشرع منه.

وإنما قال له أجلي الليلة ليعتبر فيقع له العلم واليقين مع اعتقاد التصديق لرسول رب العالمين فلما ثبت له ذلك أقر بالشهادتين مجددا للإقرار بالله سبحانه وشاهدا ببعثة رسول الله ص.

فإن قالوا فأنتم إذا تقولون إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسلم وهذا أعظم من الأولى.

قيل لهم إن العظيم في العقول هو الانصراف من هذا القول فإن لم تفهموا فيه حجة العقل فما تصنعون في دليل السمع وقد قال الله عَزَّجَلَّ لنبيه عليهم السلام :

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. الأنعام : ١٤ .

وقوله سبحانه :

﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. الأنعام : ٧١

وقوله ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ آل عمران : ٢٠

ونظير ذلك كثير في القرآن فكيف يصح هذا الإسلام من الرسول ولم يكن قط كافرا وهل بعد هذا البيان شك يعترض عاقلًا؟؟
ثم يقال لهم إذا كان لا يسلم إلا من كان كافرا فما تقولون في إسلام إبراهيم الخليل صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن قط كافرا ولا عبد وثنا حيث ﴿قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ البقرة : ١٣٠ .

فقد تبين لكم أيها الإخوان ثبتكم الله على الإيمان ما تضمنه هذا الفصل من البيان عن صحة إسلام أمير المؤمنين عليهم السلام.
وأنا أتكلم بعد هذا على الذين قالوا إنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أسلم ولكن لم يكن السابق الأول وزعمهم أن المتقدم على جميع الناس أبو بكر.

فصل من البيان عن أن أمير المؤمنين عليهم السلام أول بشر سبق إلى الإسلام بعد خديجة ع

اعلموا أن أهل النصب والخلاف قد حملتهم العصبية والعناد على أن ادعوا تقدم إسلام بي بكر على سائر الناس وإذا هم عرجوا عن طريق المكابرة واطلعوا في السير الطاهرة والأخبار المتواترة والآثار المتظاهرة والأشعار السائرة وأقوال أمير المؤمنين عليهم السلام الظاهرة وجدوا جميع ذلك ناطقا بخلاف ما يزعمون شاهدا بكذبهم فيما يدعون قاضيا بأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام أول ذكر آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسبق إلى الإسلام وأنه لم يتقدمه بشر من الأمة بأسرها غير خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

وقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث يوم الاثنين وفيه أسلمت خديجة وأن أمير المؤمنين عليهم السلام أسلم يوم الثلاثاء.

وروى أصحاب الحديث عن مجاهد عن ابن عباس قال كان علي عليهم السلام يألف النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأتاه فوجده وخديجة يصليان قال ابن عباس وعلي يومئذ ابن عشر حجج فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما هذا قال يا علي هذا دين الله الذي ارتضاه لنفسه وبعث به رسله أَدْعُو إلى الله وحده لا شريك له فقال علي عليهم السلام هذا شيء لم أسمع به قال صدقت يا علي .

فمكث علي تلك الليلة مفكرا فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له لم أزل البارحة أفكر فيما قلت لي فعرفت الحق والصدق في قولك وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنتك رسول الله .

وأخبرني شيخنا المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رضي الله عنه إجازة قال أخبرني أبو الجيش المظفر بن محمد البلخي قال أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي الثلج قال حدثني أبو الحسن أحمد بن القاسم البرقي قال حدثني أسد بن عبيدة عن يحيى بن عفيف عن أبيه قال :

كنت جالسا مع العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بمكة قبل ظهور أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجاء شاب فنظر في السماء حين تحلقت الشمس ثم استقبل الكعبة فقام يصلي ثم جاء غلام فقام عن يمينه ثم جاءت امرأة فقامت خلفهما فركع الشاب فركع الغلام والمرأة ثم رفع الشاب فرفعا ثم سجد الشاب فسجدا فقلت يا عباس أمر عظيم فقال العباس أمر عظيم أتدري من هذا الشاب هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي أتدري من هذا الغلام هذا علي بن أبي طالب ابن أخي أتدري من هذه المرأة هذه خديجة ابنة خويلد إن ابن أخي هذا حدثني إن ربه رب

(١) من تلاميذ أبي سهل إسماعيل بن علي النوبختي كان عارفا بالآخبار متكلمًا توفّي سنة ٣٦٧ هـ وهو أستاذ الشيخ المفيد ، وله كتاب فعلت فلا تلم. وكتاب نقض العثمانية على الجاحظ وكتاب في الإمامة ووصفه ابن النديم بأنه كان شاعرا مجودا في أهل البيت (عليهم السلام) متكلمًا بارعا.

(٢) في الأصل البلخ.

السموات والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه ولا والله ما على ظهر الأرض على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة. ^(١)

وحدثني الشيخ الفقيه أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن شاذان رضي بمكة في المسجد الحرام قال حدثني أحمد بن محمد بن عمران قال حدثنا الحسن بن محمد العلوي قال حدثنا إبراهيم بن عبد الله قال حدثنا عبد الرزاق قال حدثنا معمر بن يحيى بن أبي كثير عن أبيه قال أخبرني أبو هريرة العبدي قال حدثني جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب أقدم أمتي سلما وأكثرهم علما وأصحهم ديناً وأكثرهم يقيناً وأكملهم حلماً وأسمحهم كفاً وأشجعهم قلباً وهو الإمام والخليفة بعدي. ^(١)

وجاء في الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : علي أول من آمن بي وصدقني. ^(٢)

وعن أنس بن مالك أنه قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

إن أول هذه الأمة وروداً علي أولها إسلاماً وإن علي بن أبي طالب أولها إسلاماً فقال له سلمان رض قبل أبي بكر وعمر فقال قبل أبي بكر وعمر.

وعن أنس بن مالك أيضاً أنه قال بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الإثنين وأسلمت خديجة في آخر ذلك اليوم وأسلم علي عليهم السلام يوم الثلاثاء ^(٣).

(١) رواه أبو جعفر الإسكافي المعتزلي في نقضه على كتاب العثمانية للجاحظ انظر : رسائل الجاحظ صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٨ = ١ ٩ جمع ونشر حسن السندوبي.

(٢) رواه في الرياض النضرة ج ٢ صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٥٧ ، انظر : فضائل الخمسة ج (١) صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٨٨ ، وانظر : نقض العثمانية للإسكافي صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٧٠.

(٣) رواه الإسكافي عن جابر وأنس وأبي رافع انظر رسائل الجاحظ صلى الله عليه وآله وسلم ٢٠.

وعن أبي ذر وسلمان جميعا قالا :

أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيد علي عليهم السلام فقال :

ألا إن هذا أول من آمن بي وهذا أول من يصافحني يوم القيامة وهذا الصديق الأكبر وهذا فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل وهذا يعسوب الدين والمال يعسوب الظالمين. ^(١)

وعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة عليهم السلام :

أما ترضين يا فاطمة أني زوجتك أقدمهم سلما وأكثرهم علما وأفضلهم حلما. ^(٢)

وفي رواية أخرى :

زوجتك أقدم المسلمين سلما وأكثرهم علما وأفضلهم حلما. ^(٣)

وعن عكرمة عن ابن عباس قال :

كان لعلي بن أبي طالب أربع مناقب لم يسبقه إليها عربي.

كان أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان صاحب رايته في كل زحف وانهمز الناس يوم المهراس وثبت.

وغسله وأدخله قبره ^(٤) والأخبار في هذا المعنى كثيرة.

فأما المحفوظ من كلام أمير المؤمنين عليهم السلام في ذلك واحتجاجه به في جملة ما له من المناقب.

فمنه ما حدثني به القاضي أبو الحسن أسد بن إبراهيم السلمي الحراني رحمته الله قال حدثني الخطيب العتكي أبو حفص عمر بن علي قال أخبرنا

(١) روي في الإصابة ج ٧ قسم ١ صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٤٧ ، وفي فيض القدير ج ٤ صلى الله عليه وآله وسلم ٣٥٨ انظر : فضائل الخمسة ج ١ . صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٨٩ .

(٢) رواه الإسكافي في نقض العثمانية صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٩ من رسائل الجاحظ.

(٣) المصدر نفسه

(٤) انظر : الإرشاد صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٧ .

أبو بكر محمد بن إبراهيم البغدادي ويعرف ذوران قال حدثنا الخضرمي ويعرف بمطني قال حدثنا سعد بن وحب بن شيبان وعبد الرحمن بن جبلة قال حدثنا نوح بن قيس الطلاح عن سليمان بن غالب عن معادة بنت عبد الرحمن العدوية قالت سمعت عليا عليهم السلام على منبر البصرة وهو يقول أنا الصديق الأكبر وأنا الفاروق بين الحق والباطل أسلمت قبل أن يسلم أبو بكر وآمنت قبل أن يؤمن. ^(١)

وجاء عنه عليهم السلام أنه قال

اللهم لا أعرف أحدا من هذه الأمة عبدك قبلي غير نبيها.

وجرى بينه وبين عثمان كلام فقال له عثمان وعمر خير منك فقال له كذبت بل أنا خير منك ومنهما عبدت الله قبلهما وبعدهما.

وقد تضمن ذكر تقدم إيمانه كثير من أشعاره الواردة في أخباره.

حدثني القاضي السلمي قال أخبرني الخطيب العتكي قال حدثني أبو العباس أحمد بن يحيى الفتات قال حدثنا أبو بكر محمد بن يعقوب الدينوري قال حدثنا محمد بن عبد البلوى الأنصاري قال حدثنا عمارة بن زيد قال حدثنا بكير بن حارثة عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب عن مالك عن جابر بن عبد الله قال سمعت عليا عليهم السلام ينشد ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسمع :

أنا أخو المصطفى لا شريك في نسبي	معته ربييت وسبطاه هما ولدي
جدي وجد رسول الله منفرد	وفاطم زوجتي لا قول ذي فند
صدقته وجميع الناس في بهم	من الضلالة والإشراك ذي النكد
فالحمد لله حمدا لا شريك له	البر بالعبد والباقي بلا أمـد

(١) المصدر صلى الله عليه وآله وسلم ٢٠ باختلاف بالزيادة والنقصان.

قال وتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال صدقت يا علي .
ومنه احتجاجه عليهم السلام على معاوية في جواب كتابه من الشام إليه وقد رام معاوية الافتخار فيه فقال أمير المؤمنين عليهم السلام يفتخر ابن
أكلة الأكباد :

ثم قال عبيد الله بن أبي رافع ^(١) اكتب :

وحمزة سيد الشهداء عمي	محمد النسي أخني وصهري
يطير مع الملائك ابن أمي	وجعفر الذي يضحني ويمسني
من أطاحمها بدمي ولحمي	وبنت محمد سلمي وعرسني
فأيكمل لسه سهم كسهمي	وسبطا أحمد ابناي منها
غلاما ما بلغت أوان حلمي	سبقتكم إلى الإسلام طمرا
خليلي يوم دوح غدير خم ^(٢)	وأوجب لي الولاء علما عليكم

فكان صلى الله عليه وآله وسلم يحتج بتقدم إسلامه على الكافة ويفتخر به في جملة مناقبه على الأمة ويذكره بحضرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دفعة بعد دفعة وبعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الصحابة فما أنكر ذلك قط عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكيف ينكره عليه وهو الشاهد له بذلك ولا قال له أحد من الناس لا نحتج بهذا الكلام فإن أبا بكر هو الذي أسلم قبل جميع الأنام بل يدعن لقوله عليهم السلام الناس ويعلمون صدقه من غير اختلاف ويقولون فيه كما قد قال عليهم السلام.
فمن ذلك قول سفيان بن الحرث بن عبد المطلب :

(١) هو من خواص علي عليه السلام وكتابه ، له كتاب قضايا أمير المؤمنين (عليهم السلام) وكتاب تسمية من شهد معه (عليهم السلام) الجمل وصفين والنهروان من الصحابة ، وأورده ابن حجر في التقريب وقال : كاتب علي عليه السلام وهو ثقة من الثالثة أي أنه مات بعد المائة.
(٢) روى هذه الأبيات المفيد في الفصول المختارة ج ٢ صلى الله عليه وآله وسلم ٧٠ وزاد بيتا في آخرها وهو :
فويل ثم ويل ثم ويل لمن يلقى الإله غدا بظلمه

ما كنت أحسب أن الأمر منتقل عن هاشم ثم منها عن أبي حسن
أليس أول من صلى لقبليتهم وأعترف الناس بالآثار والسنن
من فيه ما فيهم من كل صالحة وليس في القوم ما فيه من الحسن^(١)

وجرير بن عبد الله البجلي يقول فيه مثل ذلك أيضا وقيس بن سعد بن عبادة له فيه أقوال كثيرة وغيرهم ممن شهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسمع منه الأخبار بتقديم إسلامه والحال أشهر عند أهل العلم من أن يستتر وأظهر بين أهل النقل من أن يكتم.

غير أن الناصبة قد غلبها الهوى على التقوى فأثرت الضلال على الهدى.

وقد احتج النصاب في تقديم إسلام أبي بكر بقول حسان :

إذا تذكرت شجوا من أخى ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاهما وأعدهما بعد النبي وأوفاهما بما حملا
الصاحب التالي الممود مشهده وأول الناس منهم صدق الرسلا^(٢)

(١) تجد هذه الأبيات في كتاب سليم بن قيس صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٦ منسوبة للعباس وتجدها في كتاب الجمل للمفيد صلى الله عليه وآله وسلم ٤٣ منسوبة لعبد الله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب مع زيادة بيتين ، وفي تاريخ يعقوبي ج ٢ صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٣٠ ط النجف منسوبة لعتبة بن أبي لهب.

(٢) نجد البيت الأول والثالث في كتاب العثمانية صلى الله عليه وآله وسلم ٢ من رسائل الجاحظ.

واحتجاجهم بقول حسان يدل على عمي القلوب وصدأ الألباب ^(١) أو على تعمد التلبيس على ضعفاء الناس وإلا فلو اعتمدوا الإنصاف علموا أن حسان بن ثابت هو الذي تضمن شعره الإقرار لأمر المؤمنين عليهم السلام بالإمامة والرئاسة على الأنام لما مدحه بذلك يوم الغدير بحضرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رءوس الأشهاد بعد أن استأذن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فإذن له فقال :

يناديهم يوم الغدير نبيهم	نجم وأسمع بالرسول مناديا
يقول فمن مولاكم ونبيكم ^(٢)	فقالوا ولم يمدو هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت نبينا	ولن تجدن منا لك اليوم عاصيا
فقال له قم يا علي فإني	رضيتك من بعدي إماما وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه	فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وليه	وكن للذي عادى عليا معاديا ^(٣)

فصوبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا المقال وقال له لا تزال يا حسان مؤيدا ما نصرتنا بلسانك.

فكيف سمعت الناصبة تلك الأبيات التي رويت لها من قول حسان ولم تسمع عنه هذه الأبيات التي قد سارت بها الركبان بل كيف تثبت لها بما

ذكرته

(١) في النسخة صدى.

(٢) في المسترشد للطبري صلى الله عليه وآله وسلم ٩٦ (ووليكم) بدل نبيكم.

(٣) ذكر الأبيات الأربعة الأولى منها الطبري في المسترشد صلى الله عليه وآله وسلم ٩٦. وانظر : أعلام الورى صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٤٠ فقد ذكر الأبيات كلها.

من شعره أن أبا بكر سبق الناس إلى الإسلام ولم تثبت بما ذكرناه من شعره أيضا أن أمير المؤمنين عليهم السلام لجميع الناس إمام وكيف احتجت ببعض قوله وصدقه فيه ولم تر الاحتجاج ببعض الآخر وكذبت فيه؟

أوليس إذا قالت إنه كذب فيما قاله في علي عليهم السلام في هذه الأبيات أمكن أن يقال لها بل كذب فيما حكيتموه عنه من تلك الأبيات. وإن قالت أن حسانا شاعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولسنا نكذبه لكن نقول إنه كذب عليه في الشعر الذي رويتموه. قيل لها فإن قال لكم قائل مثل هذا الكلام وإنه كذب عليه في الشعر الذي ذكرتموه ما يكون الانفصال. واعلم أنا لم نقل ذلك إلا لنعلمهم لأنه لا حجة في أيديهم وأنه لا فرق بين قولهم وقول من قلبه عليهم. ولسنا ننفي عن حسان الكذب ولا رأينا فيه بحسن وذلك أنه فارق الإيمان وانحاز إلى جملة أعداء أمير المؤمنين عليهم السلام وحصل من عصبية عثمان فهو عندنا من أهل الضلال.

فإن قال قائل كيف تجيزون ذلك عليه بعد ما مدحه به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في يوم غدیر خم وأثنى عليه؟ قلنا إن مدحه وثناؤه عليه كان مشروطا ولم يكن مطلقا. وذلك أنه قال ما تزال مؤيدا ما نصرتنا بلسانك وهذا يدل على أنه متى انصرف عن النصر زال عنه التأييد واستحقاق المدحة وقد انصرف عنها بطعونه على أمير المؤمنين عليهم السلام وانصبابه في شعب عدوه وقعوده في جملة من قعد عن نصرته في حرب البصرة. ويشبه ما قال فيه النبي عليهم السلام قول الله تعالى في ذكر أزواج نبيه ونسائه :

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنَّ أَتَقِيْنَ﴾ الأحزاب : ٣٢

فعلق ذلك بشرط وجود التقوى فإذا عدمت كن كمن سواهن بل كن أسوأ حالا من غيرهن.

واعلم أيديك الله تعالى أنه قد روى المخالفون عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت لما أسلم أبي جاء إلى منزله فما قام حتى أسلمنا وأسلمت عائشة وهي صغيرة.

وروايتهم هذه دليل على تأخر إسلامه وذلك أن مولد عائشة معروف وزمانها معلوم ولدت بعد البعثة بخمس سنين وكان لها وقت الهجرة ثماني سنين وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد الهجرة بسنة ولها يومئذ تسع سنين وأقامت معه تسعا وكان لها يوم قبضه عليهم السلام ثماني عشرة سنة. فإذا كانت يوم إسلام أبيها صغيرة فأقل ما يكون عمرها في ذلك الوقت سنتان وهذا يدل على أن أباهما أسلم بعد البعثة بسبع سنين فهو مقدار الزمان الذي أتت الأخبار بأن أمير المؤمنين عليهم السلام كان يصلي فيه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والناس في بهم الضلال. وسنذكر طرفا مما ورد في ذلك من الأخبار فإذا كان الناس سوى أمير المؤمنين إنما أجابوا إلى الإسلام بعد سبع سنين من مبعث النبي فليس يستحيل أن يكون أبو بكر أحد المستجيبين في هذه السنة وليس ذلك بموجب أن يكون أولهم لأنه قد تناصرت الأخبار بتقديم إسلام جعفر بن أبي طالب عليه بل على غيره من الناس سوى أمير المؤمنين ع.

حدثني القاضي أبو الحسن محمد بن علي بن محمد بن صخر الأزدي = قال حدثنا عمر بن محمد بن سيف بالبصرة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة = قال حدثنا محمد بن أحمد بن سليمان = قال حدثنا محمد بن صفر بن صلصال بن الدهمس بن جهل بن جندل قال حدثني أبو ضو بن صلصال بن الدهمي قال كنت أنصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أبي طالب قبل إسلامي فإني يوما لجالس بالقرب من منزل أبي طالب في شدة القيظ إذ خرج أبو طالب إلي شبيها بالملهوف فقال لي يا أبا الغنصقر هل رأيت هذين الغلامين يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليهما عليهم السلام فقلت ما

رأيتهما مذ جلست فقال قم بنا في الطلب فلست آمن قريشا أن تكون اغتالتهما.

قال فمضينا حتى خرجنا من أبيات مكة ثم صرنا إلى جبل من جبالها فاسترخينا إلى قلة فإذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليه عليهم السلام عن يمينه وهما قائمان بأزا عين الشمس يركعان ويسجدان قال فقال أبو طالب لجعفر ابنه صل جناح ابن عمك فقال إلى جنب علي فأحس بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتقدمهما وأقبلوا على أمرهم حتى فرغوا مما كانوا فيه ثم أقبلوا نحونا فرأيت السرور يتردد في وجه أبي طالب ثم انبعث يقول :

إن عليا وجعفر را ثقتي عند مهم الأمـور والكـرب
لا تخـذلا وانصـرا ابن عمكمـا أخـي لأـمي مـن بـيـنهم وأبي
والله لا يـخذل النـبي ولا يـخذله مـن بـيـن ذـو حـسب^(١)

وقد أنت الأخبار بأن زيد بن حارثة تقدم أبا بكر في الإسلام.

بل روي أن أبا بكر لم يسلم حتى أسلم قبله جماعة من الناس.

وروى سالم بن أبي الجعد عن محمد بن سعد بن أبي وقاص أنه قال لأبيه كان أبو بكر أولكم إسلاما قال لا قد أسلم قبله أكثر من خمسين رجلا.

وأما الأخبار الواردة بأن أمير المؤمنين عليهم السلام صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبع سنين والناس كلهم كانوا ضالين.

فمنها ما أخبرني به شيخنا المفيد أبو عبد الله رض قال أخبرني أبو حفص عمر بن محمد الصيرفي قال حدثنا محمد بن أبي الثلج عن أحمد بن القاسم البرقي عن أبي صالح سهل بن صالح وكان قد جاوز مائة سنة قال سمعت أبا المعمر عباد بن عبد الصمد قال سمعت أنس بن مالك يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلت الملائكة علي وعلى علي عليهم السلام سبع سنين وذلك أنه لم يرفع إلى السماء شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا مني ومن علي (ع).

(١) انظر : العذير ج ٧ صلى الله عليه وآله وسلم ٣٥٦ نقله عن ديوان أبي طالب صلى الله عليه وآله وسلم ٣٦ وعن كتاب الأوائل للعسكري.

ومنه ما روي عن أبي أيوب أنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لقد صلت الملائكة علي وعلى علي سبع سنين لأننا كنا نصلي ليس معنا أحد غيرنا.

وما رواه أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الملائكة صلت علي وعلى علي سبع سنين قبل أن يسلم بشر.

وما رواه عباد بن يزيد قال سمعت عليا عليهم السلام يقول :

لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبع حجج ما يصلي معه غيري إلا خديجة بنت خويلد ولقد رأيته أَدْخَلَ معه الوادي فلا نمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله وأنا أسمع.

وما روى عليهم السلام من قوله :

أنا عبد الله وأنا أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كذاب مفتر صليت قبلهم سبع سنين.

وما رواه أبو رافع قال قال صلى الله عليه وآله وسلم بعثت أول يوم الإثنين وصلت خديجة آخر يوم الإثنين وصلى علي يوم الثلاثاء من الغداة مستخفياً قبل أن يصلي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحد سبع سنين.

فصل في أن إسلامه عليهم السلام كان عن بصيرة واستدلال

اعلم أنه لما توجهت الحجة على المخالفين بتقدم إسلام أمير المؤمنين عليهم السلام على سائر المكلفين قالوا وما الفضيلة في إسلام طفل لم يلحق بدرجة العقلاء البالغين وأي تكليف يتعين عليه يستحق بفعله الأجر من رب العالمين وهل كان إلقاء الإسلام إليه إلا على سبيل التوقيف والتلقين الذي يفعله أحدنا مع ولده لينشأ عليه ويصير له من الألفين؟

وخطأ هؤلاء القوم لا يخفى للمتأملين وضلالهم عن الحق واضح للمنصفين وذلك أن الحال التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ابتداء أمره من كتمان ما هو عليه وستره وصلاته محتفياً في شعاب مكة للمخافة التي كان فيه

والتقية منتظرا لإذن الله تعالى في الإعلان والإظهار فيبيدي حينئذ أمره على تدرج يأمن معه المضار يقضي إلى أن يلقي ذلك إلى الأطفال والصبيان الذين لا عقول لهم يصح معها الكتمان والذين من عادتهم الإخبار بما علموه والإعلان. فإذا علمنا وهذه صورة الحال أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد خص في ابتدائها بالوقوف على سر أحد الأطفال تحققنا أن ذلك الطفل مميز بصحة الفعل والكمال.

وليس يستحيل حصول العقل والتمييز لابن عشر سنين ولا تجويز ذلك في الأمور المستبعدة عند العارفين. والمنكر لذلك إنما يعول على الغالب في المشاهدات والعقل لا يمنع من وجود ما ذكرناه في نادر الأوقات بل لا يمنع من أن يجعل الله تعالى ذلك آية يخرق بها العادات.

وقد أخبر الله سبحانه عن نبيين من أنبيائه عليهم السلام بما هو أعجب من هذا وهما عيسى ويحيى.

فقال حاكيا كلام عيسى عليهم السلام للناس في المهد :

﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾

وقال في يحيى :

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾

فإن قال الخصوم إن هذين نبيان يصح أن يكون لهما الآيات المعجزات قلنا فما المانع من تكميل الله تعالى عقل طفل في زمن نبينا عليهم السلام ومنحه صحة التمييز والاستدلال ويخصه بالتكليف دون جميع الأطفال ويكون ذلك آية ل نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وكرامة له في أخص الناس به. ولوجه آخر من الصلاح يختص بعلمه وليكون مع هذا كله إبانة لوليه الذي هو حجته ووصي نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فما المحيل لما ذكرناه والمانع من كونه كذلك.

أوليس قد روي أن الشاهد الذي شهد من أهلها في قميص يوسف عليهم السلام كان طفلاً في المهدي له سنتان وليس بنبي. وبعد فقد أوجدكم^(١) الله تعالى عياناً من أحد أئمتنا عليهم السلام ما هو أكثر مما أنكرتموه من هذه الحال. وهو أبو جعفر محمد بن علي بن موسى عليهم السلام^(٢) وشهادة المأمون لما عزم على تقريبه ومصاهرته وهو ابن تسع سنين بالعقل والعلم والكمال^(٣) واتفاقهم معه على أن يعقدوا له مجلساً للامتحان وسؤالهم يحيى بن أكثم القاضي في أن يتولى لهم ذلك وبذلهم له الأموال وما جرى له من عجيب الكمال في السؤال والجواب حتى عجز يحيى ووقف في^(٤) يديه وأذعن بالاستفادة منه والرجوع إليه فيما لا يعلمه. وهذا أمر قد شاركتمونا في نقله واتفق أصحاب الحديث^(٥) على حمله. ولسنا نشك في أن هذا العلم والفضل لم يحصل لأبي جعفر عليهم السلام إلا من أحد وجهين^(٦). إما الإلهام فهو إذا معجز بان به من الأنام.

(١) المرجح ان ضمير الجماعة المخاطبة وهو (كم) زائد.

(٢) هو الإمام التاسع أبو جعفر محمد بن علي الملقب بالجواد ولد سنة ١ ٩٥ هـ وتوفي سنة ٢٢٠ هـ

(٣) في النسخة أيضاً الكلام.

(٤) هكذا ورد في النسخة ولعلّ الصواب (بين).

(٥) في النسخة الحديثين.

(٦) في النسخة (لاحد) أيضاً.

(٧) بان أي انفصل وغاير.

وإما عن تلقين وتعليم وكان عمره وقت تلقينه ذلك وهو في وقت المناظرة ابن تسع سنين وقيل ثماني سنين.

أوليس هذا أعجوبة قد نقلتموها وأقرتم بها وسألتموها.

فأخبرونا كيف أقرتم لولد أمير المؤمنين عليهم السلام في زمن المأمون بكمال العقل والعلم وحسن المعرفة والفهم وهو ابن تسع سنين وأنكرتم أن

يصح لأمر المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كمال العقل والتكليف وله عشر سنين؟

فإن قالوا نحن لا نعترف لأبي جعفر عليهم السلام بهذا كانت السير قاضية بيننا وبينهم شاهدة للمحقق ^(١) منا.

ثم يقال لهم إن لم يكن الأمر كما ذكرناه من كمال عقل أمير المؤمنين عليهم السلام وقت دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم له إلى الإسلام وهو

في حال سر وكتمان وخوف من الشرك والضلال أليس يكون قد غرر بنفسه فيما ألقاه إليه وفعل ما يشهد العقل بقبحه وخطأ المقدم عليه حاشا الرسول

صلى الله عليه وآله وسلم مما ينسبونه إليه.

والذي ذكرناه في أمير المؤمنين عليهم السلام أوضح من أن يشتبه الأمر فيه.

أليس هو القائل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنني لم أزل البارحة مفكرا فيما قلت لي فعرفت الحق والصدق في قولك وأنا أشهد أن لا إله إلا

الله وحده لا شريك له وأنت رسول الله.

فوقع منه الإقرار بالشهادة بعد فكر ليلة كاملة.

فكيف تصح من طفل كما زعمتم غير عاقل أن يفكر في صحة النبوة ليلة كاملة حتى حصل له العلم بصدق المخبر بها بعد طول الروية؟

وهل بعد هذا لبس يعترض عاقلا هجر العصبية.

وقد روي أعجب منه عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال إن النبي ص

(١) في النسخة للحق أيضا.

عرض على علي عليهم السلام الإسلام فقال له علي عليهم السلام أنظرنني الليلة فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي أمانة في عنقك لا تخبر بها أحدا

. فلينظر الغافلون إلى هذا الكلام الواقع منهما عليهم السلام وسؤال أمير المؤمنين عليهم السلام له في التأجيل والإنظار.
هذا وهو الذي كفله ورياه ولم يزل طائعا له في جميع ما يأمره ويراه فلما أتاه الأمر رأى أن الإقدام على الإقرار به من غير علم ويقين قبيح سأله التأجيل.

ثم قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم له إنها أمانة في عنقك لا تخبر بها أحدا مما تشهد العقول بأسرها أنه لا يقال إلا لمميز يكون عقله كاملا.
ويزيد هذه الحال أيضا بيانا أنه لما أسلم عليهم السلام كان يخرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى شعاب مكة فمرة يصلي معه ومرة أخرى يرصد له.

حتى روي أن كل واحد منهما كان إذا صلى صاحبه حرسه ووقف يرصد له.
فهل يصح أن يختص بهذا الأمر من لا عقل له لا ولكن قد يخفى صحته عمن لا عقل له.
والعجب أن مخالفينا يدفعون أن يكون إسلام أمير المؤمنين عليهم السلام وهو ابن عشر سنين له فضيلة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يدفع ذلك بل كان يعده له من أول الفضائل ويخبر به إذا مدحه وأثنى عليه في المحافل.
والعجب أنهم ينكرون علينا الاحتجاج بتقدم إسلامه وهو صلى الله عليه وآله وسلم كان يحتج بذلك بين الصحابة ولا ينكره أحد عليه ولا يقول له وما في ذلك من الفضل وإنما أسلمت وأنت طفل لا عقل لك.

فصل في البلوغ

وأما ما ظن الخصوم من أن البلوغ إلى درجة التكليف هو الاحتلام وقولهم أن أمير المؤمنين عليهم السلام لم يكن بلغ وقت إسلامه مبلغ المحتلمين فلا يكون من المكلفين.

فظن غير صحيح ولو كان الأمر كما زعموه لكان كل من بلغ الحلم مكلفا ونحن نعلم فساد ذلك لوجود بالغين من البله والمجانين غير مكلفين. والواجب الذي ليس عنه محيد أن يقال إن وجود العقل في الإنسان وصحة التمييز منه والإدراك شرط في وجوب تكليف العقلية من النظر والاستدلال ومعرفة ما لا يسع جهله من الأمد والواجبات واعتقاد الحق بأسره وإدراك الصواب.

وشرط أيضا في صحة تعلق [تكليف] ^(١) العبادات السمعية وإن كان أكثرها يسقط عمن لم يبلغ الاحتلام ولا ^(٢) يعلم سقوطه إلا من جهة السمع الوارد دون ما سواه.

ولم يكن المشروع ^(٣) كله حاصلا في ابتداء البعثة ولا أتى الوحي وقت إسلام أمير المؤمنين عليهم السلام لجميع العبادات السمعية فيعلم ما هو لازم.

لمن لم يبلغ مما هو غير لازم فأما التكليف الواجب في العقول فلا يجوز أن يسقط عمن له عقل وتحصيل ... ^(٤) إذ هو بلوغ حد التكليف.

وقد بينا أن أمير المؤمنين عليهم السلام كان كامل العقل وهو ابن عشر سنين

(١) النسخة خالية من كلمة تكليف وأضفناها تصحيحا للمعنى.

(٢) في النسخة : وإن يعلم ووضعنا مكانها كلمة (ولا يعلم) تصحيحا للمعنى.

(٣) في النسخة للمشروع.

(٤) هنا كلمتان غير واضحين المراد.

فلزمته ^(١) المعرفة بالله تعالى والرسول وبجميع ما يوجب معرفة العقول ولزمه من التعبد المسموع ما قارن وجهها من المصلحة له وهذا كاف لذوي التحصيل.

وقد أوردت في هذا الكتاب من القول في إسلام أمير المؤمنين عليهم السلام ما فيه منفعة للمؤمنين وحجة على المخالفين ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين.

فصل من كلام أمير المؤمنين عليهم السلام وحكمه.

قال أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم :

لا شرف أعلى من الإسلام ولا كرم أعز من التقوى ولا معقل أحرز من الورع ولا شفيع أنجح من التوبة.

من ضاق صدره لم يصبر على أداء حق من كسل لم يؤد حق الله.

من عظم أوامر الله أجاب سؤاله.

من تنزه عن حرمان الله سارع إليه عفو الله.

من تواضع قلبه لله لم يسأم بدنه طاعة الله.

الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر.

ليس مع قطيعة الرحم نماء ولا مع الفجور غنى.

عند تصحيح الضمائر تغفر الكبائر.

تصفية العمل خير من العمل.

عند الخوف يحسن العمل.

(١) في النسخة فلزمه أيضا.

(٢) في النسخة معرفة المعقول أيضا.

(٣) هنا كلمتان غير واضحتين

(٤) النسخة خالية من كلمة وآله.

رأس الدين صحة اليقين.
أفضل ما لقيت الله به نصيحة من قلب وتوبة من ذنب.
إياكم والجدل فإنه يورث الشك في دين الله.
بضاعة الآخرة كاسدة فاستكثر منها في أوان كسادها.
اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل.
ودخول الجنة رخيص ودخول النار غال.
التقي سائق إلى كل خير.
من غرس أشجار التقى جنى ثمار الهدى.
الكريم من أكرم عن ذل النار وجهه.
ضاحك معترف بذنبه أفضل من باك مدل على ربه.
من عرف عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره.
من نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره.
ومن نظر في عيوب الناس ورضاها لنفسه فذلك الأحق بعينه.
كفاك أدبك لنفسك ما كرهته لغيرك.
اتعظ بغيرك ولا تكن متعظا بك.
لا خير في لذة تعقب ندامة.
تمام الإخلاص تجنب المعاصي.
من أحب المكارم اجتنب المحارم.
جهل المرء بعيوبه من أعظم ذنوبه.
من أحبك نهاك ومن أبغضك أغراك.
ومن أساء استوحش.
من عاب عيب.
ومن شتم أجيب.
أدوا الأمانة ولو إلى قاتل الأنبياء.
الرغبة مفتاح العطب.
والتعب مطية النصب.

الشر داع إلى التقحم في الذنوب.

من تورط في الأمور غير ناظر في العواقب فقد تعرض لمدرجات النوائب.

من أتى ذميا وتواضع له ليصيب من دنياه شيئا ذهب ثلثا دينه.

من لزم الاستقامة لزمته السلامة.

حدثنا الشيخ المفيد أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن شاذان القمي رضي الله عنه بمكة في المسجد الحرام قال حدثني أبو الفرج المعافي بن زكريا قال حدثنا محمد بن أحمد بن أبي الثلج قال حدثنا الحسن بن محمد بن بهرام قال حدثنا يوسف بن موسى الطالقاني قال حدثنا جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

لو أن الغياض أقلام والبحر مداد والجن حساب والإنس كتاب ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب.

وأنشدت لابن وكيع الشاعر ^(٢) في أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم هذه الأبيات :

قالوا علي لما ذا لست تمدحه	فقلت أصبحت في ذا الفعل معذورا
صرفت مدحي إلى من نور مدحته	يعده الناس إسرافا وتبذيرا
ولم أطق مدح من فاتت فضائله	قدر المدايح منظوما ومنثورا
ومن جواد قريضي إن بعثت به	في مدحه من علاه عاد محسورا

(١) في النسخة وأنشدت بيتين ، وهو زيادة من الناسخ.

(٢) هو أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن محمد خلف البغدادي أحد الشعراء البارعين توفي بمدينة تنيس من ديار مصر بالقرب من دمياط سنة ٣٩٣ هـ. له ديوان شعر ومن شعره :

لقد قنععت هممتي بالخمبول	وحسدت عن الرتب العالبيسة
وما جهلت طعم طيب العسلا	ولكنها تضر العافبيسة

ووكيع لقب جده أبي محمد بن خلف وكان فاضلا عالما بالقرآن والفقه والنحو والسير وله مصنفات توفي سنة ٣٠٦ هـ.

أزعم الغيث يحيي الأرض وابلله
ما زلت ذاك وذا بالوصف منهية
متي صرفت إليه الشعر امدحه
وظلت أتعب فيمن ليس يرفعه
سارت مآثره بالفضل ظل ظاهرة
وأصبح الوصف منه لاستفاضته
يعد جهدي تقصيرا بمدحته
وأظنه بنى على قول المتنبي :

وتركت مدحي للوصفي تعمدا
وإذا استقل^(٢) الشيء قام بنفسه
وفي هذا المعنى لأبي نواس في الرضا ع :

قيل لي لم تركت مدح ابن موسى
قلت لا أهتدي لمدح إمام
ولبعضهم :

لا يبلغن مدح النبي وآله
رجل يقول إذا تكلمم قال لي
ومن ملحق ما وجدته لابن الرومي :

لي أحمدان لديناي وآخـرتي
من خاتم الملك في الدنيا بخصـره
تعلقـت راحتي منهم بأربعة
منهم باثنين ما استسمحت يسمح لي
فللشفاعة حسبي أحمد وعلي

أم أزعم البدر قد عم السورى نورا
ولا أتيت بفضـل كان مسـتورا
شهرت من وصفه ما كان مشهورا
مدحي وانشـر فضـلا كان منشـورا
فما ترى لمديح فيه تأثـيرا
كاللفظ كـرر في الأسماع تكريـرا
ولست أرضى بجهـد عد تقصـيرا

إذ كان نورا مستقلا كاملا^(١)
وأرى صفات الشمس تذهب باطلا

والخصال التي تجمعن فيه
كان جبريل خادما لأبيه

قوم إذا ما بالمدائح فـاهوا
جبريل أخـبرني بـذاك الله

ولي عليان فـانظر من أعـدت ولي
ومن على كتفيه خاتم الرسل
إن عشت أو مت للتأميل والأمل
كما باثنين ما استشفعت يشفع لي
وللمعيشة حسبي أحمد وعلي

(١) في ديوان المتنبي والمحفوظ هكذا : إذ كان نورا مستطيلا شاملا).

(٢) في الديوان والمحفوظ : وإذا استطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا.

فصل في فضل اقتناء الكتب

قال بعض الحكماء الكتب أصداف الحكم تنشق عنها جواهر الشيم.

وقيل لآخر ما بلغ من شهوتك للكتب ورغبتك في قراءتها فقال إذا نشطت فهي لذتي وإذا اغتممت فهي سلوتي.

وقال آخر ما ورثت الأسلاف للأخلاف كنوزا أفضل من الكتب ولا حلت الآباء الأبناء حليا أجمل من الأدب.

وليم آخر على إنفاذ المال في الكتب وترك الولد بغير عقل فقال إني أعتقد لهم كتب علوم تخلص أرواحهم لأعق أموال تنعم أشباحهم.

وقيل لآخر فلان مات وما خلف لولده إلا كتباً فقال لقد خلف لهم مآثر لا تعفوها الأيام وترك لهم موارث لا تنفدها الأعوام.

وقال بعض المصنفين في فضل الكتب واقتنائها :

اعلم أن الكتاب قيد على الناس علم الدين وأخبار الأولين مع خفة محمله وصغر جثته صامت ما أسكته بليغ ما استنطقته ومن بمسامر لا يبتديك

في حال شغلك ولا يدعك في أوقات نشاطك ولا يحوجك إلى التجمل له والتذمم منه.

ومن لك بزائر إن شئت جعل زيارته غبا ووروده حبا وإن شئت لزمك لزوم ظلك فكان منك مكان بعضك.

والكتاب هو الذي إذا نظرت فيه أطل إمتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجود بيانك وفخم ألفاظك وعمر صدرك ومنحك صداقة الملوك

وتعظيم العوام وعرفت به في شهر ما لا تعرفه من أفواه الرجال في دهر.

(١) في النسخة : جسما.

قال والكتاب هو الذي يطيعك بالليل كطاعته بالنهار ويطيعك في السفر كطاعته في الحضر لا يقصر عنك بنوم ولا يعتز به ملال وهو المعلم الذي إن افتقرت إليه لم يحقرك وإن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة وإن عدلت عنه لم يدع طاعتك وإن هب ريح أعدائك لم ينقلب عليك ومتى كنت منه متعلقا بسبب ومعتصما بحبل لم تضطرك معه وحشة الانفراد إلى الجليس السوء.

ولو لم يكن من فضله عليك وإحسانه إليك إلا منعه لك من الجلوس على بابك والنظر إلى المارة بك مع ما في ذلك من التعرض للحقوق في فضول النظر وملابسة صغار الناس وحضور ألفاظهم الساقطة وأخلاقهم الرديئة لكان في ذلك السلامة يوم القيامة ونعم الجليس.

وقال في هذا المعنى :

والكتاب نعم الذخر والقعدة ونعم الجليس والعقدة ونعم السيرة والنزهة ونعم الشغل والحرفة ونعم الأنيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل ونعم الوزير والزميل والكتاب وعاء مليء علما وظرف حشي ظرفا وإناء شحن مزاحا وجدا إن شئت كان أبين من سحبان وائل^(١) وإن شئت كان أعني من باقل^(٢) وإن شئت ضحكت من نوادره وإن شئت عجبت من غرائب فوائده وإن شئت ألهتك نوادره وإن شئت أشحتك مواعظه.

وبعد فمتى رأيت بستانا يخمل في ردن وروضة تنقلب في حجر ينطق عن الموتى ويترجم كلام الأحياء.

ومن لك بمؤنس لا ينطق إلا بما تهوى آمن من في الأرض وأكتم للسر من صاحب السر.

(١) هو من السنة الجاهليين وخطباء الإسلام ويضرب فيه المثل في الفصاحة والبيان توفّي سنة (٥٤ هـ) = (٦٧٣ م) وفي النسخة (من تيجان وائل).

(٢) هو بأقل بن عمرو بن ثعلبة الإيادي يضرب فيه المثل في العي والفهاهة.

وقال لا أعلم جاراً أبر ولا خليطاً أنصف ولا رفيقاً أطوع ولا معلماً أخضع ولا صاحباً أظهر كفاية وأقل جناية ولا أقل ملالاً وإبراماً وخلافاً وجزافاً ولا أقل غيبة ولا أبعد من مرأى ولا أترك لشغب ولا أزهد في جدل ولا أكف عن قتال من كتاب.

ولا أعلم قريناً ولا أحسن موافاة ولا أعجل مكافاة ولا أحضر معرفة ولا أخف مئونة ولا شجراً أطول عمراً ولا أطيب ثمراً ولا أقرب مجتنى ولا أسرع إدراكاً ولا أوجد في كل أوان من كتاب^(١)

وأنشد بعضهم :

وإذا الهموم تضيقتك ولم تجد	أحداً وممل فؤادك الأصحابا
فاعمد إلى الكتب التي قد ضمنت	أوراقها الأشعار والآدابا
فهني التي تنفسي الهموم ولم تجد	أحداً لله أدب يمل كتابا

فصل :

حكى شيخنا المفيد رضي الله عنه في بعض كتبه^(٢)

قال قد ألزم الفضل بن شاذان رحمته الله فقهاء العامة^(٣) قولهم في الميراث أن يكون نصيب بني العم أكثر من نصيب الولد واضطربهم إلى الاعتراف بذلك فقال :

(١) أحسب أن هذا الفصل في وصف الكتاب هو من إنشاء المؤلف ، لأنه بأسلوبه أشبه.

(٢) وهو كتاب الفصول المختارة ج ١ صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٢٣ = ١ ٢٤ .

(٣) في النسخة : الناحية والتصحيح مطابق لما في الفصول المختارة. والفضل بن شاذان النيسابوري الأزدي المتوفي عام (٢٦٠ هـ) وهو من شيوخ الفقه والكلام والآثار الشيعية ، وله مؤلفات كثيرة أنهاها مترجموه إلى مائة وثمانين كتاباً.

خبروني عن رجل توفي وخلف ثلاثين ألف درهم وخلف ثماني وعشرين بنتا وابنا واحدا كيف تقسمون الميراث؟ فقالوا نعطي الولد الذكر ألفي درهم ونعطي كل بنت ألف درهم فيكون للبنات ثمانية وعشرون ألف درهم على عددهم ويحصل الذكر ألفا درهم فيكون له ما قسمه الله عَزَّوَجَلَّ وأوجبه في كتابه من قوله و ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ مِثْلِ الْأُنثَيَيْنِ﴾.

قال لهم فما تقولون لو كان موضع الابن ابن عم كيف تقسم الفريضة؟ فقالوا نعطي ابن العم عشرة آلاف درهم ونعطي البنات كلهن عشرين ألف درهم. فقال لهم الفضل بن شاذان رحمه الله فقد صار ابن العم أوفر حظا من الابن للصلب والابن مسمى في التنزيل متقربا بنفسه وبنو العم لا تسمية لهم وإنما يتقربون بأبيهم وأبوهم يتقرب بجده والجد يتقرب بأبيه وهذا نقض للشرعية.

قال شيخنا المفيد رضي الله عنه :

وإنما لزمتم هذه الشناعة فقهاء العامة خاصة لقولهم بأن من عدا الزوج والزوجة والأبوين يرثون مع الولد على خلاف مسطور الكتاب والسنة وإنما أعطوا ابن العم عشرة آلاف درهم في هذه الفريضة من حيث تعلقوا بقوله تعالى ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ فلما بقي الثلث أعطوه لابن العم فلحققتهم هذه الشناعة المخرجة لهم من الدين ونجت الشيعة من ذلك والحمد لله ^(١).

ووجدت في أمالي ^(٢) شيخنا المفيد رضي الله عنه :

(١) انظر : الفصول المختارة ج ١ صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٢٢.

(٢) هذا موجود في الفصول المختارة ج ١ صلى الله عليه وآله وسلم ٤٤.

أن أبا الحسن علي بن ميثم رضي الله عنه دخل على الحسن بن سهل وإلى جانبه ملحد قد عظمه والناس حوله فقال له :

قد رأيت عجباً قال وما هو قال رأيت سفينة تعبر الناس من جانب إلى جانب بغير ملاح ولا ماصر.

قال فقال الملحد إن هذا أصلحك الله لمجنون.

قال وكيف؟

قال لأنه يذكر عن خشب جماد لا حيلة له ولا قوة ولا حياة فيه ولا عقل أنه يعبر الناس ويفعل فعل الإنسان كيف يصح هذا؟

فقال له أبو الحسن فأیما أعجب هذا أو هذا الماء الذي يجري على وجه الأرض يمنة ويسرة بلا روح ولا حيلة ولا قوى وهذا النبات الذي يخرج من

الأرض والمطر الذي ينزل من السماء كيف يصح ما تزعمه من أن لا مدبر له كله وأنت تنكر أن تكون سفينة تتحرك بلا مدبر وتعبر الناس بلا ملاح.

قال فبهت الملحد.

فصل أجبت به بعض الإخوان عن ثلاث آيات من القرآن

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الحمد لله الموفق للسداد وصلواته على حججه في العباد مولانا محمد خاتم النبيين وآله الطاهرين.

هذه ثلاث آيات من القرآن سأل عنها بعض أهل الإيمان أوضحت معانيها وما يتعلق به المخالفون منها وأجبت عن ذلك بما اقتضاه الصواب على

سبيل الاختصار دون الإطناب.

(١) هو عليّ بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم الثمار الكوفيّ صاحب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وتوفيّ سنة (١٧٩ هـ) ، وهو من متكلمي الشيعة البارزين في عصر الرشيد. وله عدة مؤلّفات.

(٢) في النسخة : قد أعظم الناس حوله وصوبناه اعتماداً على النصّ الوارد في الفصول المختارة.

الآية الأولى قول الله عَزَّوَجَلَّ :

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ الأعراف : ١٥٥

المواضع المسئول عنها من هذه الآية التي يتعلق بها المخالفون منها ثلاث مواضع.

أحدها قول موسى عليهم السلام أفتهلكنا بما فعل السفهاء منا فيقولون : كيف خفي على نبي الله أنه لا يجوز في العدل والحكمة أخذ العبد بجرم غيره.

الثاني قوله ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ فرعمت المجرة أن في هذا دلالة على أن الله تعالى يفتن العباد الفتنة التي هي الإضلال.

الثالث قوله تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء قالوا وهذا بيان أنه سبحانه يفعل في طائفة من عباده الضلال ويحرمهم الإيمان ويخص الأخرى بالهدى ويجنبها الضلال.

الجواب :

أما قول موسى عليهم السلام ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ ففيه وجهان :

أحدهما أن الهلاك هنا هو الموت قال الله تعالى ﴿إِنْ أَمْرُهُ هَلَكٌ لَّيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾^(١) يعني مات فكان موسى عليهم السلام قال على سبيل السؤال أتميتنا مع هؤلاء السفهاء وليس الموت الذي سأل عنه عقوبة بل على ما جوزه من اتفاق حضور الميتة كما اتفق هلاك العالمين في طوفان نوح عليهم السلام إلا من حملت السفينة فكان هلاك الكفار منهم عقوبة لهم وهلاك الأطفال والبهائم ومن لا تكليف عليه معهم لحضور آجالهم.

(١) سورة النساء ١ ٧٦

وقال في الهدى :

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ المائدة : ١٦

وقال ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ التغابن : ١١

فأوضح بهذه الآيات المفسرة عما ذكره في تلك الآيات المجملة.

فأما هذا الضلال منه والهدى فهو يحتمل وجوها منها أن يكون الإضلال العقاب والهدى الثواب وجاز ذلك في الكلام لأن الجزاء عندهم على الشيء يسمى باسم ذلك الشيء على طريق الاتساع وله نظائر في القرآن.

ومنها أن يضل العصاة عن الألفاظ في الدنيا التي وعد بها أهل الإيمان.

ومنها للتسمية فقد يقال أكذبني فلان إذا سمانى كاذبا وأضلني إذا سمانى ضالا قال الشاعر^(١)

وطائفــــــــــــــــة قــــــــــــــــد أكفــــــــــــــــروني بحــــــــــــــــكم وطائفــــــــــــــــة قــــــــــــــــالوا مســــــــــــــــيء ومجــــــــــــــــرم^(٢)

الآية الثانية

قوله سبحانه :

﴿وَكَتُبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَالٌ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ

الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾. الأعراف : ١٥٦

المواضع المسئول عنها من هذه الآية.

الذي يسأل عنه من معانيها.

(١) هو الكميث بن زيد الأسدي من ألمع شعراء الدولة الأموية وكان عالما بلغات العرب وأيامهم خصّ أكثر شعره في مدح أهل البيت (عليهم السلام) وأفضله الهاشميات المشهورة توفي سنة ٢٦١ هـ

(٢) هو مذهب لا مجرم ، وهو من قصيدته البائية التي أولها :

طريــــــــــــــــت ومــــــــــــــــاشــــــــــــــــوقا إلى البيــــــــــــــــت أطــــــــــــــــرب ولا لعبــــــــــــــــاشــــــــــــــــامــــــــــــــــني وذو الشــــــــــــــــبيب يلعبــــــــــــــــب

قوله ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ وما في معناه في اللغة.

وقوله ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ فهو مما ينتسب به المجبرة.

وقوله ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فقد قال بعض الملحدة إذا كانت رحمته وسعت كل شيء فكيف لم تسع الكافر الذي لم يرحمه؟

الجواب.

أما قوله ﴿هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ فمعناه تبنا إليك.

وأما قوله ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ فالكلام فيه كالكلام في الضلال والهدى وقد تقدم من الكلام في ذلك ما يستدل به على أنه تعالى لا يشاء

أن يعذب إلا من عصى.

وأما قوله ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ففيه وجهان.

أحدهما أن نعمه سبحانه في الدنيا قد شملت الخلائق ووسعت العباد وسيكتبها في الآخرة للذين يتقون ويكونون على ما نعتهم من الصفات.

والوجه الآخر أنه أراد بقوله وسعت كل شيء أن رحمته تسع الخلائق لو دخلوها ولا تقصر عنهم لو عملوا لها غير أنه لا يكتبها إلا لمن اتقى وفعل

الحسن.

الآية الثالثة

قول الله تعالى :

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

الأعراف : ١٥٧

المواضع المسئول عنها من هذه الآية

منها قوله تعالى ﴿النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾ فقد ظن قوم أنه أراد بذلك عدم علمه بالخط.

ومنها قوله تعالى ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ ما هذا الإصر والأغلال التي كانت عليهم؟
ومنها قوله ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ فقد تأول قوم ذلك في أبي بكر وعمر وعثمان.
ومنها النور الذي كان معه عليهم السلام ما هو ليقع العلم به.

الجواب

أما قوله سبحانه ﴿الْأُمِّيَّ﴾ فإنما نسبه إلى أم القرى وهي مكة قال الله تعالى ﴿لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

وأهلها هم الأميون قال الله تعالى

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ الجمعة : ٢

وهذا كاف في إبطال ما ظنوه.

وأما الإصر هاهنا [ف] هو الثقل والأثقال التي كانت عليهم والأغلال يحتمل أن تكون الذنوب التي اقترفوها في حال الكفر والضلال فأخبر الله سبحانه أنه يضعها عنهم إذا آمنوا به وبرسوله عليهم السلام وأما قوله ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

فهو مدح لمن كان على هذه الصفات وليس فيه تسمية لأحد يزول معها الإشكال ولا على ما ادعاه المخالفون في ذلك دليل إجماع.

ومن سبر الأخبار واطلع في صحيح السير والآثار علم أن أبا بكر وعمر وعثمان معرون من هذه الصفات.

وهذا باب يتسع فيه الكلام والواجب مطالبة من ادعى أن هذه الآية فيهم بدليل على دعواه يصح بمثله الاحتجاج فأما الآية نفسها فلا تدل على ذلك.

وأولى الأشياء أن يكون المدح فيها للذين حصل الاتفاق على استحقاقهم ما

تضمنته من الصفات ممن لا ريب في صحيح إيمانهم وعالي نصرتهم وجهادهم من أهل البيت عليهم السلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحرث بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب ومن الصحابة الأخيار والنجباء الأطهار زيد بن حارثة وخباب وعمار بن ياسر وسعد بن معاذ والمقداد وسلمان وأبو ذر وأبو أيوب الأنصاري وأبو الهيثم بن التيهان وخزيمة بن ثابت ذو الشهاداتين وابنا سهل وعثمان ومن في طبقتهم من أهل الإيمان رحمة الله عليهم أجمعين.

وأما النور الذي أنزل معه فهو القرآن ولم يسم بذلك لأن فيه أجساما من الضياء لكن لما يتضمنه من الحجج والبيان الذي يستنار به في شريعة الإسلام.

وقد سماه الله تعالى نورا في موضع آخر فقال :

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ المائدة : ١٥

وقال أيضا :

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ المائدة : ٤٦

ولم يرد أن فيها أجساما من الضياء وإنما أراد ما ذكرنا.

فهذا مختصر من الكلام في معاني هذه الآيات والحمد لله الموفق للصواب وصلى الله على خيرته من خلقه محمد رسوله وآله.

ووجدت في بعض الأناجيل مكتوبا :

أن المسيح عليهم السلام قال وحقا أقول لست الشارب مما لفظته الكروم حتى أشرب ذلك غدا في الملكوت.

وفي هذا على النصارى حجتان :

أحدهما أن المسيح عليهم السلام كان لا يشرب الخمر وهو خلاف ما رووه عنه من قوله في لحم الخنزير والخمر :

هذا لحمي فكلوه وهذا دمي فاشربوه.

والحجة الأخرى أن في الجنة شرباً وإذا كان فيها شرب كان فيها أكل وليست تذهب النصارى إلى هذا.

فأما روايتهم عنه عليهم السلام أنه قال :

هذا لحمي فكلوه وهذا دمي فاشربوه فإنه يحتمل وجهها من التأويل ويكون معناه التهديد وإن كان بلفظ الأمر كما يقول أحدنا لمن يتهدده بعمل ما شئت وهو لا يريد أمره.

ويقوي هذا التأويل ما تضمنه الخبر عن قوله :

هذا لحمي وهذا دمي ونحن نعلم أن لحمه ودمه محرمان فيصح بما ذكرناه من أن المراد بالخبر التهديد. ^(١)

واعلم أنا لم نتأول هذا الخبر توقفاً عن رده وأنا لنعلم أنهم متهمون فيما يروون وإنما تأولناه تصرفاً في النظر وإقامة الحجة على الخصم فأما ما في القرآن من التهديد الذي هو بلفظ الأمر فواضح أحدها قول الله سبحانه لإبليس :

﴿أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ الإسراء : ٦٤

وقوله تعالى :

﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فصلت : ٤٠

مسألة :

إن سأل سائل عن قول الله تعالى في موضع من ذكر موسى عليهم السلام :

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا هَئِرًا كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ النمل : ١٠.

وعن قوله في موضع آخر :

(١) وبعبارة أوضح أن المراد به هو الزجر عنهما ، على معنى إن ساغ لكم أكل لحمي فكلوا لحم الخنزير ، وإن ساغ لكم شرب دمي فاشربوا الخمر.

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ الشعراء : ٣٢

وقال ما معنى هذا الاختلاف في وصف العصا وقد أخبر في إحدى الآيتين أنها كانت كالجان والجان الحية الصغيرة وذكر في الآية الأخرى أنها ثعبان مبین والثعبان الحية العظيمة فكيف تكون في خبر واحد بهاتين الصفتين المتباينتين؟
جواب قلنا قد أجيب عن هذا السؤال بأن موسى عليهم السلام لما ألقى العصا جعلها الله تعالى على صفة الجان في سرعة حركتها وقوتها وكثرة نشاطها وعلى صفة الثعبان في عظم خلقها وهول منظرها وكبر جسمها فاجتمع فيه الوصفان لها فليس تشبيهها لها بالجان في إحدى الآيتين بموجب أن يكون لشبهة في جميع صفاته ولا تشبيهه لها بالثعبان في الآية الأخرى بدليل على أنها تماثله في سائر حالاته وعلى هذا الجواب لا تباين في الآيتين بحمد الله ومنه.

ووجه آخر

وقد أجيب عن ذلك بجواب آخر وهو أن الآيتين ليستا خبرا عن حالة واحدة بل لكل واحدة منهما حال منفردة.
فالحال التي كانت العصا فيها كأنها جان كانت في ابتداء النبوة وقبل مصير موسى عليهم السلام إلى فرعون مؤديا للرسالة.
والحال التي صارت العصا فيها ثعبانا كانت عند لقائه وإبلاغه الرسالة وعلى هذا تدل التلاوة ولم يبق في المسألة شبهة والمنة لله.

فصل

وروي في الحديث أن فضال بن الحسن بن فضال الكوفي مر بأبي حنيفة وهو في جمع كثير يملئ عليهم شيئا من فقه حديثه فقال فضال لصاحبه كان معه والله لا أبرح حتى أخجل أبا حنيفة.

فقال صاحبه إن أبا حنيفة من قد علمت حاله وظهرت حجته.

فقال فضال هل علت حجة على المؤمن؟

ثم دنا منه فسلم عليه وقال يا أبا حنيفة يرحمك الله إن لي أخا يقول إن خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب وأنا أقول أبو بكر وبعده عمر فما تقول أنت يرحمك الله؟

فأطرق أبو حنيفة مليا ثم رفع رأسه فقال :

كفى بمكانهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كرما وفخرا أما علمت أنهما ضجيعاه فأبي حجة أوضح لك من هذا؟

فقال له فضال إني قد قلت لأخي هذا فقال والله لئن كان الموضع ل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دونهما فقد ظلما بدفنهما في موضع ليس لهما وإن كان لهما فوهبا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقد أساءا وما أحسنا في ارتجاعهما هبتهما ونكثهما عهدهما.

فأطرق أبو حنيفة ساعة ثم قال لم يكن لهما خاصة ولكنهما نظرا في حق عائشة وحفصة فاستحقا الدفن في ذلك الموضع بحق ابنتيهما.

فقال فضال قد قلت له ذلك فقال أنت تعلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مات عن تسع فنظرنا فإذا لكل واحدة منهن تسع الثمن ثم نظرنا في تسع الثمن فإذا هو شبر في شبر فكيف يستحق الرجلان أكثر من ذلك وبعد فما بال عائشة وحفصة ترثان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة ابنته تمنع الميراث.

فصاح أبو حنيفة يا قوم نحوه عني فإنه رافضي^(١)

فصل :

حدثني الحسين بن محمد بن علي الصيرفي قال حدثني القاضي أبو بكر محمد بن عمر المعروف بالجعابي قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن سليمان بن محبوب قال حدثنا أحمد بن عيسى الحري قال حدثنا إسماعيل بن يحيى عن ابن جريح عن

(١) هذا مذكور في الفصول المختارة ج ١ صلى الله عليه وآله وسلم ٤٢ = ٤٣ . وتجده أيضا في احتجاج الطبرسي صلى الله عليه وآله وسلم ٢٠٧ انظر البحار ج ٤٧ صلى الله عليه وآله وسلم ٤٠٠ هامش.

عطا عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة بدر قائما يصلي ويبيكي ويستعبر ويخشع ويخضع كاستطعام المسكين ويقول اللهم أنجز لي ما وعدتني ويخر ساجدا ويخشع في سجوده ويكثر التضرع فأوحى الله تعالى إليه قد أنجزنا وعدك وأيدناك بآبن عمك علي ومصارعهم على يديه و ﴿كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ به فعلينا فتوكل وعليه فاعتمد فأنا خير من توكلت عليه وهو أفضل من اعتمد عليه.

وحدثني القاضي أبو الحسن أسد بن إبراهيم السلمي الحراني نزيل بغداد قال أخبرني أبو حفص عمر بن علي العتكي الخطيب قال قرأت على الحسن بن أحمد البالسي حدثكم ^(١) أبو أمية محمد بن إبراهيم قال حدثنا أبو عاصم النبيل عن أبي الجراح عن جابر بن صبيح عن أم سرحيل عن أم عطية أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث عليا عليهم السلام في سرية قالت فرأيت رافعا يده يقول اللهم لا تمتني حتى تريني عليا.

وبإسناده عن العتكي قال حدثني سعيد بن محمد قال أخبرنا محمد بن عبد الحضري قال حدثنا عباد بن يعقوب قال حدثنا علي بن عباس عن الحارث بن حميرة عن القاسم بن جندب قال سمعت رجلا من خثعم يقول :

سمعت أسماء بنت عميس قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بثبير وهو يقول :

أشرق ثبير اللهم إني أسألك بما سألك به أخي موسى أن تشرح لي صدري وأن تيسر لي من أمري وأن تحلل ﴿عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ وأن تجعل لي ﴿وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي﴾ عليا أخي ﴿أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾.

وبإسناده أيضا عن العتكي قال أخبرني محمد بن صفوة قال حدثني الحسن بن علي العلوي قال حدثني أحمد بن العلاء قال حدثنا صباح بن يحيى

المري

(١) هكذا في النسخة.

قال حدثني خالد بن يزيد عن أبي جعفر محمد بن علي عن أبيه عن الحسين بن علي عن أبيه عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الأحزاب :

اللهم إنك أخذت مني عبيدة بن الحرث يوم بدر وحمزة بن عبد المطلب يوم أحد وهذا أخي علي بن أبي طالب ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾^(١)

فصل :

روي في الحديث أنه لما أتت الأحزاب وحاصرت المدينة وأقامت عليها بضعا وعشرين ليلة طاف المشركون بالخندق فلم يكن منهم من يقدم عليه غير عمرو بن عبد ود فإنه ضرب فرسه فعبّر به عرضه وحصل في حيز المدينة فأخذ يزجر في ممره ومجيئه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وينادي بالبراز ولا يجيبه أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه وهم مطيفون به أيكم برز إلى عمرو أضمن له على الله الجنة فلم يجبه منهم أحد هيبة لعمرو واستعظاما لأمره فقام علي بن أبي طالب عليهم السلام فقال له اجلس ونادى أصحابه دفعة أخرى فلم يقم منهم أحد والقوم ناكسو رؤوسهم فقام علي بن أبي طالب عليهم السلام فأمره بالجلوس ونادى الثالثة فلما لم يجبه أحد سواه استدناه وعممه بيده وأمره بالبروز إلى عدوه فتقدم إليه ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول برز الإيمان كله إلى الشرك كله وكان عمرو حينئذ يرتجز ويقول :

ولقد بححت من النداء	بجمعكم هل من مبارز
ووقفتم إذ جبن الشجاع	موقف الخصم المنجأ
إني كذلك لم أزل	متسرعاً نحو الهزأ
إن الشجاعة في الفتي	والجود ممن كرم الغرائز

فتقدم إليه أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول :

(١) روي بعضه في منتخب الكنز صلى الله عليه وآله وسلم ٣٥ انظر حياة أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم ٢٤٥

لا تعجلن ففقد أذاك مجيب صـوتك غـير عـاجز
ذو نية وبصيرة والصـدق منجـي كـل فـائز
إني لأرجو أن تقـوم عليـك نائـحة الجنـائز
مـن طعنـة نجـلاء يـقـى ذكرهـا بـين الهـزاهـز

ثم جادله فما كان بأسرع من أن صرعه أمير المؤمنين وجلس على صدره فلما هم أن يذبجه وهو يكبر الله ويحمده قال له عمرو يا علي قد جلست مني مجلسا عظيما فإذا قتلني فلا تسلبني حليتي فقال له أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم هي أهون علي من ذلك وذبحه وأتى برأسه وهو يتبختر في مشيته فقال عمر ألا ترى يا رسول الله إلى علي كيف يتيه في مشيته فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنها مشية لا يمقتها الله في هذا المقام.

ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أمير المؤمنين عليهم السلام فتلقاه ومسح الغبار عن عينيه فرمى الرأس بين يديه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما منعك من سلبه قال يا رسول الله خفت أن يلقاني بعورته فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبشر يا علي فلو وزن اليوم عملك بعمل جميع أمة محمد لرجح عملك على عملهم وذلك أنه لم يبق بيت من المشركين إلا وقد دخله ذل من قتل عمرو ولم يبق بيت من المسلمين إلا وقد دخله عز بقتل عمرو فأنشأ أمير المؤمنين يقول

نصـر الحـجـارة مـن سـفاهة رأـيه ونصـرت رب محمـد بصـواب
فضـربته وتركـته متـجـدلا كالنـسر فـوق ذكـادك وروابي
وعفـفت عـن أثـوابهـ ولـو أنـي كنـت المقـطـر بـزني أثـوابي

(١) روي ذلك أبو جعفر الإسكافي في نقضه العثمانية للجاحظ انظر : رسائل الجاحظ صلى الله عليه وآله وسلم ٦٤ = ٦٥ وانظر : فضائل الخمسة ج ٢ صلى الله عليه وآله وسلم ٣٢٠ = ٣٢٣ فقد روى شيئا منه عن مستدرك الصحيحين وغيره.

لا تحسب الله خذل دينه ونبيه يا معشر الأحزاب

ولما قتل علي صلى الله عليه وآله وسلم عمرا سمع مناديا ينادي لا يرى شخصه

قتل علي عمر اقصم علي ظهرا أبرم علي أمرا.

ووقعت الجفلة بالمشركين فانهمزوا أجمعين وتفرقت الأحزاب خائفين مرعوبين.

فروي عن جابر رضي الله عنه أنه قال ما شبهت قتل علي عمرا إلا بما قصه الله تعالى في أمر داود وجالوت حيث يقول ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ

جَالُوتَ﴾^(٢)

فصل من كلام أمير المؤمنين عليهم السلام وحكمه

العفاف زينة الفقر الشكر زينة الغنى الصبر زينة البلاء التواضع زينة الحسب الفصاحة زينة الكلام العدل زينة الإمارة السكينة زينة العبادة الحفظ زينة

الرواية خفض الجناح زينة العلم حسن الأدب زينة العقل بسط الوجه زينة الحلم الإيثار زينة الزهد بذل المجهود زينة المعروف الخشوع زينة الصلاة ترك ما لا يعنى زينة الورع.

جاء في الحديث عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين أن رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم قال أعبد الناس من أقام الفرائض.

وأزهد الناس من اجتنب المحارم وأسخى الناس من أدى زكاة ماله وأتقى الناس من قال الحق فيما له وعليه.

(١) روى هذه الأبيات الطبرسي في إعلام الوري صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٠٠ = ١ ٠١ وانظر : الإرشاد للمفيد صلى الله عليه وآله وسلم ٤٥ و ٤٧.

(٢) انظر : المصدر صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٩٦ والإرشاد صلى الله عليه وآله وسلم ٤٧.

وأعدل الناس من رضي للناس ما يرضى لنفسه وكره لهم ما يكره لنفسه.

وأكيس الناس من كان أشد ذكرا للموت.

وأغبط الناس من كان في التراب في أمن من العقاب يرجو الثواب.

وأغفل الناس من لم يتعظ بتغير الدنيا من حال.

إلى حال وأعظم الناس خطرا من لم يجعل للدنيا عنده خطرا.

وأعلم الناس من جمع علم الناس إلى علمه.

وأشجع الناس من غلب هواه.

وأكثر الناس قيمة أكثرهم علما.

وأقل الناس قيمة أقلهم علما.

وأقل الناس لذة الحسود.

وأقل الناس راحة البخيل.

وأبخل الناس من بخل بما افترض الله عَزَّوَجَلَّ عليه.

وأولى الناس بالحق أعلمهم به.

وأقل الناس حرمة الفاسق.

وأقل الناس وفاء الملوك.

وأفقر الناس الطمع.

وأغنى الناس من لم يكن للحرص أسيرا.

وأكرم الناس أتقاهم.

وأعظم الناس قدرا من ترك المرء وإن كان محقا.

وأقل الناس مروءة من كان كاذبا.

وأمقت الناس المتكبر.

وأشد الناس اجتهدا من ترك الذنوب.

وأسعد الناس من خالط كرام الناس.

وأعقل الناس من أشدهم تهمة للناس.

وأولى الناس بالتهمة من جالس أهل التهمة.

وأبغى الناس من قتل غير قاتله أو ضرب غير ضاربه.

وأولى الناس بالعفو أفدرهم على العقوبة.

وأحق الناس بالذنب المغتاب.

وأذل الناس من أهان الناس.

وأحزم الناس أكظمهم للغيظ.

وأصلح الناس أصلحهم للناس.

وخير الناس من انتفع به الناس.^(١)

وروي أن هذه الأبيات لأمير المؤمنين ع

تخذتكم درعا حصينا لتدفعوا

فإن أنتم لم تحفظوا لمودتي

قفوا موقف المعذور عني بجانب

وأنشدني الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن أحمد الموسوي

كننا نعظهم بالآمال بعضكم

لم تفضلونا بشيء غير واحدة

وأنشد لإبراهيم بن العباس كتبه إلى محمد بن عبد الملك.^(٢)

أخني يميني وبمين الدهر

صديقي استقام فإن

وثبت على الزمان به

ولوعاد الزمان لنا

سهم العدى عني فكنت نصالها

ذماما فكونوا لا عليها ولا لها

وخلوا نبالي للعدى ونبالها

ثم انقضت فتساوى عندنا الناس

هي الرجاء فسوى بيننا اليأس

صاحب أيننا غلبنا

نبنا دهر علفي نبنا

فعاد به وقعد وثبنا

لطار به أخنا حادبا

(١) شطر من هذه الكلمات تجده في نهج البلاغة باب الحكم والأمثال وغيرها وقد رواها الصدوق في الأمالي صلى الله عليه وآله وسلم ١ = ٨ ١ = ٩

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول توفي سنة (٢٤٢ هـ) شاعر مجيد وأديب كبير من شخصيات الشيعة وله مدائح عدة في الإمام الرضا وأهل البيت واضطر = تقية =

لأن يحرق كل شعره بهم ، وديوان شعره نشره عبد العزيز الميمني ضمن مجموعة الطرائف سنة ١ ٩٣٧ م وتجده بعض اخباره في عيون أخبار الرضا ، صلى الله عليه وآله وسلم ١ = ٤٨

وله أيضا فيه

جفنا بنا صـرت حـربا عـوانا	كنت أخـي بإخـاء الزمـان فلمـا
فيمـك أذم الزمـان فـأصـبحت	كنت أذم إليـك الزمـان فـأصـبحت
فأصـبحت أطلـب منـك الأمـانا	فكنـت أعـتدك للنائـبات

وله أيضا فيه

وسمـت بهـ إخوانـك الـذل والرغمـا	قـدرت فلمـ تضرر عـدوا بقـدره
من النـاس من يـأبى الدنيـة والـذما ^(١)	وكنـت مليـا بالـتي قـد يعافهـا

مسألة :

امرأة جامعها ستة نفر في يوم واحد فوجب على أحدهم القتل وعلى الثاني الرجم وعلى الثالث الجلد وعلى الرابع نصف الجلد وعلى الخامس التعزير ولم يجب على السادس شيء.

الجواب :

كان أحدهم ذميا فوجب عليه القتل وكان الآخر محصنا مسلما فوجب عليه الرجم وكان الآخر بكرا فوجب عليه الجلد وكان الآخر عبدا فعليه نصف الجلد وكان الآخر صبيا فعليه التعزير وكان الآخر زوجا فليس عليه شيء.

(١) في النسخة والوفا.

مسألة أخرى :

رجل له جارية يملك جميعها ليس لأحد معه نصيب لا يحل له جماعها حتى يجامعها غيره.

جواب :

هذا رجل كان زوجا لهذه الجارية ثم ابتاعها من سيدها وقد كان طلقها تطليقين فلا تحل له ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ﴾^(١).

مسألة أخرى :

امرأة ولدت على فراش بعلمها ببغداد فلحق نسبه برجل ببصرة فلزمه دون صاحب الفراش من غير أن يكون شاهد المرأة أو عرفها أو عقد عليها أو وطئها حلالا أو حراما؟

جواب :

هذه امرأة بكر وقعت عليها ثيب في حال قد قامت فيها من جماع زوجها فحولت نطفة الرجل إلى فرجها فحملت منه ومضى على ذلك تسعة أشهر فتزوجت البكر في آخر التاسع برجل ودخلت عليه في ليلة العقد فولدت على فراشه ولدا تاما فأنكر الزوج ذلك وقررها على ضمها فاعترفت بما ذكرناه وأقرت الفاعلة أيضا فلحق الولد بصاحب النطفة على ما حكم به الحسن بن علي عليهم السلام في أثر مذكور.^(٢)

(١) هذا وارد على رأي الإمامية القائلين بالتحريم بطلقتين للأمة حتى تنكح زوجا غيره وأن المدار في التحريم هو حال المطلقة الزوجة فإن كانت حرة فلا تحرم إلا بثلاث طلاقات وإن كان الزوج عبدا مملوكا ، وإن كانت أمة فإنها تحرم على تطليقتين وإن كان زوجها المطلق حرا ، ويدلّ عليه صراحة صحيحة الحلبي عن الصادق (عليهم السلام) قال : طلاق الحرة إذا كانت تحت العبد ثلاث تطليقات ، وطلاق الأمة إذا كانت تحت الحرّ تطليقتان ومضمونها صحيحة محمد بن مسلم عن الباقر (عليهم السلام) وغيرهما. ويرى بعض السنة أن الاعتبار بحال الزوج إن كان حرا فلا تحرم إلا بالثلاث وإن كانت أمة وتحرم باثنتين إذا كانت حرة وهو عبد.

(٢) تجده ذلك في مناقب أبي طالب ج ٣ صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٧٧.

فصل في الوعظ والزهد :

قيل لبعضهم كيف حالك؟

قال كيف حال من يغنى ببقائه ويسقم بسلامته ويؤتى من مأمته. ^(١)

وقيل لبعض حكماء العرب

من أنعم الناس عيشا؟

فقال من تحلى بالعفاف ورضي بالكفاف وتجاوز ما يخاف إلى ما لا يخاف.

قيل فمن أعلمهم؟

فقال من صمت فادكر ونظر فاعتبر ووعظ فازدجر.

وروي أن الله تعالى يقول

يا ابن آدم في كل يوم يؤتى رزقك وأنت تحزن وينقص عمرك وأنت لا تحزن تطلب ما يطغيك وعندك ما يكفيك.

وقيل أغبط الناس من اقتصد فقنع ومن قنع فك رقبته من عبودية الدنيا وذل المطامع.

وقيل الفقير من طمع والغني من قنع.

وقيل من كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ.

وقيل لا يزال العبد بخير ما دام له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همه.

ووعظ رجل فقال :

عباد الله الحذر الحذر فو الله لقد ستر حتى كأنه قد غفر ولقد أمهل حتى كأنه قد أهمل ^(٢).

(١) هذه الكلمة للإمام عليّ عليه السلام وهي مذكورة في النهج في القسم الثالث رقم ١ ١ ٥ .

(٢) هذه الكلمة لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام وهي مذكورة في النهج في الباب الثالث رقم ٢٩ .

وقيل العجب لمن يغفل وهو يعلم أنه لا يغفل عنه وأن يهنئه عيشه وهو لا يعلم إلى ما ذا يصير أمره.
وقيل إن للباقي بالفاني معتبر أو للآخر بالأول مزدجر فالسعيد لا يركن إلى الخدع ولا يغتر بالطمع.
قال آخر كيف أذخر عملي ولست أدري متى يحل أجلي أم كيف تشتد حاجتي إلى الدنيا وليست بداري أم كيف أجمع وفي غيرها قراري أم كيف لا أمهد لرجعتي قبل انصراف مدتي؟

وقال عمر بن الخطاب لأبي ذر الغفاري عظمي قال له ارض بالقوت وخف الفوت واجعل صومك الدنيا وفطرك الموت.

وقال آخر عجباً لمن تكتحل عينه برقاد والموت ضجيعها على وساد.

وقال آخر نظرنا فوجدنا الصبر على طاعة الله أهون من الصبر على عذاب الله.

وقال آخر عجي لمن يحتمي من الطيبات مخافة الداء ولا يحتمي من الذنوب مخافة النار.

وقيل كيف يصفو عيش من هو عما عليه مأخوذ بما لديه محاسب على ما وصل إليه.

وقال آخر عجباً لمن يقصر عن الواضحة وهو يعمل بالفاضحة.

وقيل إذا زلت فارجع وإذا أذنبت فاقلع وإذا أسأت فاندِم وإذا ائتمنت فاكتم.

وقال المسيح عليهم السلام :

تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بعمل.

وقال عليهم السلام إذا عملت الحسنة فإله عنها فإنها عند من لا يضيعها وإذا عملت السيئة فاجعلها نصب عينيك.

وقيل لحكيم لم تدمن إمساك العصا ولست بكبير ولا مريض قال لأعلم أني مسافر.

وقيل من أحسن عبادة الله في شببته لقاء الله الحكمة في بلوغه أشده وذلك قوله سبحانه :

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ سورة يوسف : ٢٢

ولا بأس أن يعذل المقصر المقصر قال بعضهم لا يمنعكم معاشر السامعين سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا.

قال الخليل بن أحمد اعمل بعلمي ولا يضرك تقصيري نعوذ بالله أن يكون ما علمنا حجة علينا لا لنا.

انظر يا أخي لنفسك ولا تكن ممن جمع علم العلماء وطرائف الحكماء وجرى في العمل مجرى السفهاء.

حدثني الحسين بن محمد بن علي الصيرفي قال حدثني أبو بكر محمد بن علي الجعابي قال حدثنا أبو محمد القاسم بن محمد بن جعفر العلوي قال

حدثني أبي عن أبيه عن آبائه عن علي عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

للمسلم على أخيه ثلاثون حقاً لا براءة له إلا الأداء أو العفو يغفر زلته ويرحم عبرته ويستتر عورته ويقلل عثرته ويقبل معذرتة ويرد غيبته ويديم

نصيحته ويحفظ خلته ويرعى ذمته ويعود مرضته ويشهد ميته ويجيب دعوته ويقبل هديته ويكافئ صلته ويشكر نعمته ويحسن نصرته ويحفظ حليلته ويقضي

حاجته ويشفع مسأله ويسمت عطسته ويرشد ضالته ويرد سلامه ويطيب كلامه ويبر إنعامه ويصدق إقسامه ويوالي وليه ويعادي عدوه وينصره ظالماً

ومظلوماً فأما نصرته ظالماً فيرده عن ظلمه وأما نصرته مظلوماً فيعينه على أخذ حقه ولا يسلمه ولا يخذله ويجب له من الخير ما يجب لنفسه ويكره له من

الشر ما يكره لنفسه.

(١) في النسخة مشبته.

ثم قال عليهم السلام سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إن أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئا يطالبه به يوم القيامة فيقضي له وعليه (١)

وحدثني القاضي أبو الحسن محمد بن علي بن محمد بن صخر الأزدي قال حدثنا أبو زيد عمرو بن أحمد العسكري بالبصرة قال حدثنا أبو أيوب قال حدثنا أحمد بن الحجاج قال حدثنا ثوبان بن إبراهيم عن مالك بن مسلم عن أبي مريم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :

تعرض أعمال الناس في كل جمعة مرتين يوم الإثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد مؤمن إلا من كانت بينه وبين أخيه شحنة فيقال اتركوا هذين حتى يصطلحا ...

مسألة فقهية لأبي النجا :

أَتَعْرِفُ مَنْ قَدْ بَاعَ مِنْ مَهْرِ أُمِّهِ	أَبَاهُ فَوَفَاهَا بِحَقِّ صِدَاقِهَا
وَكَانَتْ قَدِيمًا أَشْهَدَتْ كُلَّ مَنْ رَأَتْ	ب أَنَّ أَبَاهُ قَدْ أَبْتَدَأَ طَلَاقَهَا

الجواب :

إِذَا أَنْتَ عَقَدْتَ الْمَسَائِلَ مَلْغُوزًا	أَتَتَكَ جَوَابَاتٌ تَحُلُّ وَثَاقَهَا
تَزُوجُ عَبْدَ حُرَّةٍ أَنْجَبْتَ فَتَى	وَصَدَّادَهُ قَوْلَ أَبَانٍ فِرَاقَهَا
فَأَنْكَحَهَا مَوْلَاهُ مِنْ بَعْدِ رَغْبَةٍ	لَمَّا قَدْ رَأَى مِنْهَا وَأَسْنَى صِدَاقَهَا

(١) رواه الشَّهيد الثاني زين الدين العاملي الجبعي في آخر رسالته في الغيبة المطبوعة مع كشف الفوائد وحقائق الإيمان وأسرار الصلاة صلى الله عليه وآله وسلم ٢٦٠ = ٢٦١ = بسنده عن الكراجكي المؤلف.

فوكلت ابن العبد في قبض مهرها وأفلس مولا وأبى عتاقها
 فباع الوكيل العبد بالحكم إذ رأى هوى أمه في بيعها وارتفاقها
 تفسير الجواب :

هذه امرأة حرة فتزوجت عبدا فولدت منه ابنا ثم طلقها العبد فأنكحها مولا بصداق مسمى فوكلت ابنها من العبد بقبض مهرها وفلس المولى فقضى لها العبد في واجبها فوكلت ابنها في بيعه لاستيفاء صداقها

فصل في ذكر مجلس جرى لي ببليس (١) :

حضرت في سنة ثمان عشرة وأربعمئة مجلسا فيه جماعة ممن يجب استماع الكلام ومطلع نفسه فيه إلى السؤال فسألني أحدهم فقال كيف يصح لكم القول بالعدل والاعتقاد بأن الله تعالى لا يجوز عليه الظلم مع قولكم إنه سبحانه يعذب الكافر في يوم القيامة بنار الأبد عذابا متصلا غير منقطع وما وجه الحكمة والعدل في ذلك؟

وقد علمنا أن هذا الكافر وقع منه كفره في مدة متناهية وأوقات محصورة وهي مائة سنة في المثل وأقل وأكثر فكيف جاز في العدل عذابه أكثر من زمان كفره؟

وألا زعمتم أن عذابه متناه كعمره ليستمر القول بالعدل وتنزل مناقضتكم لما تنفون عن الله تعالى من الظلم.

(١) ببليس بكسر الباءين وسكون اللام وباء وسين مهملة مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام ، كان يسكنها عبس بن بغيض ، فتحت سنة ١٨١ / ٩١ هـ على يد عمرو بن العاص ، وقال :

جـزى عـربا بـبـلبـيس ربهـا بمسـعـا تـقـرر بـذاك عـبـوئـه
 كـرا كـر مـن قـيس بـن عـيـلان سـا هـرا جـفـون ظـبا هـا للـعـلى وجـفـوئـه

كذا ذكره ياقوت في العجم م ١ س ٤٧٩

(٢) في النسخة بالقول

الجواب :

فقلت له سألت فافهم الجواب.

اعلم أن الحكمة لما اقتضت الخلق والتكليف وجب أن يرغب العبد فيما أمره به من الإيمان بغاية الترغيب ويزجره عما نهى عنه في الكفر بغاية التخويف والترهيب ليكون ذلك أدعى له إلى فعل المأمور به وأزجر له عن ارتكاب المنهي عنه. وليس غاية الترغيب إلا الوعد بالنعيم الدائم المقيم ولا يكون غاية التخويف والترهيب إلا التوعيد بالعذاب الخالد الأليم. وخلف الخبر كذب والكذب لا يجوز على الحكيم فبان بهذا الوجه أن تخليد الكافر في العذاب الدائم ليس بخارج عن الحكمة والقول به مناقض للأدلة.

فقال صاحب المجلس :

قد أتيت في جوابك بالصحيح الواضح غير أنا نظن بقية في السؤال تطلع نفوسنا إلى أن نسمع عنها الجواب وهي :
أن الحال أفضت إلى ما ينفر ^(١) منه العقل وهو أن عذاب أوقات غير محصورة يكون مستحقا على ذنوب مدة متناهية محصورة. فقلت له أجل إن الحال قد أفضت إلى أن الهالك على كفره يعذب بعذاب تقدير زمانه أضعاف زمان عمره وهذا هو السؤال بعينه وفي مراعاة ما أجبت به عنه بيان إن العقل لا يشهد به ولا ينفر منه على أنني آتي بزيادة في الجواب مقنعة في هذا الباب.
فأقول إن المعاصي تتعاضد في نفوسنا على قدر نعم المعصي بها ولذلك عظم عقوق الولد لوالده لعظم إحسان الوالد عليه وجلت جناية العبد على سيده لجليل إنعام السيد عليه فلما كانت نعم الله تعالى أعظم قدرا وأجل أثرا من أن توفي بشكر أو تحصي بحصر وهي الغاية في الإنعام الموافق

(١) في النسخة : ينفر.

لمصالح الأنفس والأجسام كان المستحق على الكفر به وجحده إحسانه ونعمه هو غاية الآلام وغايتها هو الخلود في النار.

فقال رجل ينتمي إلى الفقه كان حاضرا :

قد أجاب صاحبنا الشافعي عن هذه المسألة بجوابين هما أجلى وأبين مما ذكرت.

قال له السائل وما هما؟

قال أما أحدهما فهو أن الله سبحانه كما ينعم في القيامة على من وقعت منه الطاعة في مدة متناهية بنعيم لا آخر له ولا غاية وجب قياسا على

ذلك أن يعذب من وقعت منه المعصية في زمان محصور متناه.

بعذاب دائم غير منقضى ولا متناه. قال والجواب الآخر أنه خلد الكفار في النار لعلمه أنهم لو بقوا أبدا لكانوا كفارا.

فاستحسن السائل هذين الجوابين منه استحسانا مفرطا أما لمغايطي بذلك أو لمطابقتهما ركالة فهمه.

فقال صاحب المجلس ما تقول في هذين الجوابين؟

فقلت اعفني من الكلام فقد مضى في هذه المسألة ما فيه كفاية.

فأقسم علي وناشدني.

فقلت إن المعهود من الشافعي والمحفوظ منه كلامه في الفقه وقياسه في الشرع.

أما أصول العبادات والكلام في العقليات فلم تكن من صناعته.

ولو كانت له في ذلك بضاعة لاشتهرت إذ لم يكن حامل الذكر.

فمن نسب إليه الكلام فيما لا يعلمه على طريق القياس والجواب فقد سبه من حيث إن فساد هذين الجوابين لا يكاد يخفى عمن له أدنى تحصيل.

أما الأول منهما وهو مماثلته بين إدامة الثواب والعقاب فإنه خطأ في العقل والقياس وذلك أن مبتدي النعم المتصلة في تقدير زمان أكثر من زمان

الطاعة إن لم يكن ما يفعله مستحقا كان تفضلا ولا يقال للمتفضل المحسن لم تفضلت وأحسننت ولا للجواد المنعم لم جدت وأنعمت. وليس كذلك المعذب على المعصية في تقدير زمان زائد على زمانها لأن ذلك إن لم يكن مستحقا كان ظلما تعالى الله عن الظلم فالمطالبة بعله المماثلة بين الموضوعين لازمة والمسألة مع هذا الجواب عما يوجب التخليد قائمة والعقلاء مجتمعون على أن من أعطى زيدا على فعله أكثر من مقدار أجره فليس له قياسا على ذلك أن يعاقب عمرا على ذنبه بأضعاف ما يجب في جرمه. وأما جوابه الثاني فهو وإن كان ذكره بعض الناس لاحق بالأول في السقوط لأنه لو كان تعذيب الله عَزَّجَلَّ للكافر بعذاب الأبد إنما هو لأنه علم منه أنه لو بقي أبدا كافرا لكان إنما عذابه على تقدير كفر لم يفعله وهذا هو الظلم في الحقيقة الذي يجب تنزيه الله تعالى عنه لأن العبد لم ^(١) يفعل الكفر إلا مدة محصورة.

وقد اقتضى هذا الجواب أن تعذيبه الزائد على مدة كفره هو عذاب على ما لم يفعله. ولو جاز ذلك لجاز أن يبتدئ خلقا يعذبه من غير أن يبقيه ويقدره ويكلفه إذا علم منه أنه إذا أبقاه وأقدره وكلفه كان كافرا جاحدا لأنعمه. وقد أجمع أهل العدل على أن ذلك لا يجوز منه سبحانه وهو كالأول بعينه في العذاب للعلم بالكفر قبل وجوده لا على ما فعله وأحدثه. وقبحها يشهد العقل به ويدل عليه تعالى الله عن إضافة القبيح إليه. فعلم أنه لا يعتبر في الجواب عن هذا السؤال بما أورده هذا الحاكي عن الشافعي وأن المصير إلى ما قدمناه من الجواب عنه أولى والحمد لله.

(١) في النسخة لا يفعل فآثرنا موضعها لم يفعل لأنه الصحيح في المعنى.

فلما سمع المتفقه طعني فيما أورده وقولي إن الشافعي ليس من أهل العلم بهذه الصناعة ولا له فيها بضاعة ظهرت أمارات الغضب في وجهه وتعذر عليه نصره ما جاء به كما تعذر عليه وعلى غيره ممن حضر القدح فيما كنت أجبت به فتعمد لقطع ما كنا فيه بحديث ابتدأه لا يليق بالمجلس ولا يقتضيه. فبينما نحن كذلك إذ حضر رجل كانوا يصفونه بالمعرفة وينسبونه إلى الاصطلاح بالفلسفة فلما استقر به المجلس حكوا له السؤال وبعض ما جرى فيه من الكلام.

فقال الرجل هذا سؤال يلزم الكلام فيه ويجب على من أقر بالشرعية طلب جواب صحيح عنه يعتمد عليه. ثم سألوني الرجوع إلى الكلام والإعادة لما سلف لي من الجواب ليسمع ذلك الرجل الحاضر. فقلت له ألا سألتهم الفقيه إعادة ما كان أورده لعله أن يرضى هذا الشيخ إذا سمعه وعנית بالفقيه الحاكي عن الشافعي؟ قالوا قد تبين لنا فساد ما أجاب به ولا حاجة بنا إلى إشغال الزمان بإعادته. قلت فأنا مجيبكم إلى الكلام وسالك غير الطريقة الأولى في الجواب لعل ذلك أن يكون أسرع لزوال اللبس وأقرب إلى سكون النفس إن وجدت منكم مع الاستماع حسن إنصاف. قالوا نحن مستمعون لك غير جاحدين لحق يظهر في كلامك. فقلت كان السؤال عن وجه العدل والحكمة في تعذيب الله ﷻ لمن مات وهو كافر بالعذاب الدائم الذي تقدير زمانه لا ينحصر وقد وقع من العبد كفره في مبلغ عمره المتناهي. والجواب عن ذلك :

أن العذاب المجازى به على المعصية كائنة ما كانت لا كلام بيننا في استحقاقه وإنما الكلام في اتصاله وانقطاعه.
فلا يخلو المعتبر في ذلك أن يكون هو الزمان الذي وقعت المعصية فيه ومقداره وتناهيه أو المعصية في نفسها وعظمها من صغرها.
فلو كانت مدة هي المعتبرة وكان يجب تناهي العذاب لأجل تناهيها في نفسها لوجب أن يكون تقدير زمان العقاب عليها بحسبها وقدرها حتى لا يتجاوزها ولا يزيد عليها.
وهذا حكم يقضي الشاهد بخلافه ويجمع العقلاء على فساده فكم قد رأينا فيما بيننا معصية وقعت في مدة قصيرة كان المستحق من العقاب عليها يحتاج إلى أضعاف تلك المدة ورأينا معصيتين تماثل في القدر زمانهما واختلف زمان العقاب المستحق عليهما كعبد شتم سيده فاستحق من الأدب على ذلك أضعاف ما يستحقه إذا شتم عبدا مثله وإن كان زمان الشتمين متماثلا.
فالمستحق عليهما من الأدب والعقاب يقع في زمان غير متماثل ولو لم يكن في هذا حجة إلا ما نشاهده من هجران الوالد أياما كثيرة لولده على فعل وقع في ساعة واحدة منه مع تصويب كافة العقلاء للوالد في فعله بل لو لم يكن فيه إلا جواز حبس السيد فيما بيننا لعبده زمانا طويلا على خطيئته.
وكذلك الإمام العادل لمن يرى من رعيته لكان فيه كفاية في وضوح الدلالة وليس يدفع الشاهد إلا مكابر معاند.
فعلم مما ذكرناه أنه لا يعتبر فيما يستحق على المعصية بقدر زمانها ولا يجب أن يماثل وقت الجزاء عليها لوقيتها.
ووجب أن يكون المرجع إليها نفسها فبعضمها يعظم المستحق عليها سواء [أ] طال الزمان أو قصر اتصل أم انقطع وجد فكان محققا أو عدم فكان مقدرًا والحمد لله.
فلما سمع القوم مني هذا الكلام وتأملوا ما تضمنه من الإفصاح والبيان وتمثيلي بالمتعارف من الشاهد والعيان لم يسعهم غير الإقرار للحق والإذعان

والتسليم في جواب السؤال لما أوجبه الدليل والبرهان.

والحمد لله الموفق للصواب وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله الطاهرين.

زيادة في المسألة :

وقد احتج من نصر الجواب الثاني المنسوب إلى الشافعي بقول الله تعالى ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا هُمْ عَنْهُ﴾ الأنعام : ٢٨.

وجعل ذلك دلالة على أنه عذبهم بعذاب الأبد لعلمه بذلك من حالهم وليس في هذه الآية دلالة على ما ظن وإنما هي مبنية على باطن أمرهم

ومكذبة لهم فيما يكون في القيامة من قولهم وما قبل الآية تتضمن وصف ذلك من حالهم وهو قوله تعالى سبحانه :

﴿إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكَذِّبَ بَايَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأنعام : ٢٧.

فقال الله سبحانه :

﴿بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا هُمْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ الأنعام : ٢٨

هذا لما تمنوا الرجوع إلى دار التكليف وليس فيه إخبار بأنه عذبهم لما علمه منهم أن لو أعادهم ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

فصل :

روي أن امرأة العزيز وقفت على الطريق فمرت بها المواكب حتى مر يوسف عليهم السلام فقال :

الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكا بطاعته والحمد لله الذي جعل الملوك عبيدا بمعصيته.

وذكروا أن المتمنة ابنة النعمان بن المنذر دخلت على بعض ملوك الوقت فقالت إنا كنا ملوك هذا البلد يجي إلينا خراجها ويطيعنا أهلها فصاح

بنا صائح الدهر فشق عصانا وفرق ملأنا وقد أتيتك في هذا اليوم أسألك ما أستعين به على صعوبة الوقت.

فبكى الملك وأمر لها بجائزة حسنة فلما أخذتها أقبلت بوجهها عليه فقالت إني محييتك بتحية كنا نحيا بها فأصغى إليها فقالت :

شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر وأصاب الله بمعرفك مواضعه وقلدك المنن في أعناق الرجال ولا أزال الله عن عبد

نعمة إلا جعلك السبب لردها والسلام.

فقال اكتبوها في ديوان الحكمة.

وروي أن أمير المؤمنين عليهم السلام مر على المدائن فلما رأى آثار كسرى وقرب خرابها قال رجل ممن معه :

جـرت الـرياح علـى رـسـوم ديارهـم فـكـأنهم كـانوا علـى مـيعـاد

فقال أمير المؤمنين عليهم السلام :

أفلا قلت ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ

وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ الدخان : ٢٦ . ٢٩ ^(١)

فصل من المقدمات في صناعة الكلام :

اعلم أن المعدوم عندنا ليس بشيء ولا يكون الشيء إلا موجودا.

فإن قال لك قائل ما الشيء فقل هو الموجود.

فإن قال ما الموجود فقل هو الثابت العين في الوجود.

فإن قال ما المعدوم فقل هو ما خرج بانتفائه عن كونه شيئا.

(١) رواه نصر بن مزاحم في كتاب صقن ح ١ صلى الله عليه وآله وسلم ٤٣ ١ ، وقال (عليهم السلام) بعد الآيات : إن هؤلاء لم يشكروا النعمة ، فسلبوا دنياهم بالمعصية ، إياكم وكفر المنعم ، لا يحل بكم النقم.

فإن قالوا ما القديم فقل ما ليس لوجوده أول.

فإن قال ما المحدث فقل هو الذي لوجوده أول.

فإن قال ما الجسم فقل هو ذو الطول والعرض والعمق

فإن قال ما الجوهر فقل هو أصغر ما تألفت منه الأجسام.

فإن قال ما العرض فقل هو العارض في المحل بغير بقاء.

واعلم أن الأعراض عندنا لا تبقى وإنما تتجدد حالا بعد حال ولا يوجد العرض عندنا إلا وقتا واحدا والموجود وقتا واحدا ليس بباقي ولا يوجد شيء من الأعراض إلا في محل.

فإن قال ما الباقي فقل هو المستمر الوجود فإن أحببت فقل هو ما وجد وقتين فما زاد.

فإن قال ما الفاني فقل هو ما انعدمت عينه بعد وجوده وقد كان يجوز أن لا ينعدم.

فإن قال ما الاجتماع فقل هو محاسن جواهر الأجسام.

فإن قال ما الافتراق فقل هو مباينتها.

فإن قال ما الحركة فقل هي ما فرغ بالتحرك مكانا.

وشغل مكانا فإن قال ما السكون فقل هو لبث الجوهر في مكان وقتين فما زاد.

واعلم أن الجوهر إذا لم يكن في مكان فهو ليس بمتحرك ولا ساكن.

فإن قال لك ما المكان فقل هو ما أحاط بالمتمكن فمكان الجوهر ستة أمثاله تحيط به من جميع جهاته وصفحة العالم العليا هي مكان للعالم ولا مكان لها ولا يقال في الحقيقة أنها متحركة ولا ساكنة وكذلك المستفتح ^(١) الوجود من الجواهر عندنا وعند أكثر أهل النظر أنه ليس بمتحرك ولا ساكن.

(١) العبارة غير واضحة وقد يراد به ما كان في ابتداء وجوده

فإن قال لك ما الحي فقل من صح كونه قادرا.
فإن قال ما القادر فقل هو من صح منه الفعل.
فإن قال ما العالم فقل هو من كان فعله محكما منتظما.
فإن قال ما المريد فقل هو عند التحقيق من قطع على أحد الأمرين المعترضين.
فإن قال أتقولون إن الله مريد فقل أما على الحقيقة فلا يجوز ذلك عليه وأما على المجاز فقد يوصف به اتساعا في الألفاظ وقد وصف نفسه سبحانه بأنه مريد كما وصف نفسه بأنه غضبان وراض ومحب وكاره وهذه كلها صفات مجازات.
فإن قال فما الفائدة في قولكم إن الله تعالى مريد فقل هو حصول العلم للسامع بأنه سبحانه في أفعاله وأوامره منزّه عن صفة الساهي والعاث.
فإن قال فما إرادته فقل الجواب عن هذا السؤال على قسمين أحدهما إرادته لما يفعله وهي الفعل المراد نفسه والآخر إرادته لما يفعله غيره وهي أمره بذلك الفعل.
فإن قال فما غضبه فقل وجود عقابه.
فإن قال فما رضاه فقل وجود ثوابه.
فإن قال فما محبته فقل هي على قسمين أحدهما أن يحب المؤمن بمعنى يحسن إليه ويشبهه والآخر أنه يحب الطاعة بمعنى يأمر بها.
فإن قال فما كراهته فقل هي بالضد من ذلك.
فإن قال ما المتكلم فقل هو من فعل كلاما.
فإن قال ما الكلام فقل هو الأصوات المنتظمة انتظاما يدل على معان فإن قال ما الخبر فقل هو ما أمكن فيه الصدق والكذب.
فإن قال ما الصدق فقل هو الإخبار عن الشيء بما هو عليه.
فإن قال ما الكذب فقل هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو به.
فإن قال ما الحق فقل هو ما عضد معتقده البرهان.

(١) في النسخة ما عقد.

فإن قال ما الباطل فقل هو ما خذل معتقده البيان.

فإن قال ما الصحيح فقل هو الحق بعينه.

فإن قال ما الفاسد فقل هو الباطل بعينه.

فإن قال ما العقل فقل هو عرض يحل الحي يفرق بين الحسن والقبح ويصح بوجوده عليه التكليف.

فإن قال ما الحسن فقل هو ما كان للعقول ملائما.

فإن قال ما القبح فقل هو ما كان لها منافرا.

فإن قال ما العلم فقل هو اعتقاد الشيء على ما هو به مع سكون النفس إلى المعتقد.

فإن قال ما الجهل فقل اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه.

فإن قال ما المعرفة فقل هي العلم بعينه.

فإن قال ما النظر فقل هو استعمال العقل في الوصول إلى معرفة الغائب باعتبار دلالة الحاضر.

فإن قال ما الدليل فقل هو المعتبر في إدراك ما طلبت النفس إدراكه.

فإن قال ما الحجة فقل هي الدليل بعينه.

فإن قال ما الشبهة فقل هي ما عرض للنفس عند انصرافها عن طريق الحق من باطل تخيلته حقا.

فصل من كلام أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم في ذكر العلم

قال أمير المؤمنين عليهم السلام

قيمة كل امرئ ما يحسن.

والناس أبناء ما يحسنون.

العلم وراثه مستفادة.

رأس العلم الرفق وآفته الخرق.

الجاهل صغير وإن كان شيخا

والعالم كبير وإن كان حدثا

الأدب يغني من الحسب
من عرف بالحكمة لحظته العيون بالوقار
العلم في الصغر كالنقش في الحجر
زلة العالم كانكسار السفينة تغرق وتغرق.
الآداب تلقيح الأفهام ونتائج الأذهان.
إذا استوضحت فاعزم
لو سكت من لا يعلم سقط الاختلاف.
من جالس العلماء وقر ومن خالط الأنذال حقر.
لا تحقرن عبدا آتاه الله علما فإن الله تعالى لم يحقره حين آتاه إياه.
المودة أشبك الأنساب والعلم أشرف الأحساب ..
لا كنز أنفع من العلم ولا قرين سوء شر من الجهل.
العلم خير من المال لأن العلم يجرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكو على الإنفاق والمال تنقصه النفقة العلم حاكم والمال محكوم عليه.
عليكم بطلب العلم فإن طلبه فريضة وهو صلة بين الإخوان ودال على المروءة وتحفة في المجالس وصاحب في السفر وأنس في الغربة ومن عرف الحكم
لم يصبر على الازدياد منها.
الشريف من شرفه علمه.

فصل من كلامه عليهم السلام في ذكر الحلم وحسن الخلق

قال عليهم السلام :
الحلم سجية فاضلة.
أول عوض الخليم من حلمه أن الناس أنصاره على الجاهل.
من حلم عن عدوه ظفر به.
شدة الغضب تغير المنطق وتقطع مادة الحجة وتفرق الفهم.
لا نسب أنفع من الحلم ولا حسب أنفع من الأدب ولا نصب أوجع من الغضب.

حسن الخلق يبلغ درجة الصائم القائم.

حسن الخلق خير رفيق.

رب عزيز أذله خلقه وذليل أعزه خلقه.

من لانت كلمته وجبت محبته.

التواضع يكسبك السلامة.

زينة الشريف التواضع.

حسن الأدب ينوب عن الحساب.

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله سبحانه :

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ هود : ٤٠

(١)

الجواب :

أما التنور فقد ذكر في معناه وجوه :

أحدها أن يكون المراد به أن النور برز والضوء ظهر وأتت أمارات دخول النهار وتقضي الليل.

وهذا التأويل يروى عن أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم.

وثانيها أن يكون معنى ذلك واشتد غضب الله عليهم وحل وقوع نقمته بهم فذكر التنور مثلاً لحصول العذاب كما تقول العرب قد حمي الوطيس إذا

اشتدت الحرب وعظم الخطب وقد قارب ^(٢) القوم إذا اشتدت حربهم.

وثالثها أن يكون أراد بالتنور وجه الأرض وأن الماء نبع وظهر على وجهها وقد روي هذا عن أبي عباس قال والعرب تسمى وجه الأرض تنورا.

(١) انظر الكلام على هذه الآية في أمالي المرتضى م ٢ صلى الله عليه وآله وسلم ١ = ٧٠ ١ = ٧٢.

(٢) هنا كلمة مطموسة غير واضحة.

ورابعها أن يكون هو التنور المعهود للخبز وكان في دار نوح عليهم السلام فجعل فوران الماء منه علما له عليهم السلام على نزول العذاب.

فأما قوله ﴿مَنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ فقد قيل من كل ذكر وأنثى اثنين وكل واحد من الذكر والأنثى زوج.

وقال آخرون من كل ضربين اثنين.

وقيل أيضا من كل لونين اثنين.

ومعنى ﴿مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي من أخبر الله تعالى بعذابه وحلول الهلاك به والله أعلم بمراحه.

فصل :

من التوراة في ذكر الفلك :

قال الله تعالى لنوح عليهم السلام فاصطنع أنت فلكا من خشب الصنوبر واصنع الفلك أدوارا وأطله من داخل وخارج بقار واجعل طول الفلك ثلاثمائة ذراع وعرضه خمسين ذراعا وارتفاعه ثلاثين ذراعا واصطنع في الفلك كوى واصطنع بابه من جنبه واجعل الفلك أثلاثا الأسفل والأوسط والأعلى وسأرسل الطوفان على الأرض ليفسد كل شيء فيه روح من تحت السماء وكل ما في الأرض وأوثقك بميثاقي وادخل الفلك أنت وامراتك وبنوك ونساء بنيك معك ومن كل شيء من اللحم فادخل اثنين اثنين معك.

رسالة كتبها إلى بعض الإخوان تتضمن كلاما في وجوب الإمامة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الحمد لله ذي الفضل والإحسان الهادي إلى الحق بواضح البرهان وصلواته على سيدنا محمد نبيه المبعوث للبيان وعلى آله الطاهرين أئمة الأزمان.

قد وقفت أيها الأخ الفاضل أدام الله لك التأييد وأوصلك بالتوفيق والتسديد من رغبتك في الاستدلال وحرصك على دفع شبه أهل الضلال على ما أوجب علي حسن مساعدتك وإجابتك عما تلتسمه عند مساءلتك لما بيننا من الإيمان وما يتعين من ذلك على الإخوان.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ويجير عليهم أقصاهم وهم يد على من سواهم.^(١)

وقد فهمت السؤال الذي أرسلت وأنا أجب عنه بما يحضرنى حسبما طلبت إن شاء الله تعالى وبه أستعين.

السؤال ذكرت أيدك الله أن أحد المخالفين قال إذا كان الله تعالى قد قال :

﴿ما فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ الانعام : ٣٨.

وكانت الأمة مجتمعة على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد بلغ الرسالة إلى الكافة وأدى فيها الأمانة وبين لجميع الأمة فما الحاجة بعد ذلك إلى إمام.

الجواب

فأقول والله الموفق للصواب :

إن الكتاب وإن كان الله تعالى لم يفرط فيه من شيء فإن الأمة لم تستغن به عن تفسير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمعانيه وتنبيهه لمراد الله تعالى فيه ولا علمت بسماع تلاوته جميع أحكام الله تعالى في شرائعه بل مفتقرة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الإيضاح والبيان معتمدة عليه في السؤال عن معاني القرآن وهو نبيها مؤيد معصوم كامل العلوم يرشد ضالتها ويعلم جاهلها ويحيي سائلها وينبه غافلها ويزيل الاختلاف من بينها ويفقهها^(٢) على معالم

(١) انظر : تحف العقول صلى الله عليه وآله وسلم ٣٠ رواه ما عدا فقرة : (ويجير عليهم أقصاهم)

(٢) هكذا وردت في النسخة ، والأولى : ويوقفها على معالم دينها.

دينها بقول متفق وأمر متسق وقد علم أن الآتين من أمته بعده مكلفون من شرعه نظيرنا كأنه من كان في وقته.

فوجب في العدل والحكمة إزاحة علل أهل كل زمان لمن يقوم فيه ذلك المقام يفرع إليه في النازلات ويعول عليه عند المشكلات تكون النفس ساكنة إلى طهارته وعصمته واثقة بكمال علمه ووفادته وليس ما تضمنه السؤال من أن النبي عليه وآله السلام قد بلغ الكافة وبين للامة بقادح في هذا الاستدلال لأنه عليهم السلام بين لهم شرعه على الحد الذي أمر به فعين لهم على بعضه بالمشافهة ودلهم منه على الجملة الباقية بالإشارة إلى من خصه الله بعلمها واستحفظه إياها وجعله الخليفة على الأمة بعده في تبليغها حسبما تقتضيه مصالحها في تكليفها في أخبار تواترت على ألسنتها منها قوله :

أنا مدينة العلم وعلي بابها

فكان ما خصه به من تفصيل ما أجمل لهم بحسب ما كلفه من التبليغ دونهم على أنه لو مائلهم في جميع التكليف لم يلزم اشتراكهم في الإبانة على التفصيل وإنما الواجب عموم المكلفين بالتمليك من الأدلة التي بها تثبت الحجة وتدرك المحجة.

والإمام عندنا أحد الدليلين على الحق من الشريعة فإذا أودعه الذي استخلفه عليهم تفصيل كثير مما أجمل لهم ونص على عينه ومكن منه فقد أزاح عللهم ولم يخرج ذلك عن القول بأنه بلغهم وبين لهم ولا دفع ما قدمناه من وجوب الحاجة إلى إمام يرجعون إليه فيما كلفهم.

ووجه آخر :

لو فرضنا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد شمل جميع الأمة بالإبانة على سبيل التفصيل والجملة ولم يخص أحدا منهم ولا أخفى شيئا عنهم لم تسقط مع ذلك الإمامة ولا جاز خلو زمان من حجة لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم علم أهل عصره وبين

لمن كان في وقته ودهره وكانت أحوالهم مختلفة وأسباب اختلافها معهودة معروفة.

فمنهم الذكي الرشيد والبطيء البليد والمحِب للعلم مع شغله بديناه والمنقطع إلى العمل والزهد دون ما سواه والمتوفر على العلم المواظب عليه والمتضجر منه الزاهد فيه والمجتهد في الحفظ مع كثرة نسيانه والمعتمد يعتبر ما يسعه ^(١) إيمانه.

هذا مع عدم العصمة عنهم وجواز الغلط منهم ولذلك حصل الاختلاف بينهم وتضادت رواياتهم ووقع في الحيرة العظمى من عول في دينه عليهم.

ولم يكن الله سبحانه ليلجئ عباده بعد نبه صلى الله عليه وآله وسلم إلى غير حفظة لما استودعوه ولا منفقين فيما روه ونقلوه.

ولسنا نجد علما على يد بعضهم يستدل به على أمانتهم وصدقهم ولا عصمة لهم يؤمن معها من تحريفهم أو غلطهم.

هذا مع ما نعلم من عدمهم أكثر النصوص في الأحكام والتجائهم بعدمها إلى الاجتهاد والقياس والأخذ في الدين بالظن والرأي الموقع بينهم الاختلاف والمنازع من الاتفاق والائتلاف.

فعلمنا أن الله سبحانه قد أزاح عِلل المكلفين بعد رسول الله ﷺ الطاهرين بالأئمة الراشدين الهداة المعصومين الذين أمر الله تعالى بالرد إليهم والتعويل عليهم فقال عز من قائل :

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ النساء : ٨٣.

وقال النبي ص :

(١) في النسخة يسمعه.

(٢) يريد بقوله (من عدمهم) عدم إحاطتهم بأكثر النصوص.

إني مخلف فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي. ^(١)

ووجه آخر :

ولو قدرنا أن الأمة قد سمعت جميع علوم الشريعة فوعت وأحاطت بتفاصيل أحكامها وحفظت واتفقت فيما روت ونقلت وسقطت معرة الاختلاف عنها واستقر الاتفاق منها لم يغن ذلك عن الأئمة ولا جاز عدمهم على ما يقتضيه العدل والحكمة لأن الأمة على كل حال يجوز عليها الشك والنسيان ويمكن منها الجحد والكتمان.

وعلى ذلك حجج يجدها من أنعم الاستدلال لو لا الغرض في ترك الإطالة لأوردنا طرفا منها في هذا الجواب.

وللمستؤل أن يبني جوابه على أصله المستقر عنده على قوله إلى أن ينقل الكلام إليه فتكون المنازعة فيه.

وإذا جاز على الأمة ما ذكرناه لم يكن حفظها واتفاقها الذي قدرناه بمؤمن من وقوع ما هو جائز عليها وحصول ما هو متوهم منها.

وفي جواز ذلك مع عدم الأئمة جواز سقوط الحجة عن الأمة إذ لا معقل يدرك منه الصواب يكون حافظا للشرع والكتاب.

وفي هذا أوضح البيان عن وجوب الحاجة إلى الإمام في كل زمان.

وجه آخر :

ولو أضفنا إلى ما فرضناه وقدرناه وجوده وتوهمناه من سماع الأمة لجميع تفاصيل الأحكام وإيرادها على اتفاق ونظام نفى جواز الشك

(١) هو مروى على اختلاف في بعض ألفاظ في صحيح الترمذي ومسلم ومستدرك الصحيحين ومسند أحمد وغيرهم الكثيرين انظر : فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ صلى الله عليه وآله وسلم ٤٣ = ٥٢.

(٢) في النسخة يكن. ولا موجب لجزمها.

(٣) في العبارة قلق واضطراب.

والنسيان عنها وإحالة الجحد والكتمان منها لم يغن ذلك عن إمام في كل زمان حسبما يشهد به الدليل العقلي والبرهان.

وذلك أنا وجدنا اختلاف طبائع الناس وشهواتهم وتباين همهم وإرادتهم وميل جميعهم في الجملة إلى الرئاسة ومحبتهم لنفوذ الأمر ووجوب الطاعة ورغبتهم في حرز الأموال وتطلعهم إلى نيل الآمال وارتكاب أكثرهم للمقبحات وتسرعهم إلى ما يقدرون عليه من الشهوات مع وكيد تحاسدهم وشديد تظالمهم الذي لا ينكره إلا من دفع الضرورات وأنكر المشاهدات يقضي ذلك في العقول عند ذوي التحصيل بأن صلاح أحوالهم وانتظام أمورهم وحراسة أنفسهم وأموالهم لا يتم إلا بوجود رئيس لهم ومتقدم عليهم يكون مسددا فيما يمضيه من تدبيرهم موفقا للصواب فيما يراه لهم وعليهم يقيم بهيبته عوجهم ويرد بيده أودهم ويجمع برأيه متشبتهم ويقهر بتمكنه معاندهم ويمنع القوي من الضعيف ويسوسهم بالسوط والسيف.

وفي عدم الرئيس وهم على ما ذكرناه فساد أحوالهم وانقطاع نظامهم وحصول الهرج منهم ووجود الحيرة والفتنة بينهم التي هي سبب تلافهم وهلاك أنفسهم.

وهذا أمر يعلم العقلاء صحته ممن أقر بالشرع وجحده قال الأفوه الأودي وكان جاهليا : ^(١)

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهلهم سادوا

وإذا كان الله تعالى إنما خلق خلقه لنفعهم وأحياءهم لصلاحهم ومرادهم فإنه في عدله وحكمته ورأفته ورحمته لم يخلهم في كل زمان من رئيس يكون لهم وإمام في الدين والدنيا عليهم.

(١) هو صلاة بن عمرو بن مالك الأودي من بني أود ، والأفوه لقب كان له ، وهو من سادات العرب في الجاهلية المعروفين بالرأي والحزم ، ومن الشعراء المشاهير ، وكان فارسا مغوارا توفي سنة (٥٧٠ م) وفي شعره فكر وحياة.

ووجه آخر :

ولو رفعنا الدليل العقلي الذي أوردناه مع تسليم ما ذكرناه وقدمناه لم يدفع ذلك وجوب الحاجة إلى الإمام ولا جاز معه أن تعدمه الأنام.

لأن الأمة مجمعة على أن في الشريعة أحكاما تفتقر إلى من ينفذها وحدودا على الجناة تحتاج إلى من يتولاها.

وهي مقرة بأن الله تعالى ما جعل ذلك لها وأنه لا يسع ولا يجوز إهمالها وتركها فوجب أن يكون للناس إمام في كل زمان ينفذ الأحكام ويقيم حدود شريعة الإسلام حافظا للبيضة من الكفار دافعا عن المسلمين أسباب الأذى والمضار يسير فيهم بالهدى والصواب لا يتعدى ما يوجب العقل والكتاب والحمد لله قد أوردت لك أيها الأخ الفاضل أدام الله توفيقك ما حضرنى من وجوه الأجوبة عن هذا السؤال وفي بعضه كفاية وبيان لمن أراد الاستدلال والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد رسوله وآله وسلامه وحسبي ﴿اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

فصل من الحديث :

حدثنا الشيخ أبو الحسن بن أحمد بن علي بن شاذان القمي قال حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الدين عباس قال حدثنا محمد بن عمر قال حدثنا الحسن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن العباس الرازي قال حدثني علي بن موسى الرضا عن أبيه موسى عن أبيه جعفر عن أبيه محمد عن أبيه علي عن أبيه الحسين عن أبيه أمير المؤمنين عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
من مات وليس له إمام من ولدي مات ميتة جاهلية يؤخذ بما عمل في الجاهلية والإسلام.^(١)

(١) روى هذا الحديث الصدوق القمي في كتاب عيون أخبار الرضا ج ٢ صلى الله عليه وآله وسلم ٥٨. وروى البرقي في كتاب المحاسن صلى الله عليه وآله وسلم ٦١١ = ٧١١ عدة أحاديث بهذا المعنى

وصرح الشهيد الثاني في حقائق الإيمان صلى الله عليه وآله وسلم ١٦١ بأنه من مشاهير الأحاديث بين السنة والشيعة ، وأن السنة أوردوه في كتب أصولهم وفروعهم ، وصرح الشيخ المفيد في كتاب الإفصاح صلى الله عليه وآله وسلم ٣ بأنه هذا الحديث متواتر ، وعن الحميدي أنه أخرجه في الجمع بين الصحيحين ، وعن الحاكم النيسابوري أنه أخرجه عن ابن عمر انظر : منتخب الأثر صلى الله عليه وآله وسلم ١٥ هامش.

وقال حدثني أبو المرجى محمد بن علي بن طالب البلدي قال حدثنا أبو القاسم عبد الواحد بن عبد الله بن يونس الموصلي عن أبي علي محمد بن همام بن سهل عن عبد الله بن جعفر الحميري عن الحسن بن علي بن فضال عن محمد بن أبي عمير عن أبي علي الخراساني عن عبد الكريم بن عبد الله عن مسلمة بن عطاء عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليهم السلام قال خرج الحسين بن علي صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم على أصحابه فقال بعد الحمد لله جل وعز والصلاة على محمد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم :

يا أيها الناس إن الله [والله] ما خلق العباد إلا ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه فإذا عبدوه استغنوا بعبادته من سواه.

فقال له رجل بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله ما معرفة الله.

قال معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته

اعلم أنه لما كانت معرفة الله وطاعته لا ينفعان من لا يعرف الإمام ومعرفة الإمام وطاعته لا ينفعان إلا بعد معرفة الله صح أن يقال إن معرفة الله هي

معرفة الإمام وطاعته.

ولما كانت أيضا المعارف الدينية العقلية والسمعية تحصل من جهة الإمام وكان الإمام أمرا بذلك وداعيا إليه صح القول إن معرفة الإمام وطاعته هي

معرفة الله سبحانه كما نقول في المعرفة بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته إنها معرفة بالله سبحانه قال الله عَزَّوَجَلَّ :

﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾.

وما تضمنه قول الحسين عليهم السلام من تقدم المعرفة على العبادة غاية في البيان والتنبيه.

وجاء في الحديث عن طريق العامة عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :

من مات وليس في عنقه بيعة الإمام أو ليس في عنقه عهد الإمام مات ميتة جاهلية.

وروى كثير منهم أنه عليهم السلام قال :

من مات وهو لا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية.

وهذان الخبران يطابقان المعنى في قول الله تعالى :

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ يَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَفْرَحُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ الإسراء : ٧١

وقال الخصوم إن الإمام هاهنا هو الكتاب

قيل لهم هذا انصراف عن ظاهر القرآن بغير حجة توجب ذلك ولا برهان لأن ظاهر التلاوة يفيد أن الإمام في الحقيقة هو المقدم في الفعل المطاع في الأمر والنهي وليس يوصف بهذا الكتاب إلا على سبيل الاتساع والمجاز والمصير إلى الظاهر من حقيقة الكلام أولى إلا أن يدعو إلى الانصراف عنه الاضطرار.

وأيضا فإن أحد الخبرين يتضمن ذكر البيعة والعهد للإمام ونحن نعلم أنه لا بيعة للكتاب في أعناق الناس ولا معنى لأن يكون له عهد في الرقاب نعلم أن قولكم في الإمام إنه الكتاب غير صواب.

فإن قالوا ما تنكرون أن يكون الإمام المذكور في الآية هو الرسول عليهم السلام؟

قيل لهم إن الرسول عليهم السلام قد فارق الأمة بالوفاة وفي أحد الخبرين أنه إمام الزمان وهذا يقتضي أنه حي ناطق موجود في الزمان فأما من مضى بالوفاة فليس يقال إنه إمام إلا على معنى وصفنا للكتاب بأنه إمام.

ولو أن الأمر كما ذكرنا لكان إبراهيم الخليل عليهم السلام إمام زماننا لأننا عاملون بشرعه متعبدون بدينه وهذا فاسد إلا على الاستعارة والمجاز. وظاهر قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مات وهو لا يعرف إمام زمانه يدل على أن لكل زمان إماما في الحقيقة يصح أن يتوجه منه الأمر ويلزم له الاتباع وهذا واضح لمن طلب الصواب.

ومن ذلك ما أجمع عليه أهل الإسلام من قول النبي عليهم السلام :

إني مخلف فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض. ^(١)

فأخبر أنه ترك في الناس من عترته من لا يفارق الكتاب وجوده وحكمه وأنه لا يزال وجودهم مقرونا بوجوده.

وفي هذا دليل على أن الزمان لا يخلو من إمام.

ومنه ما اشتهر بين الرواة من قوله :

في كل خلف من أمتي عدل من أهل بيتي ينفي عن الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وإن أئمتكم وفودكم إلى الله فانظروا من توفدون في

دينكم.

فصل حديث عن الإمام الرضا

حدثنا الشيخ الفقيه أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن شاذان القمي قال حدثنا أحمد بن محمد بن صالح قال حدثنا سعد بن عبد

الله ^(٢) ، قال حدثنا أيوب بن نوح قال قال الرضا عليهم السلام :

سبعة أشياء بغير سبعة أشياء من الاستهزاء :

من استغفر بلسانه ولم يندم فقد استهزأ بنفسه.

ومن سأل الله التوفيق ولم يجتهد فقد استهزأ بنفسه.

ومن استحزم [استجاب] ولم يحذر فقد استهزأ بنفسه.

ومن سأل الله الجنة ولم يصبر على الشدائد فقد استهزأ بنفسه.

من تعوذ بالله من النار ولم يترك الشهوات فقد استهزأ بنفسه.

ومن ذكر الله ولم يستبق إلى لقائه فقد استهزأ بنفسه.

(١) قد تقدم ذكر بعض مصادره.

(٢) هو أبو القاسم سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي من شيوخ الطائفة وفقهائها له مؤلفات كثيرة ذكرها الطوسي في الفهرست صلى الله عليه وآله وسلم ١ ١٠ ، عده الطوسي في رجاله من أصحاب الإمام الحسن بن علي العسكري توفي سنة ٢٩٩ / ٣٠١ وعن الخلاصة أنه توفي سنة ٣٠٠ هـ.

(٣) هنا كلمة غير واضحة.

مسائل فقهية :

مسألة امرأة لها بعل صحيح البعولة أمكنت نفسها من رجل كامل العقل رضي الدين فوطئها من غير حرج في ذلك عليها والبعل المتقدم ذكره كاره لهذا الأمر كراهة الطباع راض به من جهة التسليم للشريعة رضا الاختيار.

جواب هذه امرأة نعي إليها زوجها فاعتدت وتزوجت رجلا مسلما فوطئها بالنكاح الشرعي حيث لا حرج عليها في ذلك لعدم علمها ببقاء زوجها ثم بلغ زوجها الأول ما فعلته فكرهه من جهة الطباع ورضي به من جهة التسليم لشرع الإسلام فهي حلال للثاني وإن كانت في عقد الأول إلى أن يحصل لها وللعاقدة عليها علم ببقاء زوجها الذي نعي إليها وهذا الجواب ليس فيه بين الأمة اختلاف.

مسألة أخرى

رجلان كانا يمشيان في بئ فسقط على أحدهما جدار فقتله فحرمت على الآخر في هذه الحال زوجته.

جواب هذا رجل زوج عبده ابنته وخرجا يمشيان فسقط على المولى الجدار فصار العبد بذلك ميراثا للبنت فحرمت عليه في الحال لملكها له وعلى هذا الاتفاق.

مسألة أخرى

رجل غاب عن زوجته ثلاثة أيام فكتبت إليه الزوجة أن قد تزوجت بعدك وأنا محتاجة إلى نفقة فأنفذ إلي ما أنفقته على نفسي وعلى زوجي فوجب لها ذلك عليه ولم يكن له منه مخرج.

جواب هذه مسألة في معنى التي قبلها وهي امرأة زوجها أبوها عبدا له وأعطاه مالا وأذن له في السفر والتجارة بالمال فخرج العبد قبل أن يدخل بالجارية فلما صار على يومين من بلده مات سيده فصار ميراثا لابنته التي زوجها بها مولاه فحرمت بذلك عليه وحلت للأزواج في الحال إذ كان لا

عدة عليها فتزوجت رجلا ورضيت به وأنفذت إلى عبدها بأن يحمل إليها من تركة أبيها التي في يده ما تصرفه فيما تشاء فوجب ذلك عليه وليس في هذا أيضا اختلاف.

أحاديث

حدثني الشريف أبو الحسن طاهر بن موسى بن جعفر الحسين بمصر في شوال سنة سبع وأربعمائة قال أخبرنا أبو القاسم عبد الوهاب بن أحمد بن حسن الخلال إجازة قال حدثنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد العراقي إجازة قال حدثنا الطهراني أبو الحسن وحدثني محمد بن عبيد قال حدثني أبو عبد الله الحسين بن أبي بكر قال حدثنا أبو الفضل قال حدثنا أبو علي ابن الحسن الثمار قال حدثنا أبو سعيد كلاهما عن أبي سعيد واللفظ لمحمد قال حدثنا الطهراني قال حدثنا عبد الرزاق قال حدثني معمر قال حدثني الزهري قال :

أشخصني هشام بن عبد الملك من أرض الحجاز إلى الشام زائرا له فسرت فلما أتينا أرض البلقاء رأيت حبلا أسود وعليه مكتوب أحرفا لم أعلم ما هي فعجبت من ذلك ثم دخلت عمان قصبة البلقاء فسألت عن رجل يقرأ ما على القبور والجبال فأرشدت إلى شيخ كبير فعرفته ما رأيت فقال اطلب شيئا أركبه فحملته معي على راحلتي وخرجنا إلى الجبل ومعني محبرة وبياض فلما قرأه قال لي ما أعجب ما عليه بالعبرانية فنقلته إلى العربية فإذا هو :

باسمك اللهم جاء الحق من ربك ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ لا إله إلا الله محمد رسول الله وعلي ولي الله صلى الله عليه وآله وسلم وكتب موسى بن

عمران بيده.

وحدثني الحسين بن محمد بن علي الصيرفي البغدادي وكان مشتهرا بالعناد لآل محمد عليهم السلام والمخالفة لهم قال حدثنا القاضي أبو بكر محمد بن عمر بن محمد التميمي المعروف بالجعابي سنة ثلاثمائة وخمسين قال حدثنا محمد بن محمد بن سليمان بن الحارث قال حدثنا أحمد بن يزيد بن سليمان قال حدثنا إسماعيل بن أبان قال حدثنا أبو مريم عن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله ص :

وسمعت من هذا الراوي المخالف عدة فضائل لآل محمد عليهم السلام سخره الله لنقلها فرواها راغما حجة عليه بما قد ذكرت في هذا الكتاب طرفا منها.

طوفان آل محمد وسم فيهم حمل الليل الذي فما قبض بكفك عروة	في الأرض غرق جهله طلب النجاة وأهله لا تخش منها فصولها
--	--

ويوم المدوح دوح غدير خم
ولكن الرجـال تباعوهـا

أبان لنا الولاية لـو أطيعا
فلـم أر مثلهـا أمـرا شـنيعا

ولم أر مثلاً ذاك اليوم يوم _____
ولم أر مثلاً حقه حقاً أضرباً _____
وكثيراً ما أذكر قول شاعر آل محمد عليهم السلام رحمة الله عليه :

۳۳۳

وفي الجملة إن كان من كان واليا الأمر ومتحققا بتدبيره فهو وليه وأولى به.

هذا هو المعروف في اللغة والشرع معا فيثبت به ما ذكرناه.

فإن قال المخالفون قد سلمنا لكم أن لفظة ﴿وَلِيكُمْ﴾ تحتمل ما ذكرتم ولكنها قد تحتمل أيضا سواء ويجوز أن يكون المراد بها الموالاة في الدين كقوله سبحانه.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾. التوبة : ٧١

قلنا لهم إن هذه الآية التي ذكرتموها عامة في سائر المؤمنين والآية التي احتججنا بها لا يصح أن يكون مراد الله تعالى فيها ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلا البعض دون الجميع.

وذلك أنه ميز فيها من أراده من المؤمنين بصفة الزكاة في حال الركوع وجعله وليا للجميع وأنتم لا تخالفون في أن هذه الصفة خاصة في بعض المؤمنين فوجب أن يكون قوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ خاصا كذلك لأنها صفة لهم بظاهر التنزيل ولو أراد بقوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ العموم بجميع المؤمنين لكان الإنسان وليا لنفسه وهذا لا معنى له.

وقوله في الآية ﴿إِنَّمَا﴾ شاهد بصحة التخصيص ونفي المثبت عن من سوى المذكورين وهي كقول القائل إنما صديقك من نصحك فقد نفى إنما صحة الصداقة عمن لم ينصح.

وثبت ما ذكرناه من التخصيص في قوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعلم أن المراد بالولي هو المدبر للكافة والإمام القدوة.

ولو كان المراد مجرد الموالاة في الدين لبطل هذا التخصيص.

ووجه آخر في الجواب عما ذكره وهو أن الله تعالى ذكر في الآية التي احتججنا بها أمرا بدأ فيه بنفسه ثم ثنى برسوله صلى الله عليه وآله وسلم ثم ثلث بمن ذكره من المؤمنين فوجب أن لا يصرف قوله ﴿وَلِيكُمْ﴾ إلا إلى ما هو مستحق لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وإذا كان كذلك فالذين آمنوا المذكورون في الآية يستحقون نظير ذلك

بعينه وفي هذا دليل على أن المراد تولي التدبير ولزوم الطاعة والأمر والنهي في الجماعة.

فإن قال الخصوم فإذا ثبت لكم أن مراده سبحانه في الآية التي احتججتم بها من قوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ هو بعض الأمة دون جميعها وسلم لكم أيضا أن معنى قوله ﴿وَلِيَّكُمْ﴾ فيها هو معنى الإمامة على الصفة التي تذكرونها فما الدليل على أن أمير المؤمنين عليهم السلام هو المراد في الآية والمقصود فيها؟ قلنا الدليل على ذلك نقل أصحاب الحديث من الفريقين أنها نزلت في أمير المؤمنين عليهم السلام وأنه الذي تصدق بخاتمه على السائل وهو راع. ولم يخالف في ذلك إلا من نشأ من متكلمي ذي المتكلمين وليس الإنكار يقوم مقام الإقرار ولا مجرد النفي بقادح في الإثبات وإذا اتفق على رواية شيء جميع أهل النقل كان ذلك حجة على من له تمييز وعقل.

فإن قالوا كيف يصح في ذلك الاتفاق وقد روي أن الآية نزلت في عبد الله بن سلام؟

قلنا يصح لنا ذلك من حيث إن هذه رواية واحدة وأخبار الآحاد لا تزيل الاتفاق الحاصل من جملة الأخبار والقول الشاذ لا يقدر في الإجماع.

على أن الذي روي أنها نزلت في عبد الله بن سلام قد تصفحت عليه الحال وأشبعت القصة بشهادة نقاد الأخبار.

وذلك أنه لما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه قالت اليهود والله لا جالسناك ولا كلمناك ولنقطعن ولايتنا منك ومن أصحابك ولا نصرناك فشكا

ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله تعالى:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ

الْغَالِبُونَ﴾ ٥٥. ٥٦.

فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المسجد فقال هل سأل سائل فأعطاه أحد شيئاً قالوا نعم يا رسول الله رجل كان في المسجد يسأل فأعطاه علي عليهم السلام خاتمه وهو راکع فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الله أكبر إن الله تعالى قد أنزل فيه قرآناً وتلا عليهم الآيتين ثم دعا عبد الله بن سلام وأصحابه فقال لهم قد عوضكم الله من اليهود أولياء وتلا عليهم الآيتين فظن بعضهم من أهل الغفلة أنها من أجل ذلك نزلت في عبد الله بن سلام. ومن رجع إلى كتب التفاسير ونقل أصحاب الحديث علم أن الأمر على ما وصفناه والكاف والميم في قوله سبحانه ﴿وَلِيُكْمِ﴾ خطاب لجميع الأمة حاضريهم وغائبهم وموجودهم ومن سيوجد منهم وهو كقوله ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ وإنما حضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن سلام وأصحابه وتلا عليهم الآيتين ليبشرهم بدخولهم في جملة من يكون وليهم الله ورسوله وأمير المؤمنين.

فإن قالوا إن الآية تضمنت ذكر الجميع بقوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ فكيف يصح لكم أنها في واحد؟

قلنا لهم قد يعبر بلفظ الجمع تعظيماً لشأنه ولا ينكر ذلك في اللغة بل يستعمله أهلها وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ وقال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ : الحجر : ٩ .

وقد علمنا أن الله أرسل نوحاً وحده وأنه نزل الذكر وحافظه وحده ونظير ذلك كثير .

فإن قالوا ما أنكرتم أن يكون المراد بقوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ الجميع ويكون المعني فيه أنهم المؤمنون الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم في إتيانها خاشعون متواضعون لا يمتنون ولا يتكبرون ويكون هذا معنى قوله ﴿رَاكِعُونَ﴾ دون ما ذهبتم إليه من أن يؤتى الزكاة في حال ركوعه؟

قلنا هذا غير صحيح لأن الركوع لا يفهم في اللغة والشرع معاً إلا أنه التطأطؤ المخصوص دون التواضع والخضوع وإنما يوصف الخاضع بأنه راکع

على سبيل المجاز والتشبيه قال الخليل بن أحمد^(١) صاحب كتاب العين كل من ينكب لوجهه فمس ركبته الأرض أو لا تمسها راعع وأنشد للبيد :

أخبر أخبار القرون التي مضت أدب كـأني كـلـمـا قـمـت راعـع

فإن قالوا فما تنكرون أن يكون قوله ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ وصفا لهم بإتيانهم وقوله ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ليس المراد أنهم أعطوها في حال ركوعهم وإنما معناه أن الركوع من شأنهم وعادتهم فوصفهم به وإن كانوا يفعلونه في غير وقت إعطاء الزكاة؟

قلنا أنكرنا ذلك من حيث هو خروج عن ظاهر الكلام المفيد إن الزكاة كان في حال ركوع الصلاة ولا طريق إلى الانصراف عن الظاهر مع الاختيار.

ومثل ذلك قولهم فلان يغشى إخوانه وهو راكب وظاهر هذا يدل على أنه راكب في حال غشيانه إخوانه وأن الزمان في الأمرين واحد.

وشيء آخر وهو أنا متى قلنا إن الزكاة لم تكن في حال الركوع أدى الكلام إلى التكرار لأنه وصفهم بإقام الصلاة فإذا وصفهم بعد ذلك بأنهم راكعون وهو يريد يصلون تكرر الوصف بالصلاة لأن الركوع داخل في قوله ﴿يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾.

فإن قالوا فأميز المؤمنين علي عليهم السلام لم يكن يلزمه عندكم زكاة لأنه لم يكن من ذوي اليسار.

قلنا لسنا نقطع على أن الزكاة لم تجب عليه قط وربما ملك أدنى مقادير

(١) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي ولد في البصرة سنة ١٠٠١ وتوفي سنة ٧٠١ هـ من أئمة اللغة والنحو والأدب والعروض وأخبار العرب ، وهو الذي اخترع علم العروض ووضع قواعده وأحكم أساسه ، وأول من صنف في علم اللغة ، ووضع كتابه (العين) ولم يتمه ، وله مؤلفات منها : كتاب النغم ، وكتاب العروض ، وكتاب الشواهد ، وكتاب النقط والشكل ، وكتاب فائدة العين ، وكتاب الإيقاع. وكان من الزهاد المنقطعين إلى العلم. وتجد الكلام على كتابه العين في فهرست ابن النديم صلى الله عليه وآله وسلم ٦٤.

النصاب وأتى وقت الزكاة وهو في يديه وليس يقال لمن ملك مأتي درهم أنه موسر لا سيما إذا اتفق له وجوب الزكاة منها وقتنا واحدا. وقد يجوز أيضا أن تكون هذه الزكاة نافلة لم تكن عليه واجبة ولا مانع أن يسمى النفل من الصدقة زكاة لأنه متناول للفرض منها في كونه إعطاء يستحق عليه النمو في الحسنات والزيادة والمثوبات فإن كان لفظ الزكاة عندكم مشتركا في النافلة من الصدقة والفريضة فقد توجه على الظاهر جوابنا وإن كان عندكم أن المستفاد من ظاهر لفظ الزكاة إنما هو المفترض منها دون ما سواه كنا ممن صرفنا عن الظاهر ورود الأخبار المجمع عليها بأن الآية نزلت في أمير المؤمنين عليهم السلام مع أنه لم تلزمه قط فريضة الزكاة فلا بد من حمل ذلك على زكاة النافلة وإلا خصصنا الأخبار. فإن قالوا فكيف ساغ لأمر المؤمنين عليهم السلام الصدقة في حال الصلاة أوليس ذلك إبطالا لها واشتغالا بغيرها؟ قلنا أقرب ما في هذا أنا غير عالمين أن جميع الأفعال المنهي عنها اليوم في الصلاة كانت محظورة كلها في تلك الحال فيجوز أن يكون هذا قبل ورود حظر هذه الأسباب.

وقد قيل إن الكلام قد كان مباحا في الصلاة ونهي عنه بعد ذلك ولو لم يكن الأمر كذلك لم يلزم ما ذكرتموه في السؤال لأن الذي فعله أمير المؤمنين عليهم السلام لم يكن شاغلا عن القيام بحدود الصلاة بل جاز أن يكون أشار إلى السائل إشارة خفية لا يقطع بمثلها الصلاة فهم منها مراده وأخذ الخاتم من يده.

فكيف تنكرون هذا وأنتم ترون اتفاق الفقهاء على أن يسير العمل في الصلاة لا يقطعها على حال. والذي يدل على أنه عليهم السلام لم يشتغل بالإعطاء عن استيفاء شرائط الصلاة نزول المدح له في القرآن والإضافة إلى المدح تقديمه وليا للأئمة. فإن قالوا فإذا ثبت أنه بهذه الآية إمام للخلق فما تنكرون أن يكون المراد استحقاقه لذلك بعد عثمان؟

قلنا أنكرنا ذلك من قبل أن كل من ثبت له الإمامة بما يوجبها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل حال ولا يخص بذلك حالا دون حال.

وأنكرنا ذلك من قبل أن الله تعالى ولينا ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم في كل حال وقد عطف ذكر أمير المؤمنين على اسم رسول الله عليهم السلام فوجب أن يستحق ذلك أيضا في كل حال كما استحقه الرسول عليهم السلام من غير انفصال. ولو لا قيام الدلالة على أنه ليس في وقت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدوة للخلق سواه ولا إمام لكان أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم يتسحق هذا المقام مذ نزلت الآية وما اتصل من غير فاصلة بولاية ولا إهمال. والحمد لله الهادي إلى الحق بواضح البرهان.

فصل من مستطربات مسائل الفقه في الإنسان

مسألة اثنان تزوج كل واحد منهما أم الآخر فرزقا منهما ولدين ما قرابة بين الولدين؟

جواب كل واحد منهما عم الآخر لأنه أخو أبيه من أمه.

مسألة اثنان تزوج كل واحد منهما بنت الآخر فرزقا ولدين ما قرابة الولدين؟

جواب إن كل واحد منهما خال الآخر لأنه أخو أمه وهو أيضا ابن أخته.

مسألة اثنان تزوج كل واحد منهما أخت الآخر ورزقا منهما ولدين ما قرابة بين الولدين؟

جواب إن كل واحد منهما ابن عمه الآخر وابن خاله.

مسألة رجلان تزوج كل واحد منهما جدة الآخر لأبيه فرزقا منهما ولدين ما قرابة ما بين الولدين وبين الرجلين وما قرابة ما بين الولدين؟

جواب إن كل واحد من الولدين عم الرجل المتزوج أم أبيه لأن الرجل

ابن جدته لأبيه والولد أخو أبيه وكل واحد من الولدين ابن أخي صاحبه وعم أبيه.

مسألة رجلان تزوج كل واحد منهما جدة الآخر لأمه فرزقا منهما ولدين ما قرابة ما بين الولدين والرجلين وما قرابة ما بين الولدين؟

جواب إن كل واحد من الولدين خال الرجل المتزوج أم أمه لأن الرجل ابن جدته لأمه والولد أخو أمه من أمها وكل واحد من الولدين ابن أخت

صاحبه وخال أبيه. أنشدنا الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي رحمته الله

قــد آــن أن يبلــغــك الصــوت	أنائــم قلبــك أم ميــت
يا باني البيــت علــى غــيره	أمامــك المنــزل والبيــت
وإنــا الــدنــيا علــى طوئــها	ثنيــة مطلــعــها المــوت

وله أيضا :

إذا مضــى يــوم علــى هدنــة	وأنت في شــك من النائــت
فعاجل الفرصــة قبل الــردى	وبادر الليلــة قبل البيــت
واســبق وفي حبلــك أنشــوطة	ضــغط الليــالي بيــد الحــادثات

لغيره :

أشــح علــى ملكــي وأحــميه دائبــا	وسوف بــرغم الأنــف أخرج عن ملكــي
فما لي لا أبــكي لنفــسي وهلكهــا	إذا كنت قد وطنــت نفــسي علــى الهلك
فإن كنت لا أدري مــتى أنا ميــت	فلســت من المــوت المنــغص في شــك
وموضــع قــبري إن أكن قد جهلتــه	فلي خــبرة بالعرــض والطــول والســمك
كأنــي أرى نفــسي وحوــلي جماعــة	يكفــنني بــعض وبعــضهم بيكــي

وذكروا أن أحد الأئمة صلى الله عليه وآله وسلم استدعاه السلطان في ذلك الزمان وأظن أن الإمام كان محمد بن علي الرضا عليهم السلام ^(١) وأن

المستدعي كان

(١) كان الإمام الذي وقعت معه هذه القصة هو الإمام علي بن محمد الهادي (عليهم السلام) كما في تذكرة الخواص صلى الله عليه وآله وسلم ٣٦١ وفي مروج الذهب ج ٤ صلى الله عليه وآله وسلم ٩٤.

المتوكل قالوا فلما دخل إليه وجدته في قبة مزينة في وسط بستان ويده كأس فيها خمر فقربه وهم أن يناوله الكأس فامتنع الإمام عليهم السلام فقال إنا أهل بيت ما خامرت لحومنا ودمائنا ساعة قط قال فقال أنشدني شعرا فأنشده الإمام ع

باتوا على قلل الأجمال تحرسهم	غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا بعد عز من معاقلهم	فأسكنوا حفرا يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا	أيمن الأسرة والتيجان والحلل
أيمن الوجوه التي كانت محببة	من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم	تلك الوجوه عليها الدود تنتقل
قد طال ما أكلوا دهرا وما شربوا	فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

قال فضرب المتوكل بالكأس من الأرض وتنغص عيشه في ذلك اليوم. لمحمود بن الحسن الوراق: (٢)

مضى أمسك الماضي شهيدا معدلا	وأعقبه يوم عليك شهيدا
فإن كنت بالأمس اقترفت إساءة	أفتن بإحسان وأنت حميد

(١) انظر : مروج الذهب ج ٤ صلى الله عليه وآله وسلم ٩٣ = ٩٤ ووفيات الأعيان لابن خلكان وتذكرة الخواص صلى الله عليه وآله وسلم ٣٦١.

(٢) من شعراء الدولة العباسية ، أكثر شعره في المواعظ والحكم روى عنه ابن أبي الدنيا ، وتوفي الوراق في خلافة المعتصم العباسي في حدود سنة ٢٣٠ هـ.

فيومك إن أعقبته عـاد نفعه
ولا ترج فعل الخير يوماً إلى غد
وله أيضاً :

أعـارك مالـه لتقـوم فيـه
فلـم تشـكره نعمـته ولكـن
تـبـارزه بـها أبـدا وعـودا
وله أيضاً :

يا ناظر ايرنـو بعـيـني راقـد
منيت نفسك ضـلة وأبـجـتهـا
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتـجـي
ونسيت أن الله أخـرج آدمـا
ولأبي العتاهية إسماعيل الجرار ^(١)

قنع الـنفس بالكفـاف وإلا
ليس فيـمـا مضى ولا في الـذي
إنما أنت طـول عمـرك ما عمـرت
وله أيضاً في الدنيا :

يا خاطـب الـدنـيا إلى نفسـها
إن الـتي تخطـب غـرارة

عليك وماضي الأـمس ليس يعـود
لعل غـدا يأتـي وأنـت فقـيـد

بطاعتـه وتعرـف فضـل حقـه
قويـت على معاصـيه برزقـه
وتستخفي بـها عـن كل خلقـه

ومشـاهد للأـمر غـير مشـاهد
طـرق الرجـاء وهـن غـير قواصـد
درك الجنـان وفـوز مـا للـعابـد
منـها إلى الـدنـيا بـذنـب واحـد

طلبـت منك فـوق مـا يكفـيـها
لم يأت مـن لـذة لمسـة تحليـها
والسـاعة الـتي أنـت فيـها

تـنـح عـن خطبـتها تسـلم
قريـة العـرس مـن المـأتم

(١) هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني من مشاهير الشعراء في طبقة بشار وأبي نؤاس وأكثر شعره في المواعظ والزهديات ولد سنة ٣٠١ هـ بعين الثمر وهي بليدة بالحجاز قرب المدينة المنورة ونشأ بالكوفة وسكن بغداد ، وكان يبيع الجرار وتوفي سنة ١٢١ هـ في بغداد.

المسيح يخاطب الدنيا

قال الشيخ أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي رض حدثني القاضي أبو الحسن محمد بن علي بن محمد بن صخر الأزدي البصري عن النجري بإسناده رفعه إلى أبي شهاب قال :

بلغني أن عيسى ابن مريم عليهم السلام قال للدنيا يا امرأة كم لك من زوج قالت كثير قال فكلهم طلقك فقالت لا بل كلهم قتلتم قال أهؤلاء الباقيون لا يعتبرون بإخوانهم الماضين كيف تورّد بينهم المهالك واحدا واحدا فيكونوا منك على حذر قالت لا.

وأنشد لبعضهم في الدنيا :

مزمومة بالهـم مخطومة مـ زعم زعـاق در أخلافه مـ
ولم تـزل تـقتـل ألفهـم ل ألف لقتال ألفه ألفه

فصل من كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا

قال عليهم السلام :

أنا زعيم بثلاث لمن أكب على الدنيا بفقر لا غناء له وبشغل لا فراغ له وبهم وحزن لا انقطاع له.

وقال عليهم السلام :

كونوا في الدنيا أضيافا واتخذوا المساجد بيوتا وعودوا قلوبكم ^(١) الرقة وأكثروا التفكير والبكاء ولا تختلفن بكم الأهواء تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون وتأملون ما لا تدركون.

(١) في النسخة بيوتكم.

فصل من كلام أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم في هذا المعنى :

من أصبح حزينا على الدنيا فقد أصبح ساخطا على ربه تعالى ومن كانت الدنيا أكبر همه طال شقاؤه وغمه الدنيا لمن تركها والآخرة لمن طلبها. الزاهد في الدنيا كلما ازدادت له تحليا ازداد عنها تحليا إذا طلبت شيئا من الدنيا فزوي عنك فاذكر ما خصك الله به من دينك وصرفه عن غيرك فإن ذلك أحرى أن تستحق نفسك بما فاتك.

ومن بديع كلام أمير المؤمنين عليهم السلام الذي حفظ عنه.

أن رجلا قطع عليه خطبته وقال له صف لنا الدنيا فقال :

أولها عناء وآخرها بلاء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من صح فيها أمن ومن مرض فيها ندم ومن استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن ومن سعى لها ^(١) فاتته ومن قعد عنها واتته ومن نظر إليها ألهته ومن تهاون بها نصرته.

ثم عاد إلى مكانه من خطبته ص

وهذه أعلى الرتب درجة في حضور الخاطب.

فصل :

من الكلام في تثبيت إمامة صاحب الزمان المهدي بن الحسن وإمامة آبائه ع.

اعلم أيديك الله أن الدليل على صحة إمامته صلى الله عليه وآله وسلم وإثبات غيبته ظاهر لمن نظره قاطع لعذر من اعتبره بين تأمله قريب لمن تناوله.

وهو مبني على أصلين يشهد العقل بهما ويدل عليهما أحدهما وجوب الإمام في كل زمان والآخر كونه معصوما من السهو والخطأ والنسيان.

(١) في النسخة : (ساعاها).

فإذا علم المتأمل صحة هذين الأصلين وثبتا عنده بواضح الدليل ثبت له عقيبهما صحة الإمامة والغيبة لمن ذكرنا صلى الله عليه وآله وسلم ولم يحتج إلى تكرار رواية ولا تطويل وذلك للظاهر المعلوم الذي لا لبس فيه من حال من يدعى لهم الإمامة اليوم سوى من أشرنا إليه وتعريضهم أجمعين عن استحقاق العصمة ومماثلتهم في جواز الخطأ عليهم لسائر الأمة.

فعلم بذلك صحة إمامة صاحبنا صلى الله عليه وآله وسلم وثبت لعدم ظهور غيبته حسبما ذهبنا إليه.

ولو لا أنه الإمام دون العالمين لبطل ما شهد به العقل من صحة الأصلين وبطلانهما يستحيل مع قيام الدليل.

وهذه حجة بعيدة عن المعارضات سالمة من دخول الشبهات سهلة ^(١) المرام قريبة من الأفهام وبها يستمر لك الاستدلال على نظام في تثبيت إمامة جميع ساداتنا عليهم السلام لأن وجوب الإمامة وثبوت العصمة لرئيس الأمة مع ما علمناه من تعري الكافة من هذه الخصلة سائق إلى الإقرار بإمامة الاثني عشر صلى الله عليه وآله وسلم ومانع للعاقل من الانصراف عنهم والشك فيهم ولم يبق بعدها أكثر من إيراد الدليل على صحة ما ذكرناه من الأصلين وقد وجب انحسام مادة الخلاف ممن له عقل وإنصاف.

دليل على وجوب الإمامة

أما الدليل أنه لا بد للناس من إمام في كل زمان فمختصره أنا نعلم علما ليس للشك فيه مجال أن وجود الرئيس في الرعية المطاع ذي الهيبة مقدما ومنتقفا ومذكرا وموقفا ^(٢) أردع لها من القبيح وأدعى إلى فعل الجميل

(١) في النسخة (سهل).

(٢) كذا في النسخة. ولعله : معرّفا

وأكف لأيدي الظالمين وأحرس لأنفس المردوعين ووجود الهرج بينهم ووقع الفتن منهم.
والعلم بما ذكرناه في ذلك مبني على الضرورات والتنبيه عليه مع ظهوره يغني عن الإطالة والزيادات وقد أتقن الكلام في هذه المسألة مشايخنا رضي الله عنهم ولم يدعوا للخصوم شبهة تستغرب منهم.

دليل على وجوب العصمة

وأما الدليل على وجوب عصمة الإمام فهو أن علة الحاجة إليه أن يكون لطفا للرعية في الصلاح ليصدها عن ارتكاب القبائح والفساد ويردها إلى فعل الواجب والسداد حسبما تقدم به الذكر في وجوب الحاجة إليه في كل عصر وهذا يقتضي أن لا تكون علة الحاجة إليه موجودة فيه فإنه متى جاز منه القبيح وفعل غير الجميل كان فقيرا محتاجا إلى إمام متقدم عليه ويمنعه مما هو جائز منه ويأخذ على يديه ويكون الكلام في إمامته كالكلام فيه حتى يؤدي ذلك إلى المحال من وجود أئمة لا يتناهون أو إلى الواجب من وجود إمام معصوم فعلم أن علة الحاجة إليه غير موجودة فيه والحمد لله.

دليل آخر على ثبوت عصمة الإمام

وما يعلم به ثبوت العصمة للأئمة أن الإمام قدوة في الدنيا والدين واتباعه مفترض من رب العالمين فوجب أن لا يجوز الخطأ والزلل عليه وإلا كان الله تعالى قد أمر باتباع من يعصيه ولو لا استحقاقه العصمة لكان إذا ارتكب المعصية يتضاد مع التكليف على الأمة وتصير الطاعة منها معصية والمعصية طاعة وذلك أنها مأمورة باتباعه والافتداء به فمتى اتبعته في المعصية امتثالا للمأمور من الافتداء لكانت من حيث الطاعة عاصية لله سبحانه ومتى خالفته ولم تقتد به طلبا لطاعة الله تعالى كانت أيضا عاصية لمخالفتها لمن أمرت بالافتداء به واتباعه وفي استحالة جميع ذلك دلالة على عصمته.

(١) في النسخة الرادعين.

وليس لأحد أن يقول إن الاقتداء بالإمام واجب على الرعية فيما علمت صوابه فيه لأن هذا القول يخرجها من أن تكون مقتدية به إذ كانت إنما عرفت الصواب بغيره لا بقوله وبفعله فهي إذا عملت ^(١) بما عمل لمعرفة بصوابه فيه إنما وافقته في الحقيقة ولم تقتد به وتتبعه.

ولو جاز أن يكون إماما لها في شيء عرفت صوابه بغيره لكانت اليهود أئمة للأمة في الإقرار بموسى عليهم السلام لموافقتها لهم في العلم بصحة نبوته. وهذا يدل العاقل على أن القدوة المتبع هو من عرف الحق به بقوله وفعله فقد بان واتضح ثبوت الأصلين من وجوب الإمامة والعصمة وبثبوتهما قد انتظم لنا ما قدمناه من الدليل وفي ذلك كفاية وغنى عن التطويل ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلواته على سيدنا محمد رسوله وآله الطاهرين.

حدثني القاضي أبو الحسن أسد بن إبراهيم السلمي الحاراني قال أخبرني أبو جعفر عمر بن علي العتكي قال أخبرني أحمد بن محمد بن صفوة قال حدثني الحسن بن علي بن محمد العلوي قال حدثني الحسن بن حمزة النوفلي قال أخبرني عمي عن أبيه عن جده قال أخبرني الحسن بن علي قال أخبرني فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال أخبرني عن كاتبي علي أنهما لم يكتب علي ذنبا مذ صحباه.

وحدثني السلمي عن العتكي قال حدثني سعيد بن محمد الحضرمي قال حدثنا الحسن بن محمد بن عبد الرحمن الصديقي قال حدثني محمد بن عبد الرحمن قال حدثنا أحمد بن إبراهيم العوفي عن أحمد بن أبي الحكم البراجمي عن شريك بن عبد الله عن أبي الوفاء عن محمد بن ياسر بن عمار بن ياسر عن أبيه عمار قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول إن حافظي علي يفتخران على سائر الحفظة بكونهما مع علي عليهم السلام ذلك أنهما لم يصعدا إلى الله عَزَّوَجَلَّ بشيء منه فيسخطه

(١) في النسخة علمت.

فصل من كلام أمير المؤمنين عليهم السلام وحكمه

قال علي عليهم السلام :

لم يمت من ترك أفعالا يقتدى بها من الخير.

من نشر حكمة ذكر بها.

موت الأبرار راحة لأنفسهم وموت الفجار راحة للعالم.

من كتم علما فكأنه جاهل.

الجواد من بذل ما يضمن بمثله.

من كرم أصله حسن فعله.

وجاء في الحديث عن الإمام الصادق عليهم السلام أنه تكلم أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم بأربع وعشرين كلمة قيمة كل كلمة وزن

السموات والأرض قال :

رحم الله امرأ سمع فوعى ودعى إلى رشاد فدنا وأخذ بحجزة هاد فنجا راقب ربه وخاف ذنبه قدم خالصا وعمل صالحا اكتسب مذكورا واجتنب

محظورا رمى غرضا وأخذ عوضا كابر هواه وكذب مناه حذر أملا ورتب عملا جعل الصبر رغبة حياته والتقوى عدة وفاته يظهر دون ما يكتم ويكتفي بأقل

مما يعلم لزم الطريقة الغراء والمحجة البيضاء اغتنم المهل وبادر الأجل وتزود من العمل.

ومن كلام أمير المؤمنين عليهم السلام

أزرى بنفسه من استشعر الطمع.

من أهوى إلى متفاوت الأمور خذلته الرغبة.

أشرف الغنى ترك المنى.

من ترك الشهوات كان حرا.

الحرص مفتاح التعب وداع إلى التقحم في الذنوب والشره جامع لمساوئ العيوب الحرص علامة الفقر.

من أطلق طرفه كثر أسفه.

قلما تصدقك الأمنية رب طمع كاذب وأمل خائب.

من لجأ إلى الرجاء سقطت كرامته.

همة الزاهد مخالفة الهوى والسلو عن الشهوات.

ما هدم الدين مثل البدع ولا أفسد الرجال مثل الطمع إياك والأمانى فإنها بضائع النوى.

لن يكمل العبد حقيقة الإيمان حتى يؤثر دينه على شهوته ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه.

من تيقن أن الله سبحانه يراه وهو يعمل بمعاصيه فقد جعله أهون الناظرين.

مواعظ

وجاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :

ما آمن بالقرآن من استحل محارمه.

أخبرني شيخنا المفيد رضي الله عنه ونقلت من خطه قال حدثني أبو حفص بن عمر بن محمد بن علي المعروف بابن الزيات قال حدثنا علي بن

مهرويه القزويني قال حدثنا داود بن سليمان الغازي قال حدثنا الرضا علي بن موسى قال حدثني أبي موسى بن جعفر قال حدثني أبي جعفر بن محمد

الصادق قال حدثني أبي محمد بن علي الباقر قال حدثني أبي علي بن الحسين زين العابدين قال حدثني أبي الحسين بن علي الشهيد قال حدثني أبي أمير

المؤمنين قال حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :

يقول الله عَزَّوَجَلَّ يا ابن آدم ما أنصفتني أحبب إليك بالنعم وتبغض إلي بالمعاصي خيرني إليك نازل وشرك إلي صاعد وفي كل يوم يأتييني عنك ملك

كريم بعمل غير صالح.

يا ابن آدم لو سمعت وصفك من غيرك وأنت لا تدري من الموصوف لسارعت إلى مقتته ...

وأخبرني شيخنا المفيد رضي الله عنه قال حدثني جعفر بن محمد بن قولويه قال حدثنا أبي وأخي علي قالا حدثنا سعد بن عبد الله عن يعقوب عن يزيد عن محمد بن زياد عن جعفر بن قرظ عن أبي عبد الله عليهم السلام قال :
من وعظه الله بخير فقبل بالبشرى فله البشرى ومن لم يقبل فالنار له أخرى.
وأخبرني شيخنا أيضا عن جعفر بن محمد بن قولويه قال حدثني جعفر بن محمد بن مسعود عن أبيه عن الحسين بن خالد عن النوفلي عن السكوني عن أبي عبد الله عليهم السلام قال حدثني أبي عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال من أيقن أنه يفارق الأحباب ويسكن التراب ويواجه الحساب ويستغني عما خلف ويفتقر إلى ما قدم كان حريا بقصر الأمل وطول العمل.

فصل من كلام رسول الله ص :

جاء في الحديث عن الرسول عليهم السلام أنه قال :
من أراد أن يكون أعز الناس فليثق الله عَزَّجَلَّ .
وقال :
من خاف الله سحت نفسه عن الدنيا ومن رضي من الدنيا بما يكفيه كان أيسر ما فيها يكفيه.
وقال :
الدنيا خضرة حلوة والله مستعملكم فيها فانظروا كيف تعملون.
وقال :
من ترك معصية الله مخافة من الله أرضاه يوم القيامة ومن مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإيمان.
وقال :
دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإنك لن تجد فقد شيء تركته لله عَزَّجَلَّ .

وقال :

باب التوبة مفتوح لمن أرادها ف ﴿تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾.

وقال :

بادروا بعمل الخير قبل أن تشتغلوا عنه واحذروا الذنوب فإن العبد يذنب الذنب فيحبس عنه الرزق.

حدثني الشيخ أبو المرحى محمد بن علي بن أبي طالب البلدي بالقاهرة قال حدثنا أستاذي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني رحمه الله عن أبي العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة الكوفي عن شيوخه الأربعين عن الحسن بن محبوب عن محمد بن النعمان الأحول عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر الإمام الباقر عليهم السلام قال قال جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

أيها الناس حلالي حلال إلى يوم القيامة وحرامي حرام إلى يوم القيامة ألا وقد بينها الله عَزَّجَلَّ في الكتاب وبينتهما لكم في سيرتي وسنتي وبينهما شبهات من الشيطان وبدع بعدي من تركها صلح له أمر دينه وصلحت له مروءته وعرضه.

ومن تلبس بها ووقع فيها واتبعها كان كمن رعى غنما قرب الحمى ومن رعى ماشيته قرب الحمى نازعته إلى أن يرعاها في الحمى.

ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله عَزَّجَلَّ محارمه فتوقوا حمى الله ومحارمه.

ألا وإن أذى المؤمن من أعظم سبب سلب الإيمان.

ألا ومن أحب في الله جل وعز وأبغض في الله وأعطى في الله ومنع في الله فهو من أصفياء المؤمنين عند الله تبارك وتعالى.

ألا وإن المؤمنين إذا تحابا في الله جل وعز وتصافيا في الله كانا كالجسد الواحد إذا اشتكى أحدهما من جسده موضعا وجد الآخر ألم ذلك الموضع.

قصة وقعت للمؤلف

ومن عجيب ما رأيت واتفق لي إنني توجهت يوما لبعض أشغالي وذلك بالقاهرة في شهر ربيع الآخر سنة ست وعشرين وأربعمائة فصحبني في الطريق رجل كنت أعرفه بطلب العلم وكتب الحديث فمررنا في بعض الأسواق بسلام حدث فنظر إليه صاحبي نظرا استربت منه ثم انقطع مني ومال إليه وحادثه فالتفت انتظارا له فرأيتته يضاحكه فلما لحق بي عذلتته على ذلك وقلت له لا يليق هذا بك فما كان بأسرع من أن وجدنا بين أرجلنا في الأرض ورقة مرمية فرفعتنا لئلا يكون فيها اسم الله تعالى فوجدتها قديمة فيها خط رقيق قد اندرس بعضه وكأنها مقطوعة من كتاب فتأملتها فإذا فيها حديث ذهب أوله وهذا نسخته.

قال إني أخوك في الإسلام ووزيرك في الإيمان وقد رأيتك على أمر لم يسعني أن أسكت فيه عنك ولست أقبل فيه العذر فيك قال وما هو حتى ارجع عنه وأتوب إلى الله تعالى منه قال رأيتك تضاحك حدثا غرا جاهلا بأمور الله وما يجب من حدود الله وأنت رجل قد رفع الله قدرك بما تطلب من العلم وإنما أنت بمنزلة رجل من الصديقين لأنك تقول حدثنا فلان عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل عن الله تعالى فيسمعه الناس منك فيكتبوه عنك ويتخذونه دينا يعولون عليه وحكما ينتهون إليه وإنما أنهاك أن تعود لمثل الذي كنت عليه فإني أخاف عليك غضب من يأخذ العارفين قبل الجاهلين ويعذب فساق حملة القرآن قبل الكافرين.

فما رأيت حالا أعجب من حالنا ولا عظة أبلغ مما اتفق لنا ولما وقف عليه صاحبي اضطرب لها اضطرابا بان فيها أثر لطف الله تعالى لنا وحدثني بعد ذلك أنه انزجر عن تفريطات كانت تقع منه في الدين والدنيا والحمد لله.

سؤال عن آية

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ الإسراء : ١٦

فقال أخبروني ما معنى هذا الإهلاك الذي يريده الله تعالى وكيف قدم إهلاكهم على أمره لهم ومتى يستمر مع القول بالعدل أن يريد إهلاك قوم قبل أن يأمرهم فيعصوا وما معنى قوله ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ ففي هذا على من لم يفهم معناه شبهة والله لا يأمر إلا بالعدل.

الجواب

قيل له في هذه الآية وجوه :

أحدها أن من الإهلاك ما يكون حسنا وهو أن يكون مستحقا أو امتحانا وإنما يكون قبيحا إذا كان ظلما أو عبثا.

وقد ثبت لنا بالدليل الواضح عدل الله تعالى وحكمته وأنه لا يريد الظلم ولا يقع منه العبث ^(١) فعلمنا أنه لا يريد إلا الإهلاك الحسن.

وأما قوله ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ فالمأمور به هنا محذوف وهو الطاعة وتقدير الكلام أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا وخالفوا ويجري هذا مجرى قول القائل

أمرتك فعصيتني فحذف ذكر ما أمره به لفهم السامع له وهذا معروف من كلام العرب والأمثلة فيه كثيرة.

وأما مترفوها فهم الذين يعملون في الدنيا في غير طاعة الله تبارك وتعالى.

(١) في الأصل البعث وهو غلط من الناسخ.

وأما تقدم إرادة الإهلاك على الأمر فيحتمل أن يكون ذلك بعد أمر متقدم لم يذكر استحق المأمورون بمخالفتهم له العذاب فلما أراد الله تعالى إهلاكهم أعذر إليهم بأمر ثان على وجه التكرير والتأكيد في إقامة الحجة على العصيين قبل وقوع الإهلاك المستحق المذكور ويوافق هذا التأويل قوله تعالى :

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ الإسراء : ١٥ .

الوجه الثاني أن يكون الإرادة في الآية مجازا وتنبيهها على المعلوم من حال القوم وعاقبتهم وأنهم متى أمروا ففسقوا فأهلكوا ويجري ذلك مجرى قولهم إذا أراد التاجر أن يفتقر أخته النوائب من كل جانب وتوجه نحوه الخسران من كل مكان وإذا أراد العليل أن يموت خلط في أكله.

ومعلوم أن ليس منهما من يريد ذلك وإنما حسن الكلام لما علم من عاقبة أمرهما.

وهذا من أحد أقسام الفصاحة في كلام العرب وهو جواب صحيح في الآية.

الوجه الثالث أن يحمل الكلام في الآية على التقديم والتأخير ويكون تلخيصه إذا أمرنا متر في قرية بالطاعة فعصوا واستحقوا العقاب أردنا إهلاكهم.

والتقديم والتأخير أيضا مستعمل في كلام العرب وهو وجه حسن ويشهد به من القرآن قول الله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾. المائدة : ٦

ونحن نعلم أن الطهارة للصلاة إنما تجب قبل القيام إلى الصلاة فأما من قرأ

أمرنا بالتشديد فإنما لا غناء به عن أجوبتنا. ^(١)

فصل :

من أمالي شيخنا المفيد رحمته الله :

روي أنه لما سار المأمون إلى خراسان كان معه الإمام الرضا علي بن موسى فبينما هما يتسايران إذ قال له المأمون يا أبا الحسن إني فكرت في شيء فسنتح لي الفكر الصواب فيه إني فكرت في أمرنا وأمركم ونسبنا ونسبكم فوجدت القضية فيه واحدة ورأيت اختلاف شيعتنا في ذلك محمولا على الهوى والعصبية.

فقال له أبو الحسن الرضا عليهم السلام إن لهذا الكلام جوابا إن شئت ذكرته لك وإن شئت أمسكت.

فقال له المأمون لم أقله إلا لأعلم ما عندك فيه.

قال الرضا عليهم السلام أنشدك الله يا أمير المؤمنين لو أن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فخرج علينا من وراء أكمة من هذه

الأكام فخطب إليك ابنتك لكنت مزوجة إياها؟

فقال يا سبحان الله وهل أحد يرغب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

فقال له الرضا عليهم السلام أفتراه كان يحل له أن يخطب ابنتي؟

فسكت المأمون هنيئة ثم قال أنتم والله أمس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رحما.

وروي أنه لما حج الرشيد ونزل في المدينة اجتمع إليه بنو هاشم ويقايا المهاجرين والأنصار ووجوه الناس وكان في الناس الإمام أبو الحسن موسى

(١) ما ذكره المؤلف هنا من الأجوبة هو ملخص مما ذكره الشريف المرتضى في الأمالي انظر ج ٢ صلى الله عليه وآله وسلم ١ = ٥.

بن جعفر عليهم السلام فقال لهم الرشيد قوموا بنا إلى زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم نخض معتمدا على يد أبي الحسن موسى بن جعفر صلى الله عليه وآله وسلم حتى انتهى إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوقف عليه فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا ابن عم افتخارا بذلك على قبائل العرب الذين حضروا معه واستطالة عليهم بالنسب قال فنزع أبو الحسن موسى عليهم السلام يده من يده وقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبه قال فتغير وجه الرشيد ثم قال يا أبا الحسن إن هذا هو الفخر. ^(١)

حدثني القاضي السلمي أسد بن إبراهيم قال أخبرني العتكي عمر بن علي قال حدثني محمد بن إسحاق البغدادي قال حدثنا الكديمي قال حدثنا بشر بن مهران قال حدثنا شريك بن شبيب عن عروة عن المستطيل بن حصين قال :

خطب عمر بن الخطاب إلى علي بن أبي طالب عليهم السلام ابنته فاعتل عليه بصغرها وقال إني أعددتها لابن أخي جعفر فقال عمر :
إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول :

كل حسب ونسب فمنقطع يوم القيامة ما خلا حسبي ونسبي وكل بني أنثى عصبهم لأبيهم ما خلا بني فاطمة فإني أنا أبوهم وأنا عصبهم. ^(٢)

خبر يحيى بن يعمر مع الحجاج

قال الشعبي كنت بواسط ^(٣) وكان يوم أضحي فحضرت صلاة العيد مع

(١) ذكر هذا الحديث السبط في التذكرة صلى الله عليه وآله وسلم ٣٥٠ ناقلا له عن المدائني مختصرا. ورواه المفيد في الفصول المختارة ج (١) صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٥٠. ورواه أيضا في الإرشاد صلى الله عليه وآله وسلم ٢٧٢ مختصرا أيضا.

(٢) ذكر أصل خطبة عمر بن الخطاب لأُم كلثوم بنت علي عليه السلام السبط في التذكرة صلى الله عليه وآله وسلم ٣٢١ دون ما سمعه عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وانظر : الصواعق المحرقة صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٥٦ = ١ ٥٧.

(٣) مدينة بناها الحجاج في العراق عام ٨٣ / ٨٤ هـ وسميت واسطا لتوسطها بين البصرة والكوفة والأهواز وبغداد ، فإن بينها وبين كل واحدة من هذه المدن مقدارا واحدا وهو خمسون فرسخا (التنبية والإشراف) صلى الله عليه وآله وسلم ٣١ ١.

الحجاج فخطب خطبة بليغة فلما انصرف جاءني رسوله فأتيته فوجدته جالسا مستوفزا قال يا شعبي هذا يوم أضحي وقد أردت أن أضحي برجل من أهل العراق وأحببت أن تسمع قوله فتعلم أنني قد أصبت الرأي فيما أفعل به.

فقلت أيها الأمير لو ترى أن تستن بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتضحى بما أمر أن يضحى به وتفعل مثل فعله وتدع ما أردت أن تفعله به في هذا اليوم العظيم إلى غيره.

فقال يا شعبي إنك إذا سمعت ما يقول صوبت رأيي فيه لكذبه على الله وعلى رسوله وإدخاله الشبهة في الإسلام.

قلت أفيرى الأمير أن يعفني من ذلك قال لا بد منه.

ثم أمر بنطع فبسط وبالسيف فأحضر وقال أحضروا الشيخ فأتوه به فإذا هو يحيى بن يعمر فأغممت غما شديدا فقلت في نفسي وأي شيء يقوله يحيى مما يوجب قتله؟

فقال له الحجاج أنت تزعم أنك زعيم أهل العراق؟

قال يحيى أنا فقيه من فقهاء أهل العراق.

قال فمن أي فقهك زعمت أن الحسن والحسين عليهم السلام من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

قال ما أنا زاعم ذلك بل قائل بحق.

قال وبأي حق قلت؟

قال بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ .

فنظر إلي الحجاج وقال اسمع ما يقول فإن هذا مما لم أكن سمعته عنه أتعرف أنت في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ أن الحسن والحسين من ذرية محمد رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم فجعلت أفكر في ذلك فلم أجد في القرآن شيئا يدل على ذلك.

وفكر الحجاج مليا ثم قال ليحيى لعلك تريد قول الله عَزَّوَجَلَّ .

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا

وَأَبْنَاءُكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾. آل عمران : ٦١.

وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج للمباهلة ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قال الشعبي فكأنما أهدى لقلبي سرورا وقلت في نفسي قد خلص يحيى وكان الحجاج حافظا للقرآن.

فقال له يحيى والله إنما لحجة في ذلك بليغة ولكن ليس منها أحتج لما قلت فاصفر وجه الحجاج وأطرق مليا ثم رفع رأسه إلى يحيى وقال إن جئت من كتاب الله بغيرها في ذلك فلك عشرة آلاف درهم وإن لم تأت بها فأنا في حل من دمك.

قال نعم

قال الشعبي فغمني قوله فقلت أما كان في الذي نزع به الحجاج ما يحتج به يحيى ويرضيه بأنه قد عرفه وسبقه إليه ويتخلص منه حتى رد عليه وأفحمه فإن جاءه بعد هذا بشيء لم آمن أن يدخل عليه فيه من القول ما يبطل حجته لئلا يدعي أنه قد علم ما جهله هو.

فقال يحيى للحجاج قول الله عَزَّوَجَلَّ

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ الأنعام : ٨٤.

من عني بذلك؟

قال الحجاج إبراهيم

قال فداود وسليمان من ذريته؟

قال نعم.

قال يحيى ومن نص الله عليه بعد هذا أنه من ذريته؟

فقرأ الحجاج ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

قال يحيى ومن؟

قال ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾.

قال يحيى ومن أين كان عيسى من ذرية إبراهيم ولا أب له؟

قال من قبل أمه مريم.

قال يحيى فمن أقرب مريم من إبراهيم أم فاطمة من محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعيسى من إبراهيم عليهم السلام أم الحسن والحسين عليهم السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟؟

قال الشعبي فكأنما ألقمه حجرا.

فقال أطلقوه قبحه الله وادفعوا إليه عشرة آلاف درهم لا بارك الله له فيها.

ثم أقبل علي فقال قد كان رأيك صوابا ولكننا أبيناه ودعا بجزور فنحروه وقام فدعا بالطعام فأكل وأكلنا معه وما تكلم بكلمة حتى انصرفنا ولم يزل مما احتج به يحيى بن يعمر واجما.

فصل من القول في القضاء والقدر

سؤال إن قال قائل ما قولكم فيهما وما معناه عندكم وحقيقتهما وهل أفعال العباد عندكم بقضاء الله وقدره أم لا وما معنى الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال حاكيا عن ربه جل وعز :

ومن لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليتخذ ربا سوائي. ^(١)

وما روي عنه عليهم السلام من أنه أوجب الإيمان بالقدر خيره وشره وأخبر أن الإيمان لا يتم إلا به وما معنى قول المسلمين إن الواجب الرضا بما قضاه الله وقدره أبينوا لنا عن حقيقة ذلك ليحصل لنا العلم به.

الجواب

قلنا الواجب من هذه المسألة أولا أن نذكر معاني القضاء والقدر ثم نبين ما

(١) رواه الصدوق في التوحيد صلى الله عليه وآله وسلم ٣٧٩ على تغيير في بعض ألفاظه.

(٢) هو مضمون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يؤمن أحدكم حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحلوه ومره رواه في التوحيد صلى الله عليه وآله وسلم ٣٨٨.

يصح أن يتعلق بأفعال العباد من ذلك وما لا يتعلق ونجيب عن الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك بما يلائم الحق.

أما القضاء فعلى أقسام

منها ما يكون بمعنى الإعلام كقول الله تعالى :

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ أي أعلمناه وقوله سبحانه

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ الإسراء : ٤

أي أعلمناهم بذلك ويكون القضاء أيضا بمعنى الحكم والإلزام كقوله جل اسمه

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ الإسراء : ٢٣ .

أي حكم بذلك في التكليف على خلقه والزمهم به .

فأما القدر فيكون بمعنى الكتاب والإخبار كما قال جل وعلا :

﴿إِلَّا امْرَأَتُهُ قَدَرْنَا إِنَّمَا لِمَنِ الْغَابِرِينَ﴾ . الحجر : ٦٠ .

يعني كتبنا وأخبرنا ويكون القدر أيضا بمعنى التبيين لمقادير الأشياء وتفصيلها والإعلام باختلاف أحوالها .

ويكون القدر ترك الأشياء في التدبير على نظام ووضعتها في الحكمة مواضعها من غير زيادة ولا نقصان كما قال تعالى :

﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامَهَا﴾ فصلت : ١٠

فأما أفعال العباد فيصح أن نقول فيها إن الله تعالى قضى بالطاعة منها على معنى أنه حكم بها وألزمها عباده وأوجبها وهذا إلزام أمر وليس بإلجاء

ولا جبر .

ونقول أيضا إنه سبحانه قدر أفعال العباد بمعنى بين لهم مقاديرها من حسننها وقبحها ومباحها وحظرها وفرضها ونفلها .

فأما القول بأنه قضاها على معنى أنه خلقها فغير صحيح لأنه لو خلق الطاعة والمعصية لسقط اللوم عن العاصي بموجب العدل ولم يكن معنى لإثابة الطائع في حجة ولا عقل.

ويقول في أفعال الله إنها كلها بقدره يريد أنها لا تفاوت فيها ولا خلل وأنها بموجب الحكمة ملتزمة وعلى نسق الصواب منتظمة.

فأما الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قوله حكاية عن الله سبحانه :

من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليتخذ ربا سوائي. ^(١)

فهو واضح المعنى للعاقل وهذا القضاء من الله تعالى هو مما يتلى به العبد من أعلاله وأسقامه وعوارضه وآلامه وفقره بعد الغنى وما يمتحنه من فقد الأعراء والأقرباء كل ذلك من قضاء الله الذي يجب الرضا به والصبر عليه وهو مما يفعله الله سبحانه بعبدته للحكمة التي تقتضيه وما يعلمه الله عَزَّجَلَّ من الصلاح الذي لعبده فيه.

وكيف يقضي الله على العبد بالمعصية وهي من الباطل الذي يعاقب عليه وقد قال الله عز من قائل ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ غافر : ٢٠

وكذلك أقول في الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من إيجابه الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره فالخير من القضاء والقدر هو ما مالت إليه الطباع والتذت به الحواس والشر بالضد من ذلك على ما تقدم به البيان.

وسمي أيضا شرا لما على النفس في تحمله من المشاق وهو مما أجمع المسلمون عليه من الرضا بقضاء الله والتسليم لقدره.

ولو كان الظلم والغضب والكفر بالله عَزَّجَلَّ من قضاء الله وقدره لوجب الرضا به وترك إنكاره فلما رأينا العقلاء ينكرونه ولا يرضونه ويعيبون على من رضي به ويذمونهم علمنا أنه ليس من قضاء الله سبحانه.

(١) رواه الصدوق في كتاب التوحيد صلى الله عليه وآله وسلم ٣٧٩ على تغيير في بعض ألفاظه.

أخبرني شيخنا المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رضي الله عنه إجازة قال حدثنا محمد بن عمر الحافظ إملاء قال حدثنا أبو القاسم إسحاق بن جعفر العلوي قال حدثني أبي جعفر بن محمد بن علي عن سليمان بن محمد القرشي عن إسماعيل بن أبي زياد عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه عن جده عليهم السلام قال :

دخل رجل من أهل العراق على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلى الله عليه وآله وسلم فقال :

أخبرنا عن خروجنا إلى أهل الشام أبقضاء الله وقدره؟

فقال له أمير المؤمنين عليهم السلام :

يا شيخ فو الله ما علوتم تلعة ولا هبطتم واديا إلا بقضاء من الله وقدره.

فقال الشيخ عند الله أحتسب عنائي يا أمير المؤمنين.

فقال مهلا يا شيخ لعلك تظن قضاء حتما وقدرا لازما؟

لو كان ذلك به لبطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والزجر وسقط معنى الوعيد ولم يكن على مسيء لائمة ولا لمحسن محمدة ولكان المحسن أولى

بالملاءمة من المذنب والمذنب أولى بالإحسان من المحسن تلك مقالة عبدة الأوثان وخصماء الرحمن وقدرية هذه الأمة ومجوسها.

يا شيخ إن الله كلف تحييرا ونهى تحذيرا وأعطى بالقليل كثيرا ولم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلا ﴿ذَلِكَ

ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ صلى الله عليه وآله وسلم : ٢٧

وجاء في الحديث رواية أخرى إن الرجل قال له فما القضاء والقدر الذي ذكرته يا أمير المؤمنين؟

فقال عليهم السلام الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية والتمكين من فعل الحسنة وترك السيئة والمعونة على القربة إليه والخذلان لمن عصاه والوعد

والوعيد والترغيب والترهيب كل ذلك قضاء الله في أفعالنا وقدره لأعمالنا فأما غير ذلك فلا تظنه فإن الظن محبط للأعمال.

فقال الرجل فرجت عني يا أمير المؤمنين وأنشأ يقول

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته	يوم النجاة من الرحمن غفرانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا	جزاك ربك عنا فيه إحسانا
فليس معذرة في فعل فاحشة	قد كنت راكبها فسقا وعصيانا
لا لا ولا قائلناهيـه أوقعه	فيها عبت إذا يا قوم شيطانا
ولا أحب ولا شواء الفسوق ولا	قتل الولي لله ظمنا وعدوانا ^(١)

الحجاج يسأل عن القضاء والقدر

وذكر أن الحجاج بن يوسف الثقفي كتب إلى الحسن البصري^(٢) وإلى واصل بن عطا^(٣) وعمر بن عبيد^(٤) وعامر الشعبي^(٥) فقال لهم أخبروني بقولكم في القضاء والقدر فكتب إليه الحسن البصري :

ما أعرف فيه إلا ما قاله علي بن أبي طالب عليهم السلام فإنه قال :

يا ابن آدم أزعمت أن الذي نَهاك دهاك وإنما دهاك أسفلك وأعلاك وربك بريء من ذاك.

وكتب إليه واصل بن عطاء :

(١) تجد هذا الحديث مرويا في توحيد الصدوق صلى الله عليه وآله وسلم ٣٨٨ = ٣٨٩ وانظر : أمالي المرتضى ج ١ صلى الله عليه وآله وسلم ٥١١ ، والفصول المختارة ج ١ صلى الله عليه وآله وسلم ٤٠ = ٤٢ بزيادة أربعة أبيات.

(٢) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار مولى زيد بن ثابت ، وأمه خيرة مولاة أم المؤمنين أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله ، كان معدودا في الزهاد ، ومتهما بالانحراف عن علي عليه السلام ، وكان كاتباً لوالي خراسان ربيعة بن زياد في زمن معاوية ، وولي القضاء على البصرة في زمن عمر بن عبد العزيز ، ثم استقال من تلك الوظائف ، مجندا نفسه لخدمة الأمويين ، حتى لقبوه بسيد التابعين ، نظرا لسعة معلومات ، وتظاهرة بالتقشف والورع ، ولكونه من محاسيب السلطة الأموية.

عاش ٨٩ سنة ومات سنة ١١٠ هـ ، وعلى هذا تكون ولادته سنة ٢١ هـ.

(٣) هو أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزال (٨٠ = ٣١١ هـ) من شيوخ المعتزلة وأعلامها البارزين ، بل هو المؤسس لمذهب الاعتزال ، وله آراء معروفة مذكورة في كتب الفرق.

(٤) أبو عثمان عمرو بن عبيد (٨٠ = ٤٤١ هـ) من أئمة الاعتزال ودعائهم ، وافق واصل بن عطاء في كثير من أصول المعتزلة.

(٥) أبو عمرو عامر بن شراحيل الكوفي ينسب إلى شعب ، بطن من همدان ، من التابعين ، كان فقيها شاعرا ، وكان قاضيا على الكوفة ، مات بالكوفة (سنة ١٠٤ هـ).

ما أعرف فيه إلا ما قاله علي بن أبي طالب عليهم السلام فإنه قال :

ما تحمد الله عليه فإنه منه وما تستغفر الله عنه فهو منك.

وكتب إليه عمرو بن عبيد :

ما أعرف فيه إلا ما قاله علي بن أبي طالب فإنه قال :

«إن كان الرزق في الأصل محتوما فالوازر في القصاص مظلوم»

وكتب إليه عامر الشعبي :

ما أعرف فيه إلا ما قاله علي بن أبي طالب عليهم السلام

«من وسع عليك الطريق لم يأخذ عليك المضيق»

فلما قرأ الحجاج أجوبتهم قال قاتلهم الله لقد أخذوها من غير صافية. ^(١)

وجاء في الحديث أن الحسن بن أبي الحسن البصري كتب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام :

من الحسن البصري إلى الحسن بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أما بعد فإنكم معاشر بني هاشم الفلك الجارية في اللجج الغامرة ومصابيح الدجى وأعلام الهدى والأئمة القادة الذين من اتبعهم نجا والسفينة التي

يقول إليها المؤمنون وينجو فيها المتمسكون قد كثر يا ابن رسول الله عندنا الكلام في القدر واختلافنا في الاستطاعة فتعلمنا ما نرى عليه رأيك ورأي آبائك

فإنكم ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ من علم الله علمتم وهو الشاهد عليكم وأنتم شهداء على الناس والسلام.

فأجابه الحسن بن علي صلى الله عليه وآله وسلم :

من الحسن بن علي إلى الحسن البصري.

أما بعد فقد انتهى إلي كتابك عند حيرتك وحيرة من زعمت من أمتنا وكيف ترجعون إلينا وأنتم بالقول دون العمل.

(١) من البعيد أن يكون الحجاج هو الذي وجه السؤال إلى مثل عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء ، اللذين ولدا عام ٨٠ هـ ، مع العلم أن الحجاج مات سنة ٩٥ هـ ، حتى لو فرض أن سؤال الحجاج لهما كان في نفس السنة التي مات فيها ، حين يكون عمر كل من عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء خمسة عشر عاما ، وبخاصة أنهما لم يبرزتا بعد وهما في هذه السن المبكرة في المجال الفكري والعلمي ، ومن هنا فالمرجح أن يكون السائل شخصية أخرى غير الحجاج.

واعلم أنه لو لا ما تناهي إلي من حيرتك وحيرة الأمة قبلك لأمسكت عن الجواب ولكني الناصح وابن الناصح.
 الأمين والذي أنا عليه أنه من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد كفر ومن حمل المعاصي على الله عَزَّجَلَّ فقد فجر إن الله لا يطاع بإكراه ولا يعصى بغلبة ولم يهمل العباد سدى من المملكة ولكنه عَزَّجَلَّ المالك لما ملكهم والقادر على ما عليه أقدرهم فإن ائتمروا بالطاعة لم يكن الله عَزَّجَلَّ لهم صاداً ولا عنها مانعاً وإن ائتمروا بالمعصية فشاء سبحانه أن يمن عليهم فيحول بينهم وبينها فعل وإن لم يفعل فليس هو الذي حملهم عليها إجباراً ولا ألزمهم بها إكراها بل احتجاجة جل ذكره عليهم أن عرفهم وجعل لهم السبيل إلى فعل ما دعاهم إليه وترك ما نهاهم عنه والله الحجة البالغة والسلام.^(١)

أبو حنيفة مع الإمام موسى بن جعفر

وروى محمد بن سنان عن داود بن كثير الرقي أن أبا حنيفة قال لابن أبي ليلى مر بنا إلى موسى بن جعفر عليهم السلام لنسأله عن أفاعيل العباد وذلك في حياة جعفر الصادق عليهم السلام وموسى يومئذ غلام فلما صار إليه سلما عليه ثم قالاً له أخبرنا عن أفاعيل العباد ممن هي.
 فقال لهما إن كانت أفاعيل العباد من الله دون خلقه فالله أعلى وأعز وأعدل من أن يعذب عبده على فعل نفسه وإن كانت من خلقه فالله أعلى وأعز من أن يعذب عبده على فعل قد شاركهم فيه وإن كانت أفاعيل العباد من العباد فإن عذب فبعده وإن غفر فهو ﴿أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ ثم أنشأ يقول :

لم تخل أفعالنا السلاقي نندم بها	إحدى ثلاث معان حين تأتيها
إما تفرد باريننا بصنعتها	فيسقط الذم عنا حين ننشئها
أو كان يشركنا فيها فيلحقه	ما سوف يلحقنا من لائم فيها
أو لم يكن إلهمي في جنانيها	ذنب فما الذنب إلا ذنب جانيها ^(١)

(١) تجد هذه المراسلة في تحف العقول للحراي صلي الله عليه وآله وسلم ١ ٦٢ مع بعض الاختلاف والزيادة.

(٢) روى ذلك الحرّائي في كتاب تحف العقول صلي الله عليه وآله وسلم ٣٠٨ مختلفاً عن رواية المؤلف ودون ذكر=

كلام الصادق لزرارة

ومما حفظ عن الصادق عليهم السلام في ذلك قوله لزرارة بن أعين :

يا زرارة إني أعطيك جملة في القضاء والقدر قال له زرارة نعم جعلت فداك قال :

إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق سألهم عما عهد إليهم ولم يسألهم عما قضى عليهم. ^(١)

فصل من كلام أمير المؤمنين وآدابه وحكمه عليهم السلام ^(٢)

لا رأي لمن انفرد برأيه ما عطب من استشار من شاوور ذوي الأبواب دل على الصواب.

النصح لمن قبله

رأي الشيخ أحب إلي من حيلة الشاب.

رب واثق خجل

اللجاجة تسلب الرأي.

الطمأنينة قبل الحزم.

التدبير قبل العمل يؤمنك الندم.

من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ

من تحرى القصد خفت عليه المؤن

من كابد الأمور عطب

لو لا التجارب عميت المذاهب

في التجارب علم مستأنف

في التواني والعجز أنتجت الهلكة

=الآبيات. ورواه الشريف المرتضى في الأمالي م ١ صلى الله عليه وآله وسلم ١ ٥٢ وذكر أن مضمون الخبر قد نظمه بعضهم.

(١) هذا الحديث رواه الصدوق في التوحيد صلى الله عليه وآله وسلم ٣٧٤.

(٢) أكثر هذه الحكم موجودة في نهج البلاغة.

احذر العاقل إذا أغضبته والكريم إذا هنته والنذل إذا أكرمه والجاهل إذا صاحبتة.

من كف عنك شره فاصنع به ما سره

من أمنت من أذيته فارغب في أخوته

فصل من الكلام في الغيبة وسببها

إن قال قائل ما السبب الموجب لغيبة صاحب الزمان عليه وعلى آبائه أفضل السلام.

قيل له لا يسأل عن هذا السؤال إلا من قد أعطى صحة وجود الإمام وسلم ما ذكره من غيبته من الأنام لأن النظر في سبب الغيبة فرع عن كونها فلا يجوز أن يسأل عن سببها من يقول إنها لم تكن وكذلك الغيبة نفسها فرع عن صحة الوجود إذ كان لا يصح غيبة من ليس بوجود فمن جحد وجود الإمام فلا يصح كلامه في ما بعد ذلك من هذه الأحوال فقد بان أنه لا بد من تسليم الوجود والإمامة والغيبة أما تسليم دين واعتقاد ليكشف السائل عن السبب الموجب للاستتار وأما تسلم نظر واحتجاج لينظر السائل عن السبب إن كان كلامنا في الفرع ملائماً للأصل وأنه مستمر عليه من غير أن يضاده وينافيه.

فإن قال السائل أنا أسلم لك ما ذكرتموه من الأصل لا عن نظر إن كان ينتظم معه جوابكم عن الفرع فما السبب الآن في غيبة الإمام عليهم

السلام؟

ف قيل له أول ما نقوله في هذا إنه ليس يلزمنا معرفة هذا السبب ولا يتعين علينا الكشف عنه ولا يضرنا عدم العلم به.

والواجب علينا اللزم لنا هو أن نعتقد أن الإمام الوافر المعصوم الكامل العلوم لا يفعل إلا ما هو موافق للصواب وإن لم نعلم الأغراض في أفعاله

والأسباب فسواء ظهر أو استتر قام أو قعد كل ذلك يلزمه فرضه دوننا ويتعين عليه فعل الواجب فيه سوانا وليس يلزمنا علم جميع ما علم كما لا يلزمنا فعل

جميع ما فعل وتمسكنا بالأصل من تصويبه في كل فعل يغنيانا في

المعتقد عن العلم بأسباب ما فعل فإن عرفنا أسباب أفعاله كان حسنا وإن لم نعلمها لم يقدح ذلك في مذهبنا كما أنه قد ثبت عندنا وعند مخالفينا إصابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جميع أقواله وأفعاله والتسليم له والرضا بما يأتي منه وإن لم نعرف سببه.

ولو قيل لنا لم قاتل المشركين على كثرتهم يوم بدر وهو في ثلاثمائة من أصحابه وثلاثة عشر أكثرهم رجاله ومنهم من لا سلاح معه ورجع عام الحديبية عن إتمام العمرة وهو في العدة القوية ومن معه من المسلمين ثلاثة آلاف وستمائة وأعطى سهيل بن عمرو جميع مناه ودخل تحت حكمه ورضاه من محو ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ من الكتاب ومحو اسمه من النبوة وإجابته إلى أن يدفع عن المشركين ثلث ثمار المدينة وأن يرد من أتاه ليسلم على يده منهم مع ما في هذا من المشقة العظيمة والمخالفة في الظاهر للشرعية لما ألزمنا الجواب عن ذلك أكثر من أنه أعرف بالمصلحة من الأمة وأنه لا يفعل هذا إلا لضرورة يختص بعلمها ملجئة أو مصلحة تقتضيه تكون له معلومة وهو الوافر الكامل الذي لا يفرط فيما أمر به.

وليس عدم علمنا بأسباب فعله ضارا لنا ولا قادحا فيما نحن عليه من اعتقادنا وأصلنا.

فكذلك قولنا في سبب غيبة إمامنا وصاحب عصرنا وزماننا.

ويشبه هذا أيضا من أصول الشريعة عن السبب في إيلاام الأطفال وخلق الهوام والمسمومات من الحشائش والأحجار ونحو ذلك مما لا يحيط أحد بمعرفة معناه ولا يعلم السبب الذي اقتضاه فإن الواجب أن نرد ذلك إلى أصله ونقول إن جميعه فعل من ثبت الدليل على حكمته وعدله وتنزهه عن العيب في شيء من فعله.

وليس عدم علمنا بأسباب هذه الأفعال مع اعتقادنا في الجملة أنها مطابقة للحكمة والصلاح بضار لنا ولا قادح في صحة أصولنا لأننا لم نكلف أكثر من العلم بالأصل وفي هذا كفاية لمن كان له عقل.

وهكذا أيضا يجري الأمر في الجواب إن توجه إلينا السؤال عن سبب قعود أمير المؤمنين عليهم السلام عن محاربة أبي بكر وعمر وعثمان ولم يقعد عن محاربة من بعدهم من الفرق الثلاث ^(١) والأصل في هذا كله واحد وما ذكرناه فيه كاف للمستترشد.

فإن قال السائل لنا جميع ما ذكرته من أفعال الله عَزَّجَلَّ فلا شبهة في أنه أعرف بالمصالح فيها وأن الخلق لا يعلمون جميع منافعهم ولا يهتدون إليها.

وأما النبي عليهم السلام وما جرى من أمره عام الحديبية فإنه علم المصلحة في ذلك بالوحي من الله سبحانه.

فمن أين لإمامكم علم المصلحة في ذلك وهو لا يوحى إليه؟

قيل له إن كان إمامنا عليهم السلام إماما فهو معهود إليه قد نص له على جميع ما يجب تعويله عليه وأخذ ذلك وأمثاله عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولنا مذهب في الإمام وعندنا أن الإمام عليهم السلام يصح أن يلهم من المصالح والأحكام ما يكون هو المخصوص به دون الأنام.

ثم نتبرع بعد ما ذكرناه بذكر السبب الذي تقدم فيه السؤال وإن كان غير لازم لنا في الجواب.

فنقول إن السبب في غيبة الإمام عليهم السلام إخافة الظالمين له وطلبهم بسفك دمه وإعلام الله أنه متى أبدى شخصه لهم قتلوه ومتى قدروا عليه أهلكوه فحصل ممنوعا من التصرف فيما جعل إليه من شرع الإسلام وهذه الأمور التي هي مردودة إليه ومعول في تدبيرها عليه فإنما يلزمه القيام بها بشرط وجود التمكن والقدرة وعدم المنع والحيلولة وإزالة المخافة على النفس والمهجة فمتى لم يكن ذلك فالتقية واجبة والغيبة عند الأسباب الملجئة إليها لازمة لأن التحرز من المضار واجب عقلا وسمعا وقد استتر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غار حراء ولم يكن لذلك سبب غير المخافة من الأعداء.

(١) وهم الناكثون من أهل البصرة والقاسطون معاوية وأصحابه ، والمارقون هم أصحاب النهروان أي الخوارج.

فإن قال السائل إن استتار النبي عليهم السلام كان مقدارا يسيرا لم يمتد به الزمان وغيبة صاحبكم قد تطاولت بما الأعوام. قيل له ليس القصر والطول في الزمان يفرق في هذا المكان لأن الغيبيتين جميعا سببهما واحد وهي المخافة من الأعداء فهما في الحكم سواء وإنما قصر زمان إحداها القصر مدة المخافة فيها وطول زمان الأخرى لطول زمان المخافة ولو ضادت إحداها الحكمة وأبطلت الاحتجاج لكانت كذلك الأخرى. فإن قال فالأظهر إبداء شخصه وإقام الحجة على مخالفه وإن أدى إلى قتله. قيل لهم إن الحجة في تثبيت إمامته قائمة في الأمة والدلالة على إمامته موجودة ممكنة والنصوص من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن الأئمة على غيبته مأثورة متصلة فلم يبق بعد ذلك أكثر من مطالبة الخصم لنا بظهوره ليقتل فهذا غير جائز وقد قال الله سبحانه ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ البقرة : ١٦٥

وقال موسى عليهم السلام ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ الشعراء : ٢١.

فإن قال السائل إن في ظهوره تأكيدا لإقامة الحجة وكشفا لما يعترض أكثر الناس في أمره من الشبهة فالأوجب ظهوره وإن قتل لهذه العلة. قيل له قد قلنا في النهي عن التغرير بالنفس ما فيه كفاية ونحن نأتي بعد ذلك بزيادة فنقول إنه ليس كلما نرى فيه تأكيدا لإقامة الحجة فإن فعله واجب ما لم يكن فيه لطف ومصلحة ألا ترى أن قائلا قال لم لم يعاجل الله تعالى العصاة بالعقاب والنقمة ويظهر آياته للناس في كل يوم وليلة حتى يكون ذلك أكد في إقامته عليهم الحجة أليس كان جوابنا له مثل ما أجبنا في ظهور صاحب الغيبة من أن ذلك لا يلزم ما لم يفارق وجهها معلوما من المصلحة. وعندنا أن الله سبحانه لم يمنعه من الظهور وإن قتل إلا وقد علم أن مصلحة المكلفين مقصورة على كونه إماما لهم بعينه وأن لا يقوم غيره فيها

مقامه فكذلك أمره بالاستتار في المدة التي علم أنه متى ظهر فيها قتله الفجار.

فإن الخصم هلا أظهره الله تعالى وأرسل معه ملائكة تبديد كل من أراد به سوء وتهلك من قصده بمكروه؟

قيل له قد سألت الملحة عن مثل هذا السؤال في إرسال الأنبياء عليهم السلام فقالوا لم لم يبعث الله تعالى معهم من الأملاك من يصد عنهم كل سوء يقصدهم به العباد فكان الجواب لهم أن المصالح ليست واقعة بحسب تقدير الخلائق ... ^(١) وإنما هي بحسب المعلوم عند الله عَزَّوَجَلَّ وبعد فإن اصطلام الله تعالى للعاصين ومعاجلته بإهلاك سائر الظالمين قاطع لنظام التكليف وربما اقتضى ذلك عموم الجماعة بالهلاك كما كان في الأمم السابقة في الزمان.

وهو أيضا مانع للقادرين من النظر في زمان الغيبة المؤدي إلى المعرفة والإجابة فقد يصح أن يكون فيهم ومنهم في هذه المدة من ينظر فيعرف الحق ويعتقده أو يكون فيهم معاندون مقرون قد علم الله سبحانه أنهم إن بقوا كان من نسلهم ذرية صالحة فلا يجوز أن يحرمها الوجود بإعدامهم في مقتضى الحكمة وليس العاصون في كل زمان هذا حكمهم وربما علم ضد ذلك منهم فاقترضت الحكمة إهلاكهم كما كان في زمن نوح عليهم السلام حيث قال ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ نوح : ٢٦ : ٢٧.

فإن قال السائل إن آباءه عليهم السلام قد كانوا أيضا في زمان مخافة وأوقات صعبة فلم لم يستتروا وما الفرق بينهم وبينه في هذا الأمر؟

قيل له إن خوف إمامنا عليهم السلام أعظم من خوف آبائه وأكثر والسبب في ذلك أنه لم يرو عن أحد من آبائه عليهم السلام أنه يقوم بالسيف

ويكسر تيجان

(١) هناك عدة كلمات غير واضحة المعنى.

(٢) الاصطلام الإهلاك.

الملك ولا يبقى لأحد دولة سواه ويجعل الدين كله لله فكان الخوف المتوجه إليه بحسب ما يعتقد من ذلك فيه وتطلعت نفوس الأعداء إليه وتتبع الملك أخباره الدالة عليه ولم ينسب إلى أحد من آبائه شيء من هذه الأحوال فهذا فرق واضح بين المخافتين.

ثم نقول بعد ذلك إن من اطلع في الأخبار وسير السير والآثار علم أن مخافة صاحبنا عليهم السلام كانت منذ وقت مخافة أبيه صلى الله عليه وآله وسلم بل كان الخوف عليه قبل ذلك في حال حملته وولادته ومن ذا الذي خفي عليه من أهل العلم ما فعله سلطان ذلك الزمان مع أبيه وتتبعه لأخباره وطرحه العيون عليه انتظاراً لما يكون من أمره وخوفاً مما روت الشيعة أنه يكون من نسله إلى أن أخفى الله تعالى الحمل بالإمام عليهم السلام وستر أبوه صلى الله عليه وآله وسلم ولادته إلا عمن اختصه من الناس ثم كان بعد موت أبيه وخروجه للصلاة ومضى عمه جعفر ^(١) ساعياً إلى المعتمد ^(٢) ما كان حتى هجم على داره وأخذ ما كان بها من أثاثه ورحله واعتقل جميع نسائه وأهله وسأل أمه عنه فلم تعترف به وأودعها عند قاضي الوقت المعروف بابن أبي الشوارب ^(٣) ولم يزل الميراث معزولاً سنتين ثم ما كان بعد ذلك من الأمور المشهورة التي يعرفها من اطلع في الأخبار المأثورة. وهذه كلها من أسباب المخاوف التي نشأت بنشوء الرجل الخائف ثم بترادف الزمان لعظم ذكره على لسان المؤلف والمخالف.

ومع ذلك فإن النصوص قد نطقت بذكر مخافته كما تضمنت نعت استتاره وغيبته منها ما هو مجمل ومنها ما هو مفصل.

فروي عن أمير المؤمنين عليهم السلام أنه ذكر المهدي صلى الله عليه وآله وسلم فقال :

(١) هو جعفر بن الإمام علي الهادي المعروف عند الشيعة بجعفر الكذاب ادّعى الإمامة ثمّ بطل أمره.

(٢) هو الخليفة المعتمد على الله من ملوك بني العباس.

(٣) هو أحمد بن محمد بن عبد الله الأموي قاضي بغداد من عهد المتوكل إلى زمن المقتدر توفي سنة ٣٠٧ هـ.

صاحب الأمر هو الشريد الطريد الفريد الوحيد^(١)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :

اللهم إنك لا تخلي الأرض من حجة لك على خلقك ظاهرا موجودا أو خائفا مغمورا كي لا تبطل حججك وبياناتك.^(٢)

ومن ذلك قول الإمام الصادق عليهم السلام وقد ذكر عنده المهدي صلى الله عليه وآله وسلم فقال

إن للغلام غيبة قبل أن يقوم فقال له زرارة ولم قال يخاف على نفسه^(٣)

وقول أبيه الباقر عليهم السلام :

في صاحب هذا الأمر أربع سنن من أربعة أنبياء سنة من موسى عليهم السلام وسنة من عيسى وسنة من يوسف وسنة من محمد ﷺ وعلى جميع

الأنبياء فأما موسى فخائف وأما عيسى فيقال مات ويقال لم يمّت وأما يوسف فالغيبه عن أهله بحيث لا يعرفهم ولا يعرفونه وأما محمد صلى الله عليه وآله

وسلم فالسيف وفيما أوردناه مقنع والحمد لله.

فصل من مسائل الفقه المستطرفة

مسألة امرأة طلقها زوجها ومضت في عدتها حتى قاربت النصف فلما انتهت إلى ذلك وجب عليها استئناف العدة من أولها من غير أن تكون

أخلت فيما مضى بشيء من حدودها

(١) رواه الصدوق في إكمال الدين صلى الله عليه وآله وسلم ٢٩٨ بسنده عن حنان بن السدير عن علي بن الحرد وعن الأصبغ عن علي صلى الله عليه وآله وسلم ٢٤١.

(٢) تجد هذا الحديث مرويا في إكمال الدين للصدوق من أكثر من عشرة طرق انظر صلى الله عليه وآله وسلم ٢٨٤ = ٢٨٨.

(٣) رواه الصدوق في إكمال الدين صلى الله عليه وآله وسلم ٣٣٢ بسنده عن عبد الدين بكر عن رزادة ، وذكر القائم بدل الغلام.

(٤) رواه الصدوق في الكتاب المذكور صلى الله عليه وآله وسلم ٧٣١. يسنده عن أبي بصير وكذلك في صلى الله عليه وآله وسلم ٣٢٠ بسنده عن أبي بصير أيضا باختلاف في بعض ألفاظه.

الجواب هذه جارية لم تبلغ الحيض ومثلها في السن من تحيض طلقها زوجها فوجبت العدة بالشهور عليها فلما مضت في عدتها قريب الشهر ونصف حاضت فوجب عليها إلغاء ما مضى واستئناف العدة بالحيض.

وفي هذه من العامة خلاف ووافق.

مسألة امرأة طلقها زوجها فوجبت عليها العدة أياما معلومة فعمد إنسان إلى طاعة الله تعالى ففعلها فوجب على المرأة عند فعل الطاعة من العدة في الأيام مثل ما كان لزمها.

الجواب هذه امرأة طلقها زوج كان لها فحاضت حيضين في شهر واحد فلما كان قبل تقضي الشهر بيوم أو يومين قبل أن تطهر من الحيضة الثانية أعتقها مولاهما فوجب عليها عدة الحرة ثلاثة قروء فلم تستوف ذلك حتى كملت ثلاثة أشهر.

وفي هذا الجواب خلاف من بعض العامة أيضا.

مسألة أخرى رجل تزوج امرأة على مهر غير موزون ولا مكيل ولا ممسوح ولا هو جسم ولا جوهر ولا شيء من الأموال والعروض فتم نكاحه بذلك وكان مصيبا.

جواب هذا العاقد على سورة أو آية من كتاب الله تعالى.

والشيعة مجمعة على هذا وبعض العامة يوافق عليه.

مسألة امرأة أجنبية من رجل قالت قولاً حل له به فرجها من غير مهر ولا أجر ولا عقد أكثر مما تقدم منها من القول.

جواب هذه المرأة التي ﴿وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ صلى الله عليه وآله وسلم فنزل القرآن بقصتها وتحليلها له وتحريم ذلك على غيره وجعلها الله سبحانه خالصة له من دون المؤمنين.^(١)

(١) مصدره من الآية ٥٠ من سورة الأحزاب ، وهو قوله سبحانه : «وَأَمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ».

وليس في هذا الجواب خلاف بين المسلمين.

مسألة امرأة عدتها ساعة من الزمان.

جواب هذه امرأة حامل فولدت بعد ساعة من الطلاق والقول في ذلك أيضا إجماع.

مسألة تزوج رجل امرأة على ألف درهم ثم طلقها فوجب له عليها ألف وخمسمائة درهم.

جواب هذه المرأة قبضت من زوجها جميع مهرها وهو ألف درهم ثم أشهدت على نفسها بعد قبضها له أنه صدقة عليه فلما عرف الرجل ذلك طلقها قبل أن يدخل بها فوجب عليها الألف درهم بالصدقة وخمسمائة درهم نصف ما فرضه لها من الصداق وهذا أيضا جواب عليه الاتفاق.

فصل من كلام أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم في ذكر النساء

إياك ومشاورة النساء إلا من جربت بكمال عقلها فإن رأيهن يجر إلى الأفن^(١) وعزمهن إلى وهن وقصر عليهن أجنحتهن فهو خير لهن وليس خروجهن بأشد عليك من دخول من لا يوثق به عليهن وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك وافعل.

لا تملك المرأة أمرها ما يجاوز نفسها فإن ذلك أنعم لبالها وبالك وإنما المرأة رجحانة وليست بقهرمانة ولا تطعها أن تشفع لغيرها ولا تطيلن الخلوة مع النساء فيملنك وتملهن واستبق من نفسك بقية.

وإياك والتغاير في غير موضع غيره فإن ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم وإن رأيت منهن ريبة فعجل النكير وأقل الغضب عليهن إلا في عيب أو ذنب.

وقال :

(١) الأفن ضعف العقل.

لا تطيعوا النساء على حال ولا تأمنوهن على مال ولا تثقوا بهن في الفعال فإنهن لا عهد لهن عند عامدهن ولا ورع عند حاجتهن ولا دين لهن عند شهوتهن يحفظن الشر وينسين الخير فالطفوا لهن على كل حال لعلهن يحسن الفعال. ^(١)

فصل مما روي عن المتقدمين في ذكر النساء

قيل لسقراط ما تقول في النساء؟

فقال ما استرعين شيئاً قط إلا ضاع ولا قدرن على شيء وكففن عنه

وقيل له كيف يجوز أن تدم النساء ولو لا هن لم تكن أنت ولا أمثالك من الحكماء؟

فقال إنما مثل المرأة كمثّل النخلة ذات السلا إن دخل يد الإنسان فيه عقره وحملها الرطب الجني.

وقيل له كيف تصبر عن النساء وطيبهن؟

فقال هن كالعسل أديف فيه سم قاتل فمن أكله استلذ به ساعة أكله وفيه هلاكه إلى الأبد.

ونظر بعض الحكماء إلى امرأة معلقة في شجرة فوقف تحتها يبكي فقال له بعض تلامذته أيها الحكيم تبكي لهذه البائسة؟

فقال والله ما بكائي رحمة مني لها

قيل له فمم بكاؤك؟

قال أسفا مني كيف لا أرى كل الشجر يحمل من هذا الثمر.

وقال ديوجانس لبعض تلامذته وقد نظر إلى امرأة حسناء متبرجة في طريقه تنحوا عن هذا الفخ الذي قد نصب نفسه لهلاك الخلق.

(١) هذا من وصايا الإمام (عليهم السلام) لولده الحسن (عليهم السلام) وهو مذكور في نهج البلاغة.

(٢) هو شوك النخل.

وقيل لسقراط لم لا تتزوج؟

فقال إن كان ولا بد فعلى الصفة التي أصفها لكم.

قالوا صف فلم يترك شيئا من السماجة والقباحة إلا وصفه.

ف قيل له أيها الحكيم لقد ناقضت أولي الألباب في صفتك.

فقال أستم تعلمون أنه شر فشر صغير خير من شر كبير.

ونظر آخر إلى امرأة تحمل نارا فقال الحامل شر من المحمول.

ونظر إلى امرأة تعلم الكتابة فقال أفعى يزداد سما.

وبنى رجل دارا وكتب على بابها لا يدخل شيء من الشر ف قيل له فامرأتك من أين تدخل.

ونظر بعض الحكماء إلى تلميذ له ينظر إلى امرأة حسناء فقال له احذر أن تقيدك بشركها فتهلك.

فقال التلميذ إنما أنظر إلى آثار حكمة الصانع فيها.

فقال له انظر إلى آثار حكم الصانع فيما لا تشتهييه نفسك أسلم لك.

فصل من ذكر المرضى والعيادة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

الحمى تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد.

وقال الصادق عليهم السلام :

ساعات الآلام يذهبن بساعات الخطايا.

وقال عليهم السلام :

إن العبد إذا مرض أوحى الله تعالى إلى كاتب الشمال :

لا تكتب على عبدي خطيئة ما دام في حبسي ووثاقي إلى أن أطلقه وأوحى إلى كاتب اليمين أن اجعل أنين عبدي حسنات.

وروي أن نبيا من الأنبياء مر برجل قد جهده البلاء فقال :

يا رب أما ترحم هذا مما به فأوحى الله إليه :

كيف أرحمه مما به أرحمه.

وروي أنه لما نزلت هذه الآية

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ سورة النساء : ١٢٣

فقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا رسول الله جاءت قاصمة الظهر.

فقال عليهم السلام كلا أما تحزن أما تمرض أما تصيبك اللاأواء ^(١) والهموم؟؟؟

قال بلى قال فذلك مما يجزى به.

وروى جابر بن عبد الله الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :

عائد المريض يخوض في البركة فإذا جلس انغمس فيها

وقال عليهم السلام :

إذا دخلتم على المريض فنفسوا له في الأجل فإن ذلك لا يرد شيئا وهو يطيب النفس

أنشد لبعضهم

حــق العيــادة يــــوم بــــين يــــومين وجلســــة لــــك مــــثل الطــــرف بالعيــــين

لا تــــبرمن مريضــــا في مــــسائله يكفــــيك تــــسألــــه مــــن ذا بحــــرفين ^(٢)

فصل من خطبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذكر الموت والوعظ

يا أيها الناس كأن الموت على غيركم كتب وكأن الحق على غيركم وجب وكأن الذي نشيع من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون نبؤهم أجدائهم

ونأكل تراثهم كأنا مخلصون بعدهم قد نسينا كل واعظ وأما كل جائحة طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب غيره وأنفق ما اكتسب في غير معصية

(١) الشدة وضيق المعيشة ، ويطلق ويراد به القحط.

(٢) في النسخة : هكذا يكفيك من ذاك تسأله بحرفين ، وهو لا يستقيم وزنا وهو خطأ من الناسخ.

ورحم أهل الضعف والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة طويًى لمن أذل نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريره وعزل عن غيره شره وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يدعها إلى البدعة. ^(١)

فصل مما روي في القبور والدفائن

وجد على قبر مكتوبا :

قهرنا الأعداء وبنينا الحصون والدفائن واقتصرنا على ما ترون.

ووجد على آخر مكتوبا :

الدنيا فانية والآخرة باقية والناظر إلينا لاحق بنا.

ذكروا أنهم رأوا على قبر أبي نواس هذه الأبيات وهن لأبي العتاهية

وعظمتك أجساد صامت	ونعتك أزمنة خفت
وتكلمت عن أعين تبارى	وععن صبور سبت
وارتلك قبرك في القبور	وأنت حيت لم تمت

وروى أنس بن مالك قال أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال كان تحت الجدار الذي ذكره الله تعالى في كتابه :

﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ الكهف : ٨٢.

لوح من ذهب مكتوب فيه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ عجا لمن أيقن بالموت كيف يفرح وعجا لمن أيقن بالقدر كيف يحزن وعجا لمن أيقن بزوال

الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن قلبه إليها لا إله إلا الله ^(٢)

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه في حديث ذكر فيه إتيان رجل جهني إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإسلامه على يده وأنهم تحدثوا يوما في ذكر

القبور والجهني حاضر فحدثهم أن جهينة بن القوصان أخبره عن أشياخه أن سنة

(١) تجده هذه الخطبة في تحف العقول ، وفي أعلام النبوة للماوردي مختصرا.

(٢) رواه الطبرسي في مشكاة الأنوار صلى الله عليه وآله وسلم ٢٧٣ عن الإمام الرضا (عليهم السلام).

(٣) أي سنة مجدية

نزلت بهم أكلوا فيها ذخائرهم فخرجوا من شدة الأزل^(١) وهم جماعة في طلب النبات فجنهم الليل فأووا إلى مغار وكانت البلاد مسبعة وهم لا يعلمون قال رجل منهم يقال له مالك قال رأينا في الغار أشبالا فخرجنا هاربين حتى دخلنا وهدة من وهاد الأرض بعد ما تباعدنا من ذلك الموضع فأصبنا على باب الوهدة حجرا مطبقا فتعاوننا عليه حتى قلبناه فإذا رجل قاعد عليه جبة صوف وفي يده خاتم عليه مكتوب :

أنا حنظلة بن صفوان رسول الله.

وعند رأسه كتاب في صحيفة نحاس فيه بعثني الله إلى حمير وهمدان والعزير من أهل اليمن بشيرا ونذيرا فكذبوني وقتلوني فأعادوا الصخرة إلى ما كانت عليه في موضعها.

وروى الأصمغ بن نباتة في حديث رجل من حضرموت أتى أمير المؤمنين عليهم السلام أيام أبي بكر فأسلم على يده قال فسأله أمير المؤمنين عليهم السلام يوما ونحن مجتمعون للحديث فقال له :

أعالم أنت بحضرموت؟

فقال الرجل إن جهلتها لم أعلم شيئا.

قال أفتعرف موضع الأحقاف؟

قال كأنك تسأل عن قبر هود النبي عليهم السلام؟

قال لله درك ما أخطأت.

قال نعم خرجت في عنفوان شبتي في غلمة من الحي ونحن نريد قبره لبعد صوته فينا وكثرة من يذكره فسرنا في بلاد الأحقاف أياما وفيما رجل قد عرف الموضع حتى انتهى بنا ذلك الرجل إلى كهف فدخلنا وأمعنا فيه طويلا فانتبهينا إلى حجرين قد أطبق أحدهما فوق الآخر وبينهما خلل يدخل الرجل النحيف فتحارفت فدخلت فرأيت رجلا على سرير شديد الأدمة طويل الوجه كث اللحية قد ييس فإذا مسست شيئا من جسده

(١) الأزل : الشدة

أصبته صلبا لم يتغير ورأيت عند رأسه كتابا بالعبرانية فيه مكتوب :

أنا هود النبي آمنت بالله وأشفقت على عاد بكفرها وما كان لأمر الله من مرد.

فقال لنا أمير المؤمنين عليهم السلام وكذلك سمعت من أبي القاسم صلى الله عليه وآله وسلم.

وروى عبد الرحمن بن زياد الإفريقي قال :

خرجت بإفريقية مع عم لي إلى مزروع لنا قال فحفرنا موضعا فأصبنا ترابا هشا فطمعنا فيه فحفرنا عامة يومنا حتى انتهينا إلى بيت كهيفة الأزج فإذا

فيه شيخ مسجى وإذا عند رأسه كتابه فقرأتها فإذا هي :

أنا حسان بن سنان الأوزاعي رسول شعيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أهل هذه البلاد دعوتهم إلى الإيمان بالله فكذبوني وحبسوني في هذا

الحفير إلى أن يبعثني الله فأخاصمهم إليه يوم القيامة.

سالم الأعرج مولى بني زريق قال :

حفرنا بئرا في دور بني زريق فرأينا أثر حفر قديم فعلمنا أنه حفر قديم مستأثر فحفرنا فأفضينا إلى صخرة عظيمة فقلبناها فإذا تحتها رجل قاعد كأنه

يتكلم فإذا هو لا يشبه الأموات فأصبنا فوق رأسه كتابه فيها :

أنا قادم بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن هربت بدين الحق من أيتملك الكافر وأنا أشهد أن الله حق ووعدته حق لا أشرك به شيئا ولا أتخذ من

دونه وليا.

وعبد الله بن موهب قال :

أصاب بعض عمال معاوية محفرا بمصر احتفروه بعض أهلها لحاجتهم فأفضى بهم ذلك إلى مخضب عظيم مطبق فظنوه مالا فبعث العامل إليه أمناءه

ليحضروا ما فيه فلما فتحوا أصابوا شابا عليه جبة صوف وكساء صوف وخف إلى نصف ساقه وأصابوا عند رأسه كتابا بالعبرانية فيه :

أنا حبيب بن نوباجر صاحب رسول الله موسى بن عمران عليهم السلام من أحب أن يأخذ بالناموس الأكبر فليخالف بني إسرائيل فإنهم قد تواكلوا الحكم وعملوا بالهوى وباعوا الرضا وتركوا المنهاج الذي أخذ عليه ميثاقهم.

عبد الله بن موهب عن بعض أشياخه :

أن مسجد الرملة لما حفر أساسه في دار معاوية بن أبي سفيان انتهى بهم الحفر إلى صخرة فقلعوها فإذا تحتها شاب دهين الرأس موفر الشعر قائم مستقبل القبلة فكلموه فلم يكلمهم فكتب بذلك إلى معاوية قال فخرجنا بالكتاب في خمسة فأتينا معاوية فأخبرناه بذلك ودفعنا إليه الكتاب فأمر أن ترد الصخرة إلى حالها وأن يعيدوه على حاله كما كان.

وحدثهم غير واحد :

أنه لما أجرى معاوية بن أبي سفيان القناة التي في أحد أمر بقبور الشهداء فنبشت فضرب رجل بمعوله فأصاب إبهام حمزة رضي الله عنه فانحبس الدم في إبهامه فأخرج رطبا يتثنى وأخرج عبد الله بن عمرو بن الجموح وكانا قتلا يوم أحد وهما رطبان بعد أربعين سنة فدفنا في قبر واحد وكان عمرو بن الجموح أعرج فقال أبو سعيد الخدري ^(١) إنه لشيء لا أمر بعده بمعروف ولا أنهى عن منكر.

وذكروا أن الوليد بن عبد الملك احتاج إلى رصاص أيام بني مسجد دمشق ف قيل له إن في الأردن منارة فيها رصاص فابعث إليها فبعث إليها فلما أخذوا في حفرها ضرب رجل بمعوله فأصاب رجلا في سبط ^(١) وناول المعول فسال دمه فسأل عنه ف قيل هذا طالوت الملك فتركه ولم يخرج.

وذكروا أن سليمان بن عبد الملك مر بوادي القرى فأمر بحفر يحفر فيه ففعلوا فأنتهى فيه إلى حجرة فاستخرجت فإذا تحتها رجل عليه قميصان

(١) كذا في النسخة.

واضع يده على رأسه فجذبت يده فمج مكانها دم ثم تركت فرجعت إلى مكانها فرقا الدم وإذا معه كتاب فيه.

أنا الحرث بن شعيب الغساني رسول شعيب إلى أهل مدين فكذبوني وقتلوني.

مسألة من عويص الفقه لأبي النجا محمد بن المظفر

ذكروا أن أبا النجا سئل عن معنى هذين البيتين

أنعرف خالا أحرز المال كله
وما الخال عَم الميـت حين نعتـه
فأجاب :

تفهم جوابا تسفد بافتهاـه
هو ابن أخيه من أبيه وخاله
وذلك لما زوجت أم أمه
فجاءته بابن فهو لا شك خاله
فأحرز إرث العم من دون عمه
غرائب علم طارف حين يكتسب
لأم فخـذ قـولا يفهم ذا الأدب
أخاه يقينا من أبيه إذا انتسب
لأم وسنخ القـوم وابـن أخ لأب
كذلك يقضي ذو التفقه والأدب

تفسير الجواب

هذا رجل تزوج أخوه لأبيه جدته أم أمه فجاءت بابن فهو خاله لأمه وهو ابن أخيه لأبيه فلما مات عن عمه وهذا الخال كان أولى بالميراث من العم لأنه ابن أخ.

وفيه وجه آخر فيقال رجل تزوج امرأة وزوج ابنه من أمها فجاءت كل واحدة منهما بابن فابن الكبرى هو خال ابن الصغرى وهو ابن أخيه لأبيه. وقد روي أن مثل هذا اتفق في أيام عبد الملك بن مروان وأنه دخل إليه رجل من أهل الشام فقال له يا أمير المؤمنين إني تزوجت امرأة وزوجت ابني أمها ولا غنى بنا عن رفدك فقال له عبد الملك إن أخبرتني ما قرابة ما بين أولادكما إذا ولدتما فعلت؟

قال يا أمير المؤمنين هذا حميد بن مجدل قد قلدته سيفك ووليته ما وراء بابك فاسأله عنها فإن أصاب لزمني الحرمان وإن أخطأ اتسع لي العذر فدعا بالجدلي فساءله عنها فقال يا أمير المؤمنين إنك ما قدمتي على العلم بالأنساب ولكن على الطعن بالرماح ثم قيل له الجواب وهو أن أحدهما عم الآخر والآخر خاله.

مسألة تزوج زيد امرأة وزوج ابنه عمرا ابنتها فرزقا منهما ولدين ما قرابة ما بين الولدين؟

الجواب أن ولد زيد من المرأة هو عم ولد عمرو من بنتها وخاله أيضا لأنه أخو أبيه من أبيه وأخو أمه من أمه والآخر ابن أخيه وابن أخته.

مسألة أخرى تزوج زيد امرأة وزوج ابنه عمرا أختها فرزقا منهما ولدين فما قرابة ما بين الولدين.

جواب إن ابن زيد عم ابن عمرو وابن خالته وابن عمرو ابن أخيه وابن خالته.

فصل

حدثني أبو سعيد أحمد بن محمد بن أحمد الماليني الهروي بالرملة في شوال سنة ست عشرة وأربعمائة قال أخبرنا أبو عمرو إسماعيل بن مجيد إملاء قال حدثنا علي بن الحسن بن الجنيد الرازي قال حدثنا المعافى بن سليمان قال حدثنا زهير بن معاوية قال حدثنا محمود بن حجارة أن أبان حدثه قال حدثني أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعو في أثر الصلاة فيقول :

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع اللهم إني أعوذ من هؤلاء الأربع.

(١) في النسخة ابن خالة وهو خطأ من الناسخ.

وأخبرني شيخني أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله بن علي الواسطي ^(١) رضي الله عنه قال أخبرني أبو محمد هارون بن موسى التلعكبري ^(٢) قال أخبرني أبو علي محمد بن همام ^(٣) بن سهل قال حدثنا جعفر بن مالك قال حدثنا محمد بن الحسن الزيات قال حدثنا حسن بن محبوب عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير قال قال أبو جعفر عليهم السلام كان من دعاء أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم.

إلهي كفى بي عزا أن أكون لك عبدا وكفى بي فخرا أن تكون لي ربا إلهي أنت لي كما أحب وفقني لما تحب. ^(٤)

تم الجزء الأول من كتاب كنز الفوائد

(١) هو العالم المعروف بابن الواسطي كما حكاه فخار بن معد في كتابه (حجة الزاهب) عن تلميذه الكراچكيّ ، وهو صاحب كتاب (من أظهر الخلاف لأهل البيت) الذي ينقل عنه ابن طاوس في رسالته (غياث سلطان الوري) في الموسعة (طبقات ج ٢ صلى الله عليه وآله وسلم ٦٤).

(٢) الشيباني من وجوه الأصحاب وثقاتهم مات سنة ٣٨٥ هـ وهو من تل عكبرى بلدة من نواحي دجيل بينها وبين بغداد عشرة فراسخ.

(٣) هو أبو علي محمد بن أبي بكر همام بن سهيل الكاتب الإسكافي من شيوخ الشيعة ومتقدميهم له منزلة عظيمة ، كثير الحديث ولد يوم الاثنين لست خلون من ذي الحجة سنة ٢٥٠ هـ وتوفي يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ٣٣٦ هـ عن رجال النجاشي.

(٤) رواه الشيخ المفيد من كتاب الخصال ج (١) صلى الله عليه وآله وسلم : ١ ٨٦.

صدر للمعلق

- ١ . سياسة الخلفاء الراشدين في الموازين النفسية.
- ٢ . الأدب في ظل التشيع ، طبعة ثانية.
- ٣ . هشام بن الحكم ، طبعة ثانية.
- ٤ . فلاسفة الشيعة.
- ٥ . مصادر نهج البلاغة.
- ٦ . عقيدتنا ، طبعة ثانية.
- ٧ . دليل القضاء الجعفري.
- وسيصدر قريبا إن شاء الله تعالى:
- ٨ . روح التشيع.
- ٩ . الأدلة الجلية في شرح الفصول النصيرية.
- ١٠ . ملحق أمل الآمل في تراجم علماء جبل عامل.
- ١١ . الغيب وأنباء المستقبل في الإسلام.

مراجع الكتاب

طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي	اكمال الدين الآمالي للصدوق القمّي
الأغاني للأصبهاني	البيان والتبيين رسائل الجاحظ الغيبة للطوسيّ
بحار الأنوار للمجلسيّ	للجاحظ
مناقب ابن شهرآشوب	لسان الميزان
كشف الغمّة	ديوان ابن الرومي
شرح نخب البلاغة لابن أبي الحديد	ديوان الشريف الرضي
سيرة ابن هشام	الأربعين للمجلسيّ
حماسة أبي تمام	الأربعين للبهائي
إعلام الورى للطبرسيّ	كشف الفوائد للعلامة الحلي
شرح التجريد للعلامة الحلي	عيون الأخبار لابن قتيبة
أمالي الشريف المرتضى الفصول المختارة	مجمع البحرين
الكنى والألقاب للقمي	صحيح البخاريّ
مروج الذهب التنبيه والإشراف اثبات الوصية	فضائل الخمسة من الصحاح الستة
للمسعودي	معاهد التنصيص
طبقات الشعراء لابن قتيبة	معجم رجال الحديث للسيد الخوئي
الحاسن والمساوي للبيهقيّ	وقعة صفّين لابن مزاحم المنقريّ
الخرائج والجرائح للراوندي	النجوم لابن طاموس
الإفصاح الأمالي الإرشاد الإختصاص للمفيد	فلاسفة الشيعة مصادر نخب البلاغة للمعلق
فهرست ابن النديم	تثبيت دلائل النبوة للهمداني
التوحيد	مقتضب الأثر لابن عيّاش
	مناقب المغازلي

فهرس الجزء الأول من الكتاب

٦٧	٧	مقدّمة	تأويل آية : وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ
٦٩	١١	مؤلف الكتاب	فصل في معرفة الاسم والصفة
٧١	١٦	شيوخ المؤلّف وأساتذته	أسماء الله وحقيقتها
٧٣	١٨	تلاميذ المؤلّف	فصل في تمييز صفات الله
٧٦	١٩	مؤلّفاته	بيان صفات الأفعال
٧٧	٢٧	هذا الكتاب	فصل في فروق صفة الذات وصفة الفعل
٨٤	٣٣	مختصر من الكلام في أن للحوادث أولاً	القول في الغضب والرضا
٨٤	٣٦	دليل آخر على تناهي ما مضى	القول في الحب والبغض
٨٥	٣٩	مسألة على الملحدة	القول في سميع وبصير
٨٥	٤٠	مسألة أخرى عليهم	القول في الخالق
٨٦	٤٢	الشبهة	فصل في صفة أهل الإيمان
٨٩	٤٣	الجواب	خطبة أمير المؤمنين في وصف المتقين
٩٣	٤٦	جواب آخر عنها	فصل من كلامه (عليهم السلام)
٩٤	٤٩	مسألة في تأويل خبر : لا تسبوا الدهر	فصل ممّا جاء نظماً في الأخوان
٩٨	٥٠	قصيدة ابن دريد	فصل في ذكر الأخوة والأخوان
١٠٢	٥٥	أحاديث عن رسول الله وعن الأئمة	مسألة فقهية
١٠٣	٥٧	فصل ممّا ورد في القرآن	شبهة المجبّرة
١٠٦	٦٠	مسألة من عويص النسب	فصل في الفرق بين مذهبنا ومذهب المجبّرة
١٠٨	٦١	فصل في ذكر الدنيا	قبح تكليف ما لا يطاق
١٠٩	٦٢	فصل في ذكر الأمل	فصل من الكلام في القدرة
١١٢	٦٣	فصل في ذكر الموت	أفعال الإنسان
	٦٦	فصل في الموت والقتل	

فصل في أن الله لا يريد من خلقه إلّا	١١٣	مسألة على مبطلني النظر وحجج العقل	١٩٧
الطاعة			
ايراد على أهل الجبر	١١٤	ما جاء في الحديث في العقل	١٩٨
حكاية للمؤلف في مجلس بعض	١١٥	كلام أمير المؤمنين في العقل	١٩٩
الرؤساء			
جناية المجرة على الإسلام	١١٦	من الاستدلال على صحة نبوة رسول	٢٠٠
		الله صلى الله عليه وآله	
التجوز في التعبير بالاستطاعة عن	١١٧	فصل مما جاء في التوراة يتضمن البشارة	٢٠٤
الفعل وبنفيها عن نفيه		بنبيّنا (صلى الله عليه وآله وسلم)	
شبهة للمجبرة	١٢٠	فصل في الإنجيل	٢٠٥
من هم القدريّة	١٢٣	من أخبار الوافدين على رسول الله	
		صلى الله عليه وآله وما رآوه قبل	
		قدومهم عليه	
تهمة المعتزلة للشيعة بالإرجاء	١٢٤	خبر اهبان بن أنس الأسلمي	٢٠٦
أغلاط المعتزلة	١٢٤	خبر ذباب	٢٠٧
نظرية الأصلح	١٢٧	خبر زمل العدوي	٢٠٨
نقوض على هذه النظرية مع دفعها	١٢٩	خبر عمرو بن مرة الجهني	٢٠٩
رأي الجبائي في الترك	١٣٢	خبر ركانة	٢١١
مواعظ وكلمات في النهي عن الظلم	١٣٤	خبر أبي تيممة الهجيمي	٢١١
كلمات لأمير المؤمنين وغيره في ذمّ	١٣٦	خبر أهيب بن سماع	٢١٢
الحسد			
أقوال في الصبر	١٣٩	فصل من كلام سيدنا رسول الله صلى	٢١٦
		الله عليه وآله	
قصة ذريب بن ثملا	١٤١	فصل من البيان والسؤال	٢١٧
شرح قوله : ولعن آخر أمتكم أولها	١٤٤	فصل من كلام جعفر بن محمد الصادق	٢١٩
		(عليهم السلام)	
أحاديث	١٤٦	فصل آخر في السؤال والبيان	٢٢٠
رسالة للمؤلف اسمها : القول المبين	١٥١	شبهة للبراهمة في النبوة	٢٢٤
عن وجوب مسح الرجلين			
فصل في مولد رسول الله	١٦٤	مختصر من الكلام على اليهود في	٢٢٥
		انكارهم جواز النسخ في الشرع	
فصل في ذكر شيء من معجزاته	١٦٩	فصل في ذكر البداء	٢٢٦
(صلى الله عليه وآله وسلم)			
فصل من البيان في إعجاز القرآن	١٧٤	حكاية مجلس في البداء	٢٢٦
دليل على حدوث العالم	١٧٧	فصل في منام لعبد المطلب	٢٣٣
الأشعار المأثورة عن أبي طالب التي	١٧٩	بيان عن قول النصارى ومسألة عليهم	٢٣٥
يستدل بها على إيمانه		لا جواب لهم عنها	
أحاديث بصحة إيمانه	١٨٢	فصل من الألفاظ التي يقرون أن المسيح	٢٣٨
		قالها	
فصل من أخبار عبد المطلب (رض)	١٨٤	رسالة البيان عن جمل اعتقاد أهل	٢٤٠
		الإيمان	
وفادة عبد المطلب على ابن ذي يزن	١٨٧	فصل في ذكر مولد أمير المؤمنين (صلى	٢٥٢
		الله عليه وآله وسلم)	
خبر رؤيا ربيعة بن نصر اللخمي ملك	١٩٣	كتاب الأعلام بحقيقة إسلام	
اليمن التي تأولها سطيح وشق			
دليل في تثبیت الصانع	١٩٥		
مسألة على نفاة الحقائق	١٩٦		

٢٥٧	أمير المؤمنين (عليهم السلام)	٣٤٠	فصل من مستطرفات مسائل الفقه
٢٦١	فصل من البيان عن أن المؤمنين (عليهم السلام) أول بشر سبق إلى الإسلام بعد خديجة (عليهم السلام)	٣٤١	أشعار وكلمات في الدنيا والزهد
٢٧٢	فصل في أن إسلامه كان عن بصيرة واستدلال	٣٤٥	فصل في تثبيت إمامة صاحب الزمان
٢٧٧	فصل في البلوغ	٣٤٧	دليل على وجوب العصمة
٢٧٨	فصل من كلام أمير المؤمنين (عليهم السلام) وحكمه	٣٤٩	فصل من كلام الإمام علي عليه السلام وحديثه
٢٨٢	فصل في فضل اقتناء الكتب	٣٥٠	فصل من كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله
٢٨٤	فصل فيما حكاه المفيد في بعض كتبه	٣٥٣	قصة وقعت للمؤلف بالقاهرة
٢٨٦	فصل في الجواب عن ثلاث آيات	٣٥٤	سؤال وجواب حول قوله تعالى : وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا
٢٩٢	ما وجدته مكتوبا في الإنجيل	٣٥٦	سؤال المأمون للرضا (عليهم السلام)
٢٩٤	قصة فضال بن الحسن بن فضال مع أبي حنيفة	٣٥٧	خبر يحيى بن معمر مع الحجاج
٢٩٥	أحاديث حول فضل علي عليه السلام	٣٦٠	فصل من القول في القضاء والقدر
٢٩٧	فصل في واقعة الأحزاب	٣٦٤	سؤال الحجاج عن القضاء والقدر
٢٩٩	فصل من كلام أمير المؤمنين (عليهم السلام) وحكمه	٣٦٦	أبو حنيفة مع الإمام موسى بن جعفر
٣٠٢	مسائل فقهية	٣٦٧	فصل من كلام أمير المؤمنين وآدابه وحكمه
٣٠٤	فصل في الوعظ والزهد	٣٦٨	فصل من الكلام في غيبة الإمام (عليهم السلام)
٣٠٧	مسألة فقهية لأبي النجا	٣٧٤	فصل من مسائل الفقه المستطرفة
٣٠٨	مجلس للمؤلف في ببليس	٣٧٦	فصل من كلام أمير المؤمنين (عليهم السلام) في ذكر النساء
٣١٥	فصل من المقدمات في صناعة الكلام	٣٧٧	فصل مما روي عن المتقدمين في النساء
٣١٨	فصل من كلام أمير المؤمنين (عليهم السلام)	٣٧٨	فصل في ذكر المرضى والعيادة
٣١٩	تأويل آية : حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ	٣٧٩	فصل من خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله في ذكر الموت
٣٢١	فصل من التوراة في ذكر الفلك	٣٨٠	فصل مما روي في القبور والدفائن
٣٢١	رسالة للمؤلف في وجوب الإمامة	٣٨٤	مسألة من عويص الفقه لأبي النجا محمد ابن المظفر
٣٢٧	فصل من الحديث	٣٨٥	فصل من دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وأمر المؤمنين (عليهم السلام)
٣٣١	مسائل فقهية		
٣٣٢	حديث عن الزهري		
٣٣٤	دليل من القرآن على إمامة أمير المؤمنين (عليهم السلام)		